

# التاريخ السِّيَاسِيّ للدولة الخوارزمية

تأليف

دكتورة خفاف سید صبره

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد  
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الناشر  
دار الكتاب الجامعي

٨ شارع سليمان الحسايني بالقاهرة

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع  
القاهرة

# التاريخ السني للدولة الخوارزمية

تأليف

دكتورة عفاف سيد صبر

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد  
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م

الناشر  
دار الكتاب الجامعي

٨ شارع سليمان الحجابي بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعه وسار على نهجه وسنته الى يوم  
الدين • وبعد ••

يسرني أن أقدم للمكتبة التاريخية كتابا يدور حول التاريخ  
السياسي للدولة الخوارزمية •

والحقيقة أن ما دفعني لدراسة هذا الموضوع هو اهتمامي الكبير ،  
وميلى لدراسة الدويلات الاسلامية التي ظهرت في المشرق على عهد  
الخلافة العباسية •

فلقد شهد المشرق الاسلامي ظهور دويلات كثيرة استقلت عن  
الخلافة العباسية منذ فجر تاريخها ، بدءا بالدولة الطاهرية التي أسسها  
ظاهر بن الحسين في خراسان سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م وتنازلت بعدها  
دويلات عديدة الا أنها اختلفت في علاقاتها بالخلافة العباسية ما بين  
دولة مستقلة استقلالاً تاماً ، ودولة مستقلة استقلالاً انتظامياً •

ولقد لعبت دويلات المشرق الاسلامي دورا كبيرا ورئيسيا بوصفها  
دويلات حدود أو أطراف ، حيث لجأوا معظم هذه الدويلات أقوام  
وثنيين ، لذا فقد كان لهذه الدويلات شرق نشر الاسلام بين هذه الأقوام  
التركية والفارسية والهندية • ولقد وضح في هذه المنطقة غلبة الغنضيين  
الفارسي والتركي وكانت بصفات هذين الشعبين قوية بطورة كبيرة في  
تحديد مسارات هذه الدول •

ولقد كانت الدولة الخوارزمية إحدى هذه الدويلات التي نشأت على الثغر التركي في مواجهة مع الأتراك الوننيين في منطقة خوارزم الذي يحده من الغرب بلاد الترك الغربية ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك أيضا •

لذلك لعب حكام هذه المنطقة دورا هاما في التاريخ الاسلامي لم يظهر ويتضح الا عند ظهور دولة السلاجقة • والحقيقة أن المسلمين الأوائل اهتموا بفتح هذه المنطقة من العالم منذ فجر حركة الفتوحات الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، وخلال العهد الأموي الذي تشهد تدفق السيل الاسلامي الى هذه المناطق بقيادة قتبية بن مسلم الباهلي •

ويرجع تأسيس الدولة الخوارزمية كدولة ذات مدلول سياسي — كما ذكرت — مرتبطا بالسلاجقة ، ويعتبر أنوشتكين هو المؤسس الأول • وأعقبه ابنه آتسز الذي وطد أركان هذه الدولة وبدأ منذ عهده الصراع السياسي مع الدولة السلجوقية في فارس خاصة على عصر السلطان سنجر •

ولقد توالى الحكام من سلالة آتسز على حكم الدولة الخوارزمية التي بدأت تتسع رويدا رويدا على حساب جيرانها ، وذاع صيتها ، وبدأت تظهر بكيان سياسي خاص • ووالد هجمات على جيرانها من دولة الأتراك القراخانيين • والغوريين وتأرجحت علاقاتها بالخلافة العباسية طبقا للوضع السياسي القائم •

والحقيقة ان ظهور الدولة الخوارزمية يعتبر تأكيدا للعنصر التركي وتوطيدا له في حكم أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي • خاصة وان هذه الدولة ليست هي الدولة الاسلامية الاولى التي ظهرت في العالم الاسلامي وانما سبقتها دويلات مثل الدولتين السامانية والغزنوية • حتى الخوارزميين ورثوا كثيرا من ممتلكات هاتين الدولتين •

كما أن الدور السياسى الذى لعبته هذه القوة السياسية فى هذه المنطقة كان دافعا لى على الاهتمام بالتأريخ لها ، لأن ما كتب باللغة العربية عن هذه المنطقة وعن هذه الدولة تفصيليا لا يتعدى أن يكون شذرات فقط ، اللهم ما كتبه الأستاذ حافظ حمدي عن الدولة الخوارزمية والمغول ، والشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى وما كتبه نافع العبود فى رسالة للماجستير عن الدولة الخوارزمية ، وكذلك كتاب الدكتور / سعد بن حذيفة الغامدى عن أوضاع الدول الاسلامية فى المشرق ، فهذه هى تقريبا المراجع الحديثة التى تخصصت فى دراسة الدولة الخوارزمية ، لذلك كان لزاما أن نعطي هذه الدولة حقها فى الدراسة ، خاصة وان دورها السياسى ترك تأثيرا بعيدا على جميع مناطق المشرق .

ولقد آثرت أن أجعل دراستى تهتم اهتماما كبيرا بأهمية عنصر الأثر فى العالم الاسلامى ، ودورهم السياسى ، وان أبين تاريخ خوارزم من البداية منذ وصول الاسلام الى هذه الأصقاع ، كما كان اهتمامى كبيرا بالعلاقات السياسية التى ربطت هذه الدولة مع جيرانها والحروب التى خاضتها وأثرها فى اتساع وانكماش هذه الدولة .

ومن أهم النقاط التى برزت فى هذه الدراسة مدى العلاقة التى ربطت الدولة الخوارزمية خلال حكم سلاطينها المختلفين مع الخلافة العباسية ، ودور الخلافة العباسية فى هذه الآونة فى التصدى للأحداث الجارية ، حتى فقدت الخلافة نفوذها فى العراق العجمى وبلاد الجبل والحقيقة ان هذه الدولة بدأت تتبلور بعد سقوط آخر سلاطين سلاجقة فارس وهو السلطان طغرل حيث ورثت الدولة الخوارزمية السلطان السياسى للدولة السلجوقية فى هذه المنطقة ، خاصة بعد قضائها على القراخانيين وعلى دولة الغور التى نافستها السلطان السياسى خلال هذه الفترة .

ولقد كان لموقع هذه الدولة الهام أكبر الأثر فى تلقيها المضربات من القواىب الغازية التى بدأت تغير على هذه المنطقة من العالم ، وأقصد بهم قبائل المغول الذين خرجوا من موطنهم فى منغوليا ، وبدعوا فى الاغارة على الأقاليم المجاورة ، فنجحوا فى سحق قوى الأتراك القراخانيين ، ثم بدعوا يذقون أبواب الدولة الخوارزمية ، حتى ان السلطان علاء الدين خوارزمشاه لعب دورا كبيرا فى كونه أول قوة اسلامية تنصدى لهذا الغزو ، حتى انتهى الأمر بموته ، وقيام ابنه جلال الدين منكبرتى بتحمل تبعه الجهاد الاسلامى ضد هؤلاء المغول •

ولقد أسهبا وقدمنا للدور الكبير الذى قام به جلال الدين واندجار قواه على يد المغول ثم هروبه الى بلاد الهند ، الا أنه ما لبث أن عاد وكون جيشه واستولى على معظم ممتلكاته فى وقت انشغال دولة المغول بوفاة زعيمها جنكيزخان •

وقام خلال هذه الفترة بتوسيع بلاده الا أنه اصطدم خلال هذه الفترة بقوى سياسية كبيرة ممثلة فى الدولة الأيوبية التى كانت لها أتابكيات كثيرة فى هذه المناطق ، وكذلك بدولة سلاجقة الروم ، ودولة الكرج ومع شيوخ الباطنية الاسماعيلية •

وفعلنا نجح جلال الدين فى التصدي لجميع هذه القوى فسحق قوى السلاجقة ، واستولى على الأتابكيات الأيوبية ، وسيطر على بلاد الكرج وهاجم معظم القلاع الاسماعيلية •

ومن هنا نرى أن وجود جلال الدين فى هذه المنطقة وأثناء الغزو المغولى كان كما ذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى مثل سد بأجوج ومأجوج فقد كان الجائط النحاسى الذى تلقى الضربات المغولية وحمل الخلافة العباسية من خطر أصبح وشيكا •

ورغم هذه الجهود الا أن جلال الدين انتهى وقتل بعد هزيمته المتكررة على أيدي المغول الذين توحدت قواتهم تحت زعامة الخان



الجديد أوكتاي ، فانتهى بذلك جلال الدين واختفى من المسرح السياسي .

ورغم ذلك فان الجنود الخوارزميين كان يجدوهم الأمل فى تكوين وطن لهم تحت قيادات جديدة من رجال الجيش الخوارزمى فانباسحوا فى الأرض يعرضون خدماتهم على الأيوبيين خاصة الصالح نجم الدين الذى استعان بهم فى توطيد ملكه ، كما كان لهم دور فى دخول القدس بعد أن حاول الصليبيون إستعادته ، ومع كل هذه الأعمال الايجابية الا أن هؤلاء الخوارزمية من الممكن أن نعتبرهم من العناصر الهدامة .

فقد استرسل معظم المؤرخين فى وصفهم بأنهم كانوا مصدر دمار وخراب وسفك للدماء وهتك للأعراض اينما حلوا ، كما أنه يجب علينا أن نضيف الى سلبياتهم انهم بصراعاتهم السياسية فى مواطنهم فتحو الطريق فعلا أمام المغول للانتصار عليهم حتى تحقق حلم المغول فى اسقاط الخلافة العباسية ٦٥٦ هـ .

ولا ننسى فى هذه العجالة أن نقول : أن هؤلاء الخوارزميين شاركوا فى الفوضى السياسية التى سادت العالم الاسلامى فى هذه الآونة فقد شاركوا فى الصراع بين أبناء البيت الأيوبي ، هذا الصراع الذى لم يكن له نتيجة الا توسع الصليبيين على حسابهم وتكرار حملاتهم على بلاد الاسلام وفتح الطريق أمام المغول ، وقد كان من الممكن أن تتحد القوى الاسلامية جميعها لاجراج الصليبيين من أراضيهم بدلا من التحالف معهم ، أو التجهيز لوقف الزحف المغولى الذى استولى على معظم الأراضي الشرقية وعلى ممتلكات الخوارزميين فى اراضى الكرج وقضى على سلطان سلاجقة الروم لتضيع هذه الممالك الاسلامية الهامة التى لعبت دورا كبيرا طوال التاريخ فى دفع القوى النصرانية والوثنية عن الأراضي الاسلامية .

وأخيرا ليكن لنا من الماضي عبره ، نعتبر بها فى تاريخنا المعاصر ،  
وحتى يعلم الأبناء أخطاء الآباء ويتدارسوها ويتجنبوها ، ولتتعلم  
الدول والشعوب دروسا من الماضي علها تفيق من سباتها وتعلم أن  
الوحدة الاسلامية هى الأساس الأول فى قهر العدوان الموجه ضدنا  
من القوى الاستعمارية الدولية • وعلينا أن نذكر فان الذكرى تنفع  
المؤمنين • وادعوا الله سبحانه وتعالى أن يلقي هذا العمل العلمى  
المتواضع قبولا ، فان أصيبت فمن الله سبحانه وتعالى وان أخطأت فهذه  
هى سمة البشر • • والله من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل •

وصدق الله العظيم حيث يقول :-

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى  
قلوبنا غلا للذين آمنو ربنا انك رؤوف رحيم » •

المؤلفة

د / عفاف سيد صبره

مدينة نصر ١٤٠٨ هـ

١٩٨٧ م

## الفصل الأول

### التطور السياسى لمدينة خوارزم

#### حتى العصر السلجوقى

خوارزم اسم لمناحية كبيرة قصبتها الجرجانية ، كان أهلها يسمونها كركانج وهى ولاية متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة<sup>(١)</sup> .

ويذكر ابن الكلبي ان اسحق بن ابراهيم الخليل ، ولد الخزر والبزر والبرسل ، وخوارزم ، وفيل<sup>(٢)</sup> .

وهناك أقوال أخرى حول أصل تسمية هذه المنطقة وهو انه كان لاقليم خوارزم فى صدر العصور الوسطى قصبتان أولاهما فى الجانب الغربى أى الفارسى من نهر جيحون تسمى الجرجانية والأخرى فى الجانب الشرقى — أى التركى — من النهر يقال لها كاث .

ومدينة كاث مازالت قائمة الا أن مدينة العصور الوسطى ربما كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقى البلدة الحديثة وكان لكاث فى الأزمنة القديمة قهندز « قلعة » فخر بها النهر وأتى عليها وكان الجامع والحبس على ظهر القهندز ، وقد أتى فيضان النهر على هذه الأجزاء ،

---

(١) ابن عبد الحق البغدادى « مرصد الاطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع » ج ١ ، ص ٤٨٧ .

(٢) ياقوت الحموى « معجم البلدان » ج ٢ ، ص ٣٩٥ .  
والمقصود بالفيل مدينة سمرقند . انظر :  
البلاذرى « فتوح البلدان » ج ٣ ، ص ٥١٨ .

فلم يبق منها رسما ولا ظللا حتى كتب ابن حوقل ، فابتنى الناس مدينة جديدة الى الشرق من الأولى على مسافة من نهر جيحون تقيها عواقب طغيانه<sup>(٣)</sup> .

أما قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الاقليم ، فكانت الجرجانية وهي مدينة عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون من امهات المدن جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات .

ويذكر ياقوت الحموي رواية أخرى وهي أن أجد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته ، وخاصة جاشيته فأمر بنفيهم الى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر ، مائة فرسخ<sup>(٤)</sup> ، فلم يجدوا على هذه الضفة الى موضع مدينة كاث وهي احدى مدن خوارزم ، فجاءوا بهم الى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا ، فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك ، فأمر قوما بكشف خبرهم ، فجاءوا فوجدهم قد بنوا أكواخا ، ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوتون ، واذا حولهم حطب كثير ، فقالوا لهم : كيف حالكم فقالوا عندنا هذا اللحم ، وأشاروا الى السمك ، وعندنا هذا الحطب ، فنحن نشوي هذا بهذا ، ونتقوت به ، فرجعوا الى الملك ، وأخبروه فسمى بذلك الموضع خوارزم ، لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم فصار خوارزم<sup>(٥)</sup> .

وقد اتفق الجغرافيون المسلمون في تحديددهم لاقليم خوارزم فذكروا أن حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية ، ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك أيضا<sup>(٦)</sup> .

---

(٣) لي سنرائج : « بلدان الخلافة الشرقية » ٤٨٩ — ٤٩٠ .

(٤) الفرسخ يساوي ثلاثة اميال .

(٥) ياقوت : « معجم البلدان » ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

(٦) الاضطخري : « المسالك والممالك » ، ص ٢٦٩ .

ابن حوقل : « صورة الارض » ، ص ٤٧٧ .

ويقع اقليم خوارزم فى وقتنا الحاضر ضمن الاتحاد السوفيتى  
ووزعت بين جمهوريتين هما أوزبكستان وتركمانستان السوفيتيتين وذلك  
بعد غزو الروس لها وخلعهم أميرها خان خيوة السيد عبد الله خان  
بهادر سنة ١٩٢٤ م<sup>(٧)</sup> .

ان دراستنا للتطور التاريخى لمنطقة خوارزم يدفعنا الى الدخول  
فى حركة الفتوحات الاسلامية التى انبعثت من عهد الرسول صلى الله  
عليه وسلم حينما حدثت غزوتى مؤسدة وتبوك اللتان كانتا بداية على  
الطريق ، ثم اكتمل نموها ونضجها بعد انتقال الرسول صلى الله عليه  
وسلم الى الرفيق الأعلى ، وقيام الخلفاء الراشدين بأمر الأمة  
الاسلامية .

وتعددت ميادين الفتح الاسلامى فى الشمال والجنوب والشرق ،  
وحققت انتصارات ضخمة أذلت بها دولتى الفرس والروم فسبقت  
الأولى ، وانحصرت الثانية ، وبلغت جذوة الفتوح الاسلامية ذروتها على  
عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والمعروف أنه بعد سقوط المدائن ونهاوند أن المقاومة الفارسية  
تركزت حول كسرى يزديجرد ، الذى فر من بلاده ليجمع قواته لمهاجمة  
المسلمين الذين ظلت جنودهم تتعقبه تريد أن تنال منه<sup>(٨)</sup> .

معنى هذا أن المسلمين نجحوا فى الاستيلاء على الأقاليم الفارسية،  
فتوجهوا صوب مدن خراسان ، وكان على قيادة الجيش الاسلامى الأحنف  
ابن قيس ، وبعدها أصبحوا وجها لوجه مع العناصر التى تعيش فيما  
وراء النهر ومعظمها عناصر تركية ، وقد كتب الأحنف بن قيس الى عمر

---

(٧) بارانسكى : « جغرافية الاتحاد السوفيتى » ، ص ٣٢٥ — ٣٣٠ .

(٨) شكرى فيصل : « حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول » ،

يخبره بفتح خراسان، فقال « لوددت أنى لم أكن بعثت اليها جندا ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر فقال على ولم يا أمير المؤمنين فقال لأن أهلها سيفضون فيها ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب الى أن يكون بالمسلمين »<sup>(٩)</sup> . ويقال بأنه لما بلغ عمر بن الخطاب غلبه الأحنف بن قيس على المروتين<sup>(١٠)</sup> وبلغ كعب الى الأحنف ، « أما بعد فلا تجوزن النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتكم بأى شئ دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتفضوا »<sup>(١١)</sup> .

ولما بلغ الأحنف عبور خاقان الصغد نهر بلخ . مددا ليزدجرد جمع جنده ، وقال انكم قليل ، وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، « فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »<sup>(١٢)</sup> ارتحلوا من مكانكم هذا فاستنثروا الى هذا الجبل ، فاجعلوه فى ظهوركم ، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجه واحد ففعلوا ، وأقبل الترك حتى نزلوا بهم ، وكان من عادة الترك أن لا يخرجوا حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كلهم يضرب طبلة ثم يخرجون بعد خروج الثالث ، فلما كان وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب بطلة ، ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الأحنف فقتله ، وخرج آخر من الترك ففعل مثل صاحبه الأول فحمل عليه الأحنف فقتله ، ثم خرج ثالث فحمل عليه الأحنف فقتله ثم انصرف الأحنف الى معسكره دون أن يعلم أحد بذلك ، فخرج الأتراك بعد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين فتشأع خاقان وتطير وقال قد طال مقامنا ، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط ، ما لنا فى قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا .

---

(٩) الطبرى : « تاريخ الرسل والملوك » ، ج ٤ ، ص ١٦٨ .

(١٠) مرو الروذ ومرو الشاهجان .

(١١) الطبرى : نفسه .

(١٢) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

وفى عهد عثمان بن عفان توجه الأحنف بن قيس الى طخارستان فتح الطالقان ، صلحا ، وسار الى بلخ ، فصالحه أهلها ثم سار الى خوارزم ، وعبر نهر جيحون فصالحه أهالى ما وراء النهر (١٤) .

ويورد البلاذرى روايات متعددة عن عبور العرب النهر فيقول ان عبد الله بن عامر عبر النهر وأحرم لله شكرا ، ويضيف قائلاً أن الحكم بن عمرو الغفارى هو أول من صلى وراء النهر (١٤) ، ويقول فى وضع آخر أن سعيد بن عثمان هو أول من قطع النهر بجنده (١٥) ، يقول أيضا بأن يزيد بن معاوية ولى سلم بن زياد فصالحه أهل خوارزم على أربعمائة ألف ، وحملوها اليه وقطع النهر ومعه امرأته وكانت أول عربية عبر بها النهر ، على الرغم مما ذكر حول هذا الموضوع فان عبور النهر حسبما أشار اليه البلاذرى لا يعنى الفتح الحقيقى لهذه البلاد ، انما يبدأ مع بداية عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الا أن ما حصل من اقتحام خاقان الترك للنهر انما هو لمجابهة العرب مساعدة منه ليزدجرد ، لكنه لم يظفر بشيء فعاد أدراجه من حيث أتى .

ويهمنا الآن أن نلقى نظرة على أن المسلمين فيما بعد وخاصة على عصر الوليد بن عبد الملك بدعوا يعدون العدة لغزو البلاد الشرقية خاصة الشغور التركية فيما وراء النهر .

وقبل أن ندخل فى حديث الفتح المنظم على يد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلى هناك ملاحظات لابد أن نوردها وهى :

الملاحظة الأولى ، التداخل والتعقيد ، وسببه أن هذه الفتوحات مرت فى أدوار مختلفة ، لم يكن هذا الفتح الذى بدأ الخطى الى غايته

---

(١٣) الطبرى : نفسه .

(١٤) البلاذرى : « فتوح البلدان » ج ٥ ، ص ٤١٦ .

(١٥) نفسه ، ص ٤١٧ .

ثم لم يرجع عنها كما كان الحال في فتح الشام أو فتح مصر مثلاً وإنما هي فتوح أدركتها الفتن الداخلية (١٦) .

والسبب الثاني أن هذه الفتوحات في هذا الانسحاب كانت كالموجة تكون لجتها في موضع حيث يكون عظم الماء ، وتكون ذيولها وأطرافها في موضع آخر بعيد ، فلم تتركز دائماً في مكان واحد ، ولكنها كانت تنساب في أكثر من مكان (١٧) .

والسبب الثالث يرجع إلى هذا البعد البعيد الذي اتساق إليه المسلمون فما من شك أن خطوط ما بينهم وبين مراكزهم التي انطلقوا منها استطالت وامتدت .

والسبب الآخر كثرة الانتفاض والارتداد ، ولم تكن هذه الانتفاضات شراً على المسلمين دائماً ، ولكنها كانت خيراً لهم في بعض الأحيان ، وكانوا يفيضون منها أن يجتروا على فتح ما كانوا صالحوا عليه أو على فتح ما لم يتقدموا في فتحه (١٨) .

قد ظل الحال على ذلك في هذه البلاد ، ما بين انتفاض وارتداد إلى أن قامت الدولة الأموية بعد الاضطرابات السيامية التي مر بها العالم الإسلامي على عهد عثمان بن عفان ، وما بعده حتى آل الحكم إلى معاوية بن أبي سفيان ، الذي انتقل بخلافته إلى دمشق موطداً العزم على برنامج إصلاحى داخلي وخارجي .

وقد كان مجال الفتوحات طوال عهد معاوية بن أبي سفيان موجهاً صوب البيزنطيين على جبهات الشام وإفريقيا والبحر المتوسط . واعتمدت

---

(١٦) شكرى فيصل ، ص ١٩٨ .

(١٧) نفسه .

(١٨) نفسه .



سياسة الأمويين فيما بعد معاوية الى ضرورة القضاء على الفتن الداخلية والحركات الدينية والسياسية في البلاد ، وقد انقضى زمان يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم في هذه المشاكل ، حتى نجح عبد الملك بن مروان ٩٩/٨٦ هـ في القضاء عليها نهائيا ، ونظم أمور دولته ثم رسم سياسته لاستكمال الفتوحات الخارجية لتوطيد الاسلام في مختلف الجهات .

ففي الوقت الذي ارتقى فيه الوليد عرش الخلافة كان الحجاج ابن يوسف أميرا على العراق آنذاك ، وضمت اليه جميع ولايات المشرق ، وكانت الشغور الشرقية معرضة دائما لهجرة الأتراك الطبيعية من آسيا الوسطى وغير مأمونة من غاراتهم ، ولهذا فكر الحجاج جديا في وضع حد لهذه الغارات ، وبذلك تصبح هذه البلدان المجاورة لهم ، فولى قتيبة ابن مسلم الباهلي ولاية خراسان ، وطلب اليه فتح بلاد ما وراء النهر وفي هذا يقول بارتولد « أحرز العرب أهم انتصاراتهم في آسيا الوسطى أثناء ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان » (١٩) .

وكان الحجاج قد ولى يوسف بن المهلب بن أبي صفرة ولاية خراسان سنة ٨٠ هـ ، فغزا غزوات كثيرة في بلاد الترك ، وفتح كثيرا من البلدان كما يقول البلاذري (٢٠) ، وعلى الرغم من كل ما بذله المسلمون من جهود لفتح بلاد ما وراء النهر إلا أن تقدمهم كان بطيئا ، ولم تنوطذ أقدام المسلمين في هذه المنطقة إلا حينما ولى الحجاج قتيبة سنة ٨٦ هـ (٢١) . فلما وصل الى مرو أعاد اليها لأمن والاستقرار ، واستعد لفتح

---

(١٩) بارتولد : « تاريخ الترك في آسيا الوسطى » ، ص ٣٧ .

(٢٠) البلاذري : « فتوح البلدان » ج ٣ ، ص ٥٠٤ .

(٢١) أفاد قتيبة بن مسلم من جهود المهلب بن أبي صفرة وابنه يوسف ابن المهلب ، وأعاد من غزوات من قبله ، غير أنه كان تسببا خاصا من الرجال وكان عمله في الفتوح ، ونجاحه فيها عملا فريدا حاول المؤرخون أن يتعرفوا أسبابه منها مساندة الحجاج له ، وتوحيده للقبائل العربية ، وتقريبه من الغرب . انظر :

Gibb. «The Arab Conquest in Central Asia». pp. 29—30.

بلاد ما وراء النهر ، فلما سار اليها قتيبة سارع الأتراك من بخارى والصغد لانجاد اخوانهم<sup>(٢٢)</sup> .

والمعروف تاريخيا أن سكان حوض النهر ، وسكان الصغد ليسوا تركا في الأصل فهم إيرانيون يتكلمون لغة إيرانية<sup>(٢٣)</sup> وفي فترة الفتوح هذه كان الأتراك قد وسعوا مملكتهم في اتجاه الغرب على عهد قابغان قاغان الذي يدعوه الصينيون متشوى بد أن حرروها من السيطرة الصينية ، واستقر واحد منهم بوصفه طرخانا في سمرقند عاصمة بلاد الصغد فيما وراء النهر على الضفة الجنوبية من الزرفشان « نهر الصغد ونهر الصغانيان » وعلى الضفاف السفلى من هذا النهر تقع بخارى حيث كانت إحدى الأسر التركية الحاكمة تبسط سلطانها على رعية مختلطة فارسية وتركية<sup>(٢٤)</sup> .

وترجع الأسباب المباشرة ، والتي دعت قتيبة بن مسلم للاتجاه شرقا صوب خوارزم بعد استيلائه على الأراضي الفارسية الى ما رواه البلاذري فهو يطلق على منطقة خوارزم اسم خارزم ، وقد شاركه مجموعة كبيرة من المؤرخين المسلمين الرأي على أن ملك هذه البلاد يوسف المدعو جنغان ، وقابغان<sup>(٢٥)</sup> كان ضعيفا ، لذلك غلبه أخوه خر زاد حتى أن الملك لم يكن له أمر ولا نهى في البلاد<sup>(٢٦)</sup> ، حتى أن الطبري

---

(٢٢) عبد العزيز الميلم : « نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية » ، ص ١٨٢ .

(23) Gibb (H.A.R).

The Arab Conquest in Central Asia. p. I.

(٢٤) بروكلمان : « تاريخ الشعوب الإسلامية » ج ١ ، ص ١٦٤—١٦٦ .

(٢٥) أبي محمد أحمد بن أعثم : « كتاب الفتوح » ج ٧ ، ص ٢٣٥ .

وكان يطلق عليه في المصادر الإسلامية قبعان ، قابغان ، قانمان .

(٢٦) نفسه .

يذكر أن هذا الأخ كان يحتال ويستولى على ممتلكات أخيه الملك وتعدى ذلك الى المتاع الشخصى كالجوارى والدواب ، بل وصل به الحال الى القيام باغتصاب النساء والفتيات « فكان اذا بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل اليه فغصبه وخذ ما شاء وحبس ما شاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنعه الملك » (٢٧) . لذلك استاء الملك من سلوك أخيه ، ورأى أن يكتب الى قتيبة يدعوه سرا ليسلم اليه البلاد ولم يطلع أحد من مرابطته ولا دهاقينه على ما كتب حتى أنه بعث بمفاتيح البلاد المصنوعة من الذهب « بل بذل له مائة ألف رأس ومتاعا سماه له فى كتابه على أن يدفع اليه أخاه ويملكه فى بلاده » (٢٨) .

ولا ينفى المؤرخون المسلمون عن قتيبة أنه كان يستعد لغزو هذه البلاد والأطراف ، وهذا كان ضمن الخطة التى رتبها مع الحجاج بن يوسف الثقفى . فيؤكد بن أعثم والطبرى على أن الوقت الذى وصل فيه رسول الملك قابغان كان نهاية الشتاء « فى وقت قد تهيأ فيه قتيبة للغزو » (٢٩) وقد اشترط على قتيبة فى حالة انتصاره أن يسلمه أخاه وجميع أعداءه داخل بلاده لينتقم منهم ، وفى نظير ذلك « سيسلمه مائة ألف رأس ومتاعا سماه له فى كتابه » (٣٠) .

عندئذ تجهز قتيبة لاستكمال الدور الذى بدأه فى بلاد المشرق ، واتخذ من هذه الظروف سببا مباشرا للتوجه بالحملة صوب منطقة خوارزم ، فأعلن على جنوده أنه يستعد لغزو بلاد الصفد ، حتى لا تنتسب أنباء الحملة الى الخوارزميين ، وفعلا تأكد أهل البلاد أن

---

(٢٧) الطبرى : « تاريخ الرسل » ج ٨ ، ص ٨٣ ، ابن الأثير : « الكامل » ج ٤ ، حوادث سنة ٩٣ هـ .

(٢٨) ابن أعثم : « كتاب الفتوح » ، ص ٢٣٥ .

(٢٩) البلاذرى : « فتوح البلدان » ، ص ٥١٨ .

الطبرى نفسه .

(٣٠) ابن أعثم ، ص ٢٣٥ .

قتيبة خرج الى الصغد فعلا حتى أن خر زاد « قال لأهل مملكته ان قتيبة يريد السفر وقد أمنت من حربه وأن يغزوكم فى هذه السنة » (٣١)

استخلف قتيبة على مرو ثابتا الأعور مولى مسلم ، وقد نجح هذا المولى فى أن ينشر الخبر بين المرازبه والدهاقين من أهل البلاد بفكرة خروج قتيبة الى الصغد .

وكان لهذه الخطة أثرها فى إبراز عنصر المفاجأة للعدو اذ ما لبث أهل خوارزم أن وجدوا قتيبة وجيشه المسلم قد عبروا النهر ، ووصلوا الى مدينة هزار سب (٣٢) لذلك فزع أهل البلاد فزعا شديدا ، واقبلوا على الملك قابغان ليرى رأيه فى هؤلاء المسلمين .

وهنا يختلف الرأى بين الطبرى وابن أعثم حول الموقف الذى وقفه أهل البلاد من قتيبة . فبينما يرى الطبرى أن المسلمين عندما وصلوا الى أبواب خوارزم قال ملكهم لأهله « ما ترون قالو نرى أن تقاتله » (٣٣) لكن الملك رفض قتاله بحجة أنه ليس له طاقة بحرب قتيبة وجيش المسلمين ، لما يعرفوه عنهم من ضروب الشجاعة والصبر على القتال وما أبلوه من انتصارات على الجبهة الشرقية وقال « قد عجز عنه من هو أقوى منا » (٣٤) . ورأى أن يبذل المال لقتيبة ، ويصرفه عن البلاد فوافق أهل البلاد على رأى الملك ، لذلك اجتمع قتيبة بالملك جنغان خوارزم شاه فتوجها الى مدينة الفيل « سمرقند » (٣٥) ثم نزلا

---

(٣١) ابن أعثم : « كتاب الفتح » ج ٧ ، ص ٢٣٦ .

(٣٢) الطبرى ، نفسه ، ابن الأثير ، ج ٤ حوادث سنة ٩٣ هـ .

(٣٣) نفسه ، ابن الأثير : الكامل .

(٣٤) نفسه .

(٣٥) مدائن خوارزم ثلاث مدائن يحاط بها فارقين ، ومدينة الفيل أحصنها .

انظر البلاذرى : « فتوح البلدان » ج ٣ ، ص ٥١٨ .

عند هزارسبم التى يفصل بينها وبين مدينة خوارزم نهر بلخ • وهناك تم الصلح بين الطرفين على أساس أن يدفع خوارزمشاه لقتيبة « عترة آلاف رأس وعين ومناج » (٣٦) • وطلب خوارزمشاه فى نظير ذلك من قتيبة أن يساعده على الاستيلاء على منطقة خام جردو وأن يملكه اياها اضافة الى خوارزم ، فوافق قتيبة ، وبعث بأخاه لى ملك خام جردو وكان عدوا لخوارزم شاه ، فقاتله ، وقام عبد الرحمن بمسلم بقتل الملك ، والاستيلاء على بلاده ، وسير عددا كبيرا من الأسرى معه الى قتيبة ، الذى قام بضرب أعناقهم ، وسلم البلد الى خوارزم شاه ، كما أنه قام بقتل أخيه جرداذ ليصفوا الملك للملك الأسمى (٣٧) •

هذه رواية الطبرى فى هذا الموضوع ، أما ابن أعمم الكوفى ، فتختلف روايته عن روايته الطبرى فى تفاصيل كثيرة منها أن قتيبة عندما وصل الى حدود خوارزم ، واتجه أهل البلاد نحو ملكهم ليطلبوا منه مقاتلته ، رفض أن يجيبهم بشيء بل حولهم الى أخيه جرداذ قائلاً « الراى ههنا لأخى جرداذ فصيروا اليه » (٣٨) ، فتوجه أهل البلاد الى جرداذ عندئذ تيقن جرداذ بأن أخاه قابغان خوارزم شاه قد كاتب قتيبة ، فهم بقتله ، لكنه خشى من انتقام أهل البلاد ، لذلك نادى نداء الحرب ، وخرجوا للملاقاة قتيبة ونزلوا عند موضوع يقال له « فنك » (٣٩) ونزل قتيبة قريبا منهم ، ودارت معركة بين الطرفين ، سلم خلالها قابغان الى قتيبة مدينتين من مدن خوارزم ، بل انه انضم الى جيش المسلمين ، كذلك حوَصر جرداذ فى المدينة الثالثة من مدن خوارزم وأُضطر الى طلب الأمان وكتب الى قتيبة « أنا أيها الأمير عبدك ،

---

(٣٦) الطبرى : نفسه حوادث سنة ٩٣ هـ ، ابن الاثير : نفسه •

(٣٧) ابن الاثير : « الكامل » ج ٤ ، حوادث سنة ٥٣ هـ •

(٣٨) ابن أعمم : « كتاب الفتوح » ج ٧ ، ص ٢٣٦ •

(٣٩) قرية بينها وبين سمرقند نصف فرسخ •

فاصطنعنى واستبقنى ، فنعم العبد أنا لك » (٤٠) فبعث اليه قتيبة رسولا من قبله يبلغه بأن اذا رضى أخاه قابغان بتأمينه فسينفذ ذلك فوراً ، لذلك أرسل جرذاذ الى أخيه يطلب منه الأمان قائلاً « أيها الأمير انه ليس فى عسكريك أحد يطمع أن يعيش خمسين سنة ، قد علمت أن مصيرى الى الموت ، وليس مثلى فى ذلك لأخيه ، وانما أحببت أن أكون لك لا لغيرك ، والقتل أحب الى من الطلب الى أخى ، فان مت أو قتلت ، فانه قد مات من كان أنبل منى وأشد منى ملكاً وتجبوا والسلام » (٤١) .

ورغم توسل جرذاذ الى قتيبة والى أخيه الا أنهما لم تستجيبا له ، بل واصلتا قتالهما ضده ، وما هى الا ساعة واحدة حتى انهزموا ، وسيف جرذاذ أسيرا الى معسكر قتيبة وخوارزم شاه ، حيث تم قتله ، لكن الملك لم يرضى بذلك فقط ، بل طلب من قتيبة أن يقتل جميع معاونى أخاه ، لذلك سلمهم قتيبة الى الملك ليرى فيهم ما يشاء ، فضرب الملك أعناقهم جميعاً ، وسلم جميع أموالهم الى قتيبة ، ووفى بجميع التزاماته التى التزم بها لقتيبة ، فبعث قتيبة بخمس الأموال الى الحاج بن يوسف ووزع الباقي على جنود المسلمين (٤٢) .

أما عن مصير الملك الخوارزمى ، فقد عينه قتيبة على بلاده الا أن أهل البلاد رفضوا هذا التعيين ، واتهموا ملكهم بالضعف « فوثبوا على الملك فقتلوه » (٤٣) فقام قتيبة بتعيين أخاه عبيد الله بن مسلم على منطقة خوارزم .

---

(٤٠) ابن اعثم : نفسه ، ص ٢٣٧ .

(٤١) نفسه .

(٤٢) ابن اعثم : نفسه .

البلاذرى : نفسه ، ص ٥١٨ .

(٤٣) البلاذرى : نفسه .

ورغم أن هذه المناطق لم تستقر بها الفتوحات الا فيما بعد الا أن قتيبة قد استعان بأهل البلاد في استكمال فتوحاته ببلاد المشرق فقد عبر اليهم سنة ٩٤ هـ « وفرض على أهل خوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه ووجههم الى الثشاش » (٤٤) .

وبهذا نرى أن قتيبة كان هو القائد والبطل السياسى الذى نجح فى أن ينشر الاسلام فى هذه البقاع التركية ، لتبدأ من أيامه الممالك الاسلامية هناك ، « فقد نجح أن توجه بخارى وسمرقند ، وخوارزم لتكون مراكز للثقافة العربية ، ومنابت لغرس الاسلام فى آسيا الوسطى ، كما كانت مرو ونيسابور فى خراسان » (٤٥) .

ولكن للأسف فقد تضاعف المجد الذى حققه قتيبة بعد مقتله على يد رجال سليمان بن عبد الملك من ٩٦ — ٩٩ هـ ، فلم يرزق الأمويون بخليفة كالوليد ، ولا بحاكم للمراق كالحجاج ، ولا بقائد كالمهلب وقتيبة ، وشغل سليمان عن ذلك كله بحصار القسطنطينية الذى أرقه واستنفذ قواه ، كما شغل عنه بالانتقام من قواد أخيه الوليد الثلاثة الذين ارتضوا بيعة عبد العزيز بن الوليد من دون سليمان (٤٦) ويذكر جب « أن موت قتيبة لم يكن توقفا للفتوحات العربية فى آسيا الوسطى مدى ربع قرن ، لكن كان بدء انحسار وتراجع » وقد أهملت خوارزم كقوة عسكرية طوال العصر الأموى واتخذت معسكر (٤٧) .

ومن أبرز الولاة المسلمين الذين تولوا هذه الأراضى التركية كان سعيد بن حذيفة ، وقد عينه مسلمة بن عبد الملك على خراسان وقام بغزو الأراضى التركية ، والقضاء على حركات التمرد بها ، وهناك أيضا سعيد

---

(٤٤) ابن الاثير : نفسه ، حوادث سنة ٩٤ هـ .

(٤٥) حنى « تاريخ العرب » ، ص ٢٧٥ .

(٤٦) شكري فيصل : « حركة الفتح الاسلامى » ، ص ٢١٨ .  
(47) Gibb, op. cit., p. 54.

ابن عمرو الحرشي الذي عينه عمر بن هبيرة على هذه الأراضي خلفا لحذيفة ثم خلفه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، وأسد بن عبد الله القسري<sup>(٤٨)</sup> .

ويهمنا من أمر هؤلاء المسلمين أمر نصر بن سيار الكناني الذي أعقب أسد بن عبد الله القسري على خراسان ، والذي أناب عنه في حكم خوارزم أبا حفص بن علي ختته .

وقد كان اختيار نصر على خراسان اختيارا موفقا من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك . لأنه لم تكن لنصر عصبية قبلية في خراسان وكان يستطيع أن يتصرف بحياد ونزاهة وهما أمران يحتاجهما هذا الاقليم أشد الاحتياج<sup>(٤٩)</sup> لذلك قام بهجمات كثيرة على أرض الترك وغزاهم وأدب الخارجين ، وخضعت هذه المناطق له طوال ولايته .

ولا أدل على دوره من قمعه لمعركة الحارث بن سريح فقد كان من العرب الذين جاهدوا الأتراك الوثنيين ، وبعد ذلك اعتنق مذهب المرجئة ، وخرج على الحكم لأموى سنة ١١٦ هـ ، وقد انضم بعد ذلك الى الدعوة العباسية ولبس السواد شعارهم . . حتى انتهى الأمر بقتله<sup>(٥٠)</sup> .

على أن ثورة الترك في ما وراء النهر كانت بدورها قد خمدت نتيجة التدابير الإصلاحية والأعمال العسكرية التي قام بها نصر بن سيار هناك والهدوء الذي تمتعت به تركستان في عهده القصير ، لم يكن كله هدوء الرضى والاطمئنان بدليل أن الأتراك المقيمين سرعان ما تجاوب بعضهم مع الصيحة العباسية وثورة أبي مسلم ، ويبدو أن أعدادا منهم قد انضوت في يسر وسرعة تحت راية العباسيين السوداء التي رأوا فيها

---

(٤٨) انظر تفاصيل ذلك ابن الأثير : « الكامل » ج ٤ حوادث سنة ٢٠٢ الى ٢٢٠ هـ .

(٤٩) نبيه عاقل : « تاريخ خلافة بنى أمية » ، ص ٣٢١ .

(٥٠) الطبري ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ .



بعثا لراية الحادئ بن سريج ، وتحقيقا لحلمه ، وقد قاتلوا فى ايران كما قاتلوا تحت قيادة قتيبة الباهلى فى العراق<sup>(٥١)</sup> .

وقد كانت خوارزم من المناطق التى وصل اليها الدعاة والنقباء ومعظم من وصل اليها من العرب<sup>(٥٢)</sup> . لذلك كان على نصر أن يقف أمام هذا الجهد العباسى الكبير ، فبقى على ولائه للامويين ، بينما استطاع أبو مسلم الخراسانى فيما يبدو أن يكسب الى جانبه بسهولة بعض العناصر التركية فيما وراء النهر ومن خوارزم بالذات وقد حاربت بجانبه تحت الراية السوداء<sup>(٥٣)</sup> . ويبدو أن هذه المشاركة التركية الأولى الناجحة تركت فى الخيال الشعبى التركى أصداء عميقة من الفخر ظهرت فيما بعد فى كثير من الأغانى الشعبية .

وقد ظلت خوارزم فى العصر العباسى الأول ضمن نطاق الحدود الاسلامية ولكنها مثل غيرها من الثغور التركية ظهرت بها حركات وثورات مثل ثورة أستاذ سيز سنة ١٥٠ هـ والذى شملت ثورته جميع خراسان وهرات وبلاد الترك ثم سحقت الثورة بعد عام واحد ، ثم ظهرت ثورة المقتنع أو المقتنعية سنة ١٥٩ هـ — ١٦٣ هـ وقد قامت بعد وفاة المنصور بسنة واحدة واستمرت فى عهد ابنه المهدي<sup>(٥٤)</sup> .

على أن أخطر ما تعرضت له الحدود العباسية — التركية هو ذلك الحلف التركى — الخراسانى الذى ظهر فى ثورة رافع بن الليث حفيد نصر بن سيار فى خراسان ، فقد استتباع رافع سنة ١٩٣ هـ أن يستميل أهل الشاش وفرغانة وأهل خجنده وأشروسنه والصغانيان وبخارى وخوارزم وختل وغيرها من كور بلخ وطخارستان والمصغد وما وراء النهر

---

(٥١) شاكر مصطفى : « دولة بنى العباس » ج ١ ، ص ١١٢ .

(٥٢) نفسه ، ص ١٢٢ .

(٥٣) فامبرى : « تاريخ بخارى » ، ترجمة السادانى ، ص ٧٨ .

(٥٤) الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ — ٤٦٤ .

والترك والخرلخي ثغزغز وجنود التبت وغيرهم ، واستنصرهم على قتال السلطان وقتال المسلمين وسار الى سمرقند وتحصن بها<sup>(٥٥)</sup> . حيث حاصره هوثمة بن اعين بعد أن خرق السور الأول للمدينة ، ولا شك أن هذا الحلف انما قام على أساس الكره المشترك للتسلط العباسي ، وتعتبر ثورة اجتماعية دينية وقد نجح هوثمة بن أعين في هزيمة رافع في واقعة فتح بعدها بلدة بخارى . ويبدو أن المأمون الذي كان يرافق أباه أراد تهدئة أبيه والثورة ، اذ كتب الى أبناء أسد بن سامان وكانوا فيما يبدو من أكبر بيوت ما وراء النهر ، فأمرهم بمعونة هوثمة على رافع ، ولكن هؤلاء الأبناء فضلوا المسعى السلمى فحملوا رافعا على عقد صلح مع هوثمة أيذوه بمصاهرة بينهما<sup>(٥٦)</sup> .

وقد ظل السامانيون يتولون الثغر الشرقي في بلاد ما وراء النهر نيابة عن الطاهريين أصحاب الحق الشرعى في حكم هذه المناطق الى أن انقرضت الدولة الطاهرية على أيدي الصغاريين سنة ٢٥٩ هـ . فأصدر الخليفة المعتمد أمرا بتعيين نصر بن أحمد الساماني أميرا على ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ<sup>(٥٧)</sup> .

وقد وضح دور خوارزم في هذه الآونة اذ خرجت حملات كثيرة من منطقتهم لتغير على بخارى ، فيحدثنا الفرشخي عن غزوة للخوارزميين ربيع الثانى سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م ، ويذكر أن الخوارزميين أنزلوا في هذه الغزوة الخراب والدمار ببخارى ، على أن قائد الخوارزميين سرعان ما اضطر الى الفرار والانسحاب ، ومع ذلك ظل الاضطراب والفوضى على ما كانت عليه بخارى من قبل<sup>(٥٨)</sup> .

---

(٥٥) اليعقوبى : « تاريخ اليعقوبى » ج ٢ ، ص ٤٣٥ — ٤٣٦ ،

الطبرى : « تاريخ الرسل » ، ج ٨ ، ص ٣٨٣ .

(٥٦) الفرشخي : « تاريخ بخارى » ، ص ١٠٥ .

(٥٧) ابن الاثير : « الكامل فى التاريخ » ج ٦ ، حوادث سنة ٢٦١ هـ .

(٥٨) الفرشخي : « تاريخ بخارى » ، ص ٧٤ .

وفى أثناء الحرب التى نشبت بين حسين بن طاهر الخوارزمى وبين أهالى بخارى استطاع أن يستولى على المدينة بعد قتال دام خمسة أيام وغدر بأهل بخارى ونهب مدينتهم ، ثم أخذ الخوارزميون يسرقون الأموال وما تقع عليه أيديهم ، ويسطون على المنازل ويرتكبون جرائم كثيرة ، فقام أهل بخارى بثورة عنيفة ضد هؤلاء الغزاة ، وقامت الحرب بين الفريقين التى قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، وأحرقت المدينة وأشعلت فيها النيران<sup>(٥٩)</sup> . وأبدى أهل بخارى من القوة والمثابرة والعزم على القتال دفاعا عن مدينتهم ما جعل قائد جيش الخوارزميين يضطر الى اعلان وقف القتال واصدار بيان بالأمان ، وعندئذ تفرق أهل بخارى ذين كانوا على أنتم الاستعداد للقتال وعاد بعضهم الى القرى<sup>(٦٠)</sup> .

ولم تكن هذه الا خدعة حربية لجأ اليها حسين بن طاهر الخوارزمى ازاء تصميم أهل بخارى على الدفاع عن أنفسهم ، فنكس بعهدہ وأعمل فيهم السيف وقتل كثيرا منهم فنار الناس فى بخارى مرة أخرى ، وواصلوا الحرب طوال النهار وحاصروا بيته ليلا لالقاء القبض عليه ، فأغلق عليه بابه بعد أن هزموه شر هزيمة .

وكان قائد الخوارزمية ، قد استولى على أموال بخارى ، وأخذ خزائن النقود وجعلها فى بيته ، وعندما علم شدة الحصار المضروب من حوله هرب ليلا هو وحاشيته وترك الأموال ، ولما علم الشعب بذلك هجم على البيت واستولى على تلك الأموال ، وبهذا استطاع أهل بخارى أن يتخلصوا من هذا الثائر الذى قاد الخوارزميين للاستيلاء على بخارى ونهب خيراتها .

والثابت تاريخيا أنه عندما توفى أحمد بن أسد استخلف ابنه نصر

---

(٥٩) نفسه ، ص ٧٥ .

(٦٠) نفسه .

على أعماله بسمرقند وما وراءها فبقى عاملاً عليها الى آخر الدولة الطاهرية<sup>(٦١)</sup> .

وقد تولى اسماعيل بن أحمد الساماني بخارى من قبل أخيه نصر ابن أحمد وبعدها كاتب رافع بن هرثمة والى خراسان على أن يولييه خوارزم وأعمالها فولاها إياها<sup>(٦٢)</sup> .

وقد ظلت خوارزم فى يد اسماعيل بن أحمد ، وأسرتة من بعده الى عهد نوح بن منصور الذى قام فى عهده شهاب الدولة هرون بن سليمان أيلك المعروف ببغراخان التركى صاحب كاشغر وبلاساغون — بالاستيلاء على مدينة بخارى التابعة للسامانيين ولكنه عندما نزل هذه المدينة ، فانتقل عنها نحو بلاد الترك بعد أن تمكن أهل المدينة من بقية جيشه ففتكوا به وغنموا أموالهم<sup>(٦٣)</sup> . أما بغراخان فلم يلبث أن توفى بعد انسحابه . وعادت بخارى الى الأمير نوح بن منصور .

أما مدينة خوارزم فقد كان عليها أبو عبد الله خوارزمشاه الذى تعرض للقتل على يد رجال الدولة السامانية . وأصبحت خوارزم بعد ذلك تابعة لوالى الجرجانية مأمون بن محمد<sup>(٦٤)</sup> .

وقد ظلت منطقة خوارزم خلال هذه الفترة تعاني نفس الاضطرابات التى كانت تعانيها بقية الولايات فى نهاية العصر الساماني ، نسبة لتغلب الغزنويين عليهم ، وكذلك قيام ملوكهم الأواخر بالمحاولات اليائسة لوقف التفوق الغزنوى ، واستعانتهم بالأمراء الثائرين<sup>(٦٥)</sup> .

ويتضح لنا الآن أن خوارزم كانت تحت حكم مأمون بن محمد وهى

---

(٦١) ابن الأثير : « الكامل » ج ٦ ، ص ٤ حوادث ٢٦١ هـ .

(٦٢) نفسه .

(٦٣) نفسه ج ٧ ، ص ١٦٠ — ١٦١ ، حوادث سنة ٣٨٢ هـ .

(٦٤) نفسه ، حوادث سنة ٣٨٥ هـ .

(٦٥) نفسه ، حوادث سنة ٣٨٩ هـ .

J. J. Saunders «The history of the Mongol Conquest» p. 38.

ولاية مستقلة ، وظلت تحت حكمه حتى وفاته سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ،  
وبعدها بايع أصحابه ابنه على حاكما على بلادهم ، وظل يحكم هذه  
البلاد حتى وفاته فخلفه أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون ، وكانت  
تربطه بالسلطان محمود الغزنوي علاقة مودة وحب<sup>(٦٦)</sup> .

غير أن السلطان محمود بن سبكتكين اعترم ضم خوارزم الى  
حوزته فأرسل الى أميرها يطلب منه الاعتراف بسيادة الدولة الغزنوية  
على بلاده ، وذلك باقامة الخطبة له ، وارسال مبالغ معينة من المال  
الى حكومة غزنة الى غير ذلك من مظاهر الولاء والطاعة<sup>(٦٧)</sup> . فجمع  
مأمون أعيان وخوارزم ، واستشارهم في الأمر ، فأظهروا نفورا من ذلك  
وعدم استجابة ، وقالوا نحن أتباعك وأعوانك ، وأسلم لك الملك عن  
الاشتراك ، فأما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق  
خلعا لك وجهادا فيك<sup>(٦٨)</sup> ، فعاد الرسول الى السلطان محمود وأخبره  
بموقف أهل خوارزم المناهض للانصواء تحت لواء الدولة الغزنوية .

وكان لأمير خوارزم جيش شوى يرأسه كبير الحجاب ألبتكين  
البخارى ، فلما علم الجند بنوايا محمود الغزنوي نحو بلادهم ، وميل  
أميرهم الى طاعته صاحوا بأن ليس لمحمود سلطان علينا ، وتحركوا  
بخيولهم ، وتخلصوا من الأمير وأنصاره وأشعلوا النار في قصر الامارة  
سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ — ١٠١٧ م ونادوا بابن أخيه محمد بن علي بن  
مأمون أميرا على خوارزم ، وسيطر ألبتكين على أمور خوارزم ، وقد  
نحى هذا الأمير جانبا ، فإنه لم يكن يعرف من أمور الدنيا شيئا ، فكان  
ألبتكين وأعوانه يعملون باسمه ما يريدون من القتل وسلب الأموال ،

---

(٦٦) العتبي : « تاريخ اليميني » ج ١ ، ص ٢٥١ — ٢٥٣ .  
Saunders «op - cit».

(٦٧) ابن خلدون : « العبر » ج ٥ ، ص ٣٧١ .

(٦٨) العتبي : « تاريخ اليميني » ج ١ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤ .

ونهب البيوت ، ويشيعون الضغائن بينه بين الناس وظلوا يتحكمون في أمر خوارزم أربعة أشهر ساموا أهلها خلالها سوء العذاب<sup>(٦٩)</sup> .

استاء السلطان محمود الغزنوي من موقف جند خوارزم المناهض لتبعية البلاد له ، فسار الى خوارزم على رأس جيش كبير ، واشتبك مع جندها في معركة هزمهم فيها . وذلك بقتله خليفة أبي العباس ، وقبض على مثيري الاضطرابات ، وأمر بهم فسيقوا الى بلاد الهند<sup>(٧٠)</sup> . وضم السلطان خوارزم الى دولته ، وخاخ أميرها الصغير ، واستناب بها حاجبه أبا سعيد التونتاش ، فضبط أمورها ، وأعاد الأمن الى نصابه في هذه البلاد النائية القابعة على حدود الدولة الغزنوية ولقبه السلطان محمود خوارزمشاه واستطاع هذا الوالي الكفء حماية خوارزم من اغارات الترك ، وقبض على جميع أفراد لأسرة المأمونية<sup>(٧١)</sup> .

على أن أمر خوارزم لم يصف للدولة الغزنوية ، بعد هذا الانتصار الرائع الذي أحرزه السلطان محمود على ثوارها ، فقد جمع أحد أنصار الأسرة المأمونية جيشا كبيرا ، وانقض فجأة على خوارزم ، واستولى عليها ودارت حرب طاحنة بين جند الدولة الغزنوية ، وبين أنصار الأسرة المأمونية انتهت بسحق أنصار العهد السابق ، وتمزيقهم شرمزق ، بعدها عادت هذه البلاد الى الهدوء والسكينة ، وأمن أهلها في ظل الحكم الغزنوي ، وانتهت الى الأبد حكم آل مأمون لخوارزم<sup>(٧٢)</sup> .

ظل التونتاش يحكم خوارزم بحزم حتى وفاته سنة ٤٢٣ هـ فعهد السلطان مسعود الى ابنه هرون بن التونتاش يحكم خوارزم ، غير أن هرون خالف أباه في ولائه للدولة الغزنوية ، فقد اتخذ سياسة مناهضة

(٦٩) العتبي : نفسه ص ٢٥١ — ٢٥٥ .

(٧٠) ابن الاثير : نفسه ، حوادث سنة ٤٠٧ هـ .

(٧١) عصام عبد الرؤوف : « الدولة الاسلامية » ، ص ١٠١ .

(٧٢) نفسه ، ص ١٠٢ .

تكرار للسلطان مسعود ، وأعلن السلاجقة حربهم ضد الدولة الغزنوية ، بل أعد العدة للمسير الى خراسان ، وانفتراعها لنفسه ، لكنه قتل سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م فخلفه ابنه اسماعيل الذي أعلن الاستقلال عن الدولة الغزنوية<sup>(٧٣)</sup> . فعهد السلطان بولاية خوارزم الى شاه ملك — أمير جند — وطلب منه أن ينكل باسماعيل بن التونتاش وانصاره ، ويعيد البلاد الى الطاعة والولاء لغزنة .

سار شاه ملك الى خوارزم ، وطلب من اسماعيل وانصاره اخلاءها ، ولكن اسماعيل أرسل اليه يقول انه لا يتخلى عن خوارزم الا بالسيف فكان لابد من الحرب بين الفريقين ، وفعلا اشتبك شاه ملك مع اسماعيل في حرب انتصر عليه فيها ، واستعاد الحكم الغزنوي على هذه البلاد وولى حكمها من قبل السلطان مسعود<sup>(٧٤)</sup> .

### السلاجقة والخوارزميون

السلاجقة مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم الغز ، وكانت تسكن الهضاب الغربية من بحيرة خوارزم « بحر آرال » فتتزل بالقرب من الشواطىء الشرقية لبحر قزوين وفي الهضاب المحيطة بنهرى سيخون وجيحون ، وقد أطلق على هذه القبائل التركية اسم السلاجقة نسبة الى زعيمها سلجوق بن دقاق<sup>(٧٥)</sup> .

وقد بدأت هجرة هؤلاء الأتراك الغز تحت زعامة سلجوق من مواطنهم متجهين نحو بلاد ما وراء النهر سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م . وأقاموا بها متعاونين مع الدولة السامانية يجاهدون من وراءهم من الترك الكفار . ويساعدون السامانيين فى حروبهم مع خانات الترك وفى نزاعهم مع الغزنويين .

---

(٧٣) ابن الانبر : « الكامل » ، حوادث ٤٢٩ هـ .

(٧٤) نفسه .

(٧٥) عبد النعيم حسنين : « سلاجقة ايران والعراق » ، ص ١٧ .

والواقع أنهم دخلوا الاسلام على المذهب السنى ، وتحمسوا  
للاسلام تحمسا شديدا حتى أصبح لهم شأن عظيم فيما بعد •

ولعل جهود سلجوق مع السامانيين أتاحت له فرصة السيطرة  
على منطقة خصبية من بلاد ما وراء النهر ، وضمها الى امارته  
الناشئة<sup>(٧٦)</sup> •

ظل أمر السلاجقة فى صعود فى بلاد ما وراء النهر ، وكانت منازلهم  
فى الشتاء فى نور بخارى وفى الصيف فى صغد سمرقند • لكنهم بعد  
وفاة زعيمهم سلجوق اتجهوا الى خراسان بعد أن قبض محمود الغزنوى  
على زعيمهم أرسلان السلجوقى<sup>(٧٧)</sup> •

لم تتوقف أطماع السلاجقة عند هذا الحد ، بل أغار على اقليم  
خراسان ، وعندما اشتكى منهم أهل نسا ، وباورد عينهم ببلادهم سنة  
٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م حاربهم السلطان محمود الغزنوى وفرقهم فى بلاده  
سنة ٤٢٠ هـ<sup>(٧٨)</sup> •

وعندما لحقت الهزائم بالسلاجقة أذن لهم هرون بن التونتاش والى  
خوارزم بالاقامة فى اقليم خوارزم شتاء ، وأمر السلطان مسعود بن  
محمود الذى ولى بعد وفاة أبيه سنة ٤٢١ هـ شاه ملك والى جند بمهاجمة  
خوارزم والتخلص من السلاجقة ، فباغت شاه ملك السلاجقة على حين  
غفلة ، وشتت شملهم فهجروا خوارزم وتفرقوا فى بقية البلدان  
الاسلامية<sup>(٧٩)</sup> •

---

(٧٦) فامبرى : « تاريخ بخارى » ، ص ١٢٧ — ١٢٩ •

(٧٧) البندارى : « تريخ دولة آل سلجوق » ، ص ٥ •

(٧٨) ابن الاثير : حوادث سنة ٤٢٠ هـ •

(٧٩) عصام عبد الرؤوف : نفسه ، ص ١٠٨ •

Saunders «op - cit» p. 39.



وقد حاول هؤلاء السلاجقة أن يتحالفوا مع السلطان مسعود السلجوقي لأنه خافهم لما يعرفه من أطماعهم .

وقد حدث صدام بين السلاجقة ووالى نيسابور فاعده الغزنويين فى خراسان فدخلوا معه فى حروب اضطرت فيها الى الاستعانة بقوات السلطان مسعود الذى تولى بعد أبيه محمود ، غير أن السلاجقة حققوا نصرا كبيرا على قوات نيسابور ثم على مسعود نفسه بعد ذلك ، واضطروه الى عقد الصلح معهم (٧٨٠) .

بعد هذا الانتصار ، اتخذ السلاجقة من فترة الهدنة وقتا لالتقاط الأنفاس وليكسبوا شيئا من البلاد يعترف السلطان بحقهم فى ولايتها ، ولكن بعد أن أمنهم السلطان مسعود ، واعطاهم بعض الولايات مثل نسا وفراوة وغيرها نقض الصلح معهم ، وأمر والى خراسان بمحاربتهم الا أنهم انتصروا عليه سنة ٤٢٩ هـ ودخل طغرل بك مدينة نيسابور معلنا قيام دولة السلاجقة (٨١) .

لم يستسلم السلطان مسعود لهذا النجاح السلجوقي بل قرر شن الحرب عليهم ، لكنه هزم على يد طغرل فى موقعة داندانقان سنة ٤٣١ هـ ، وبهذه المعركة انفتح الطريق أمام السلاجقة ليؤكدوا انتصارانهم ، وليستولوا على بقية البلاد الاسلامية خاصة فى ايران .

### استيلاء طغرل بك على خوارزم :

لقد رأينا انتصار شاه ملك على اسماعيل بن التونتاش ، وتولييه على خوارزم من قبل السلطان مسعود السلجوقي ، عندئذ هرب اسماعيل بن التونتاش متوجها الى طغرل بك وداود السلجوقيين والتجأ اليهما وطلب منها المعونة ، فتوجه داود معه الى خوارزم ، وهناك

---

(٨٠) ابن الاثير : نفسه .

(٨١) الراوندى : « راحة الصدور » ، ص ١٥٧ .

التقى بقوات شاه ملك ، وحدث صدام مسلح بين الطرفين انتهى بانتصار  
طغرل بك وانهزام شاه ملك ، هرب الى هستان وطيس فوصل اليه أرتاش  
أخو ابراهيم ينال وابن عم طغرل بك « فأسره وأخذ ما معه وسلمه الى  
داود »<sup>(٨٢)</sup> وبذلك دخلت خوارزم فى طاعة السلاجقة وفى المدة من سنة  
٤٣٤ الى ٤٤٦ هـ استطاع طغرل بك أن يضع يده على كل الأجزاء الغربية ،  
فاستولى على قزوين وأبهر وزنجان وهمذان ، واقليم آذربيجان فخضع له  
بذلك أمراء الديلم ، كما أرسل طائفة من الجند لفتح كرمان التى قاومت  
كثيرا حتى توجه بنفسه ، وفى سنة ٤٤٢ توجه لفتح أصفهان وجنوب  
ايران ، فاستولى عليها وعلى اقليم فارس ، وبذلك أسقط الدولة البويهية  
فى هذه المنطقة<sup>(٨٣)</sup> .

وقد اتجه فريق من السلاجقة نحو الثغر الرومى ، وبدأوا يصبغون  
حركتهم بصبغة الجهاد الدينى لقتال الروم على يد ابراهيم ايدال .  
ومنذ ذلك التاريخ اصطدم السلاجقة بالروم وتولوا أمر الثغر  
الرومى<sup>(٨٤)</sup> . وعرفوا باسم سلاجقة الروم . وقد كتب للدولة السلجوقية  
أن تترك الأرض ومن عليها ، فكانت الظروف التى تمر بها الخلافة  
العباسية فى نهاية العصر البويهى<sup>(٨٥)</sup> وبذلك نجح طغرل بك فى دخول  
بغداد عام ٤٤٧ هـ<sup>(٨٦)</sup> .

وقد توالى على حكم دولة السلاجقة السلطان طغرل بك ثم ابن أخيه  
ألب أرسلان وابن أخيه ملكشاه والذى اتسعت فى عهده ممتلكات

---

(٨٢) ابن الانير : « الكامل » ، حوادث سنة ٤٣٤ هـ .

(٨٣) أحمد الشربف : « تاريخ العالم الاسلامى » ، ص ٥٦٢ .

(٨٤) ابن الانير : ج ٨ حوادث سنة ٤٤٦ هـ — ٤٥٠ هـ .

(٨٥) لمزيد من التفاصيل عن أحوال الخلافة العباسية فى هذه الاونة

انظر حسن محمود ، ابراهيم أحمد الشربف « تاريخ العالم الاسلامى » وكذلك  
جميع كتب تاريخ الخلافة العباسية .

(٨٦) ابن الاثير : نفسه ، حوادث سنة ٤٤٧ هـ .

السلجقة فتكونت منها خمس ممالك فى العالم الاسلامى سلجقة ايران وفارس ، وسلجقة كرمان ، وسلجقة العراق ، وسلجقة الروم وسلجقة الشام •

وقد أعقب هذه المرحلة القوية من تاريخ الدولة السلجوقية بداية عصر التفكك الذى بدأ من عصر بركياروق حيث كان الصراع على السلطنة السلجوقية بين أبناء السلطان ، وبين وزرائه ، وبين عمهم السلطان تاج دولة تتش الذى كان واليا على دمشق وما جاورها من بلاد الشام من قبل أخيه السلطان ملكشاه (٨٧) •

وكان أخطر ما واجه بركياروق الصراع الذى احتدم بينه ، وبين أخويه محمد وسنجر ، واستمرت المعارك بينهم نحو خمس سنوات من عام ٤٩٢ هـ / ٤٩٧ هـ تداولوا فيها النصر والهزيمة ، والخلافة فى كل ذلك لا تتحرك لشيء الا أن تستجيب لهذا أو لذاك ، فهى لا ترد طلب من بدأ غالباً (٨٨) •

ويهمنا الآن أمر السلطان سنجر ، وهو أحد حكام سلجقة خراسان ويعد من السلاطين العظام ، الذين اعترف لهم جميع حكام السلجقة بالزعامة والسلطنة (٨٩) •

وكان سنجر واليا على خراسان ، وما وراء النهر فى عهد كل من

---

(٨٧) البندارى : « تاريخ مختصر آل سلجوق » ، ص ٨٥ ، ابن القلانسي : ص ١٣٦ — ١٣٨ •

(٨٨) عبد النعيم حسنين : السلجقة .  
Saunders «op - cit» p. 40.

(٨٩) ابن الاثير : « الكامل » ج ٨ ، حوادث سنة ٤٩٠ هـ .  
( م ٣ — التاريخ السياسى )

أخويه بركياروق ومحمد ، وكان يسمى ملك المشرق ، وقد ظل سنجر غي المشرق بعد تولية عرش السلطنة ، فأطلق على السلاجقة الذين يمثلهم اسم « سلاجقة خراسان » تميزا لهم عن سلاجقة العراق ، وقد استطاع سنجر قبل تولية عرش السلطنة أن يوطد نفوذه ، وأن يقوم بفتوحات بسطت نفوذه على جهات أخرى من ترمذ وطخارستان في عام ٤٩١ هـ ، وضمها الى ملكه واستطاع أن ييسط نفوذه على ما وراء النهر سنة ٤٩٥ هـ (٩٠) الى غير ذلك من المناطق •

## الفصل الثاني

### تأسيس الدولة الخوارزمية

كان بداية ظهور الدولة الخوارزمية مرتبطا أشد الارتباط بدولة السلاجقة الحاكمة فى هذه الفترة والتي بسطت سلطانها على اقليم خوارزم كما ذكرنا منذ عهد طغرل بك السلجوقى ، فظلت تابعة لسلطان ورثته من بعده •

ويرجع تأسيس هذه الدولة الى مؤسسها أنوشتكين<sup>(١)</sup> ، وكان فى أول أمره عبدا اشتراه أحد أمراء السلاجقة المدعو يلباك من رجل من غرستان<sup>(٢)</sup> فسمى « انوشتكين غرشجة »<sup>(٣)</sup> •

عمل انوشتكين فى وظيفة الطشت دار<sup>(٤)</sup> أو الساقى وهى احدى

---

(١) يرجع نسب انوشتكين الى بلكتين أحد ممالك السلطان الب أرسلان بن جفرى بك الذى كان له ولاية ملك خوارزم من جهة السلاطين السلجوقية ، فلهذا كان يقال لكل واحد منهم اذا ملك مدينة خوارزم شاه . انظر ابن واصل : « مفرح الكروب » ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

(٢) غرستان ، بلاد الغور على لسان أهل خراسان وهى ولاية بين غزنة وكابل وهراة وبلخ .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٨٥ — ٧٨٦ .

(٣) ابن الأثير : « الكامل » ج ٨ ، ص ١٨٤ .

(٤) الطشت دار هو أحد الموظفين الذين يعملون فى الطشت خان أى المكان الذى يحوى الطشت الذى تغسل فيه الأيدي والطشت الذى يغسل فيه لأمتشة ، وكان الطشت خان يحوى ملابس السلطان ، وكذا المقاعد والمخاد والسجاد الذى يصلى عليه السلطان ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون فى هذا المكان بالطشت دارية ، ويعرف بعضهم بالختوانبة ، القلقشندى : « صبح الأعشى » ج ٤ ، ص ١٠ — ١١ .

وظائف البلاط الاسلامي المعروفة<sup>(٥)</sup> ، كما أسندت اليه وظيفة شحنه خوارزم باعتبار أن هذه الوظيفة تابعة لوظيفة الطشت دار<sup>(٦)</sup> ، الى أن قام السلطان السلجوقي بركياروق بتنصيبه حاكما على اقليم خوارزم ، وتلقب بلقب خوارزم شاه سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م مكافأة له على خدماته للبيت السلجوقي .

ويبرز لنا بن الأثير شخصية أنوشتكين بأنه كان حسن الطريفة كامل الأوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه<sup>(٧)</sup> .

توفي أنوشتكين عام ٤٩٠ هـ تاركا تسعة أولاد وأحفاد من أبرزهم ابنه محمد الذي أحسن تربيته وتعليمه ، ودربه على أصول الحكم والادارة . وفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م عمل أحد غلمان السلاجقة ، وكان ينحدر من سلالة الخوارزمشاهين حارسا لبركياروق ، وياورا له ، واسم هذا الغلاب « النجى بن قجفار » وكان سىء الحظ اذ قتله اثنان من الأمراء فى نفس العام ، فلما علم داود بك حبشى — عامل خراسان بذلك الأمر أعطى حكومة خوارزم لقطب الدين محمد بن أنوشتكين غرجه<sup>(٨)</sup> . وعين سنجر السلجوقي آنذاك واليا على خراسان من قبل أخيه بركياروق ، فأذن لقطب الدين محمد بأن يحكم خوارزم وأصبح يلقب بالخوارزمشاه ، واستمر يحكم مدة ٣٠ عاما لم يخرج فيها عن طاعة السلاجقة ، وقد أمضى من الأعوام الثلاثين ستة أعوام فى بلاط السلطان سنجر السلجوقي ، كما أرسل ابنه أئسز الى بلاط سنجر حيث قضى عاما فى خدمة السلطان<sup>(٩)</sup> .

---

(5) Curtin «The Mongol History».

(٦) خوندمبر ( غياث الدين ) : « حبيب السير » ، ج ٢ ، ص ٦٢٩ .

(٧) ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٨ ، ص ١٨٤ .

(٨) خوندمبر : « حبيب السير » ، ج ٢ ، ص ٦٢٩ .

ابن الأثير : « الكامل » ، ج ٨ ، ص ١٨٤ .

(٩) خوندمبر : نفسه .

ويؤكد المؤرخون على حسن أخلاق قطب الدين محمد بن انوشتكين وكيف كان عادلا حيث عم الأمن والسلام ربوع البلاد في عهده ، وذاع صيته ، وانتفع الناس ببره وكرمه • ومن أبرز خصاله أنه قرب اليه رجال العلم والدين ، فأصبحوا هم خاصته وبطانته « فازداد ذكره حسنا ومحله علوا » (١٠) •

ومن أهم الخدمات التي أسداها قطب الدين الى السلطان سنجر السلجوقي عندما هوجمت مدينة خوارزم من قبل ملوك الأتراك أثناء غياب محمد عنها ، ويرجع سبب هذا العدوان التركي على أرض خوارزم الى هروب طغرلتيكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه من قبل عند السلطان سنجر فهرب منه الى الأتراك ، واستنجد بهم من أجل أن يساعده على الظفر بخوارزم مرة أخرى (١١) •

عندما وصلت أبناء هذا الغزو الى مسامع قطب الدين ، بادر بالعودة الى خوارزم ، وقبل وصوله اليها أرسل الى سنجر أثناء تواجده بنيسابور يطلب منه العون ، وبعد ذلك تقدم محمد ناحية خوارزم فهربت قوات الأتراك الى منقشلاغ ، وبذلك أمنت البلاد شر الهجوم التركي واتحدت القوى الخوارزمية والسلجقية جميعا أمام الأعداء •

وقد كانت وفاة قطب الدين محمد في عام ٥١ هـ / ١١٢٦ م ، وقد تولى ابنه أئمز (١٢) مكانه ٥٢٢ هـ / ١١٢٧ م « فمد ظلال الأمن ، وأفاض العدل » (١٣) ، وكانت قواعد الألفة والمحبة مستحكمة بينه وبين السلطان

---

(١٠) ابن الأثير : نفسه .

(١١) ابن الأثير ، نفسه .

(١٢) أئمز كلمة تركية معناها من لا اسم له « آت — اسم — سبز —

أداة التجريد ، وقد جرت العادة عن الترك أن من يموت بنوه يسمى واحدا منهم بهذا الاسم حتى يعيش ولا يهلك . انظر :

النسوى : « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي » ، حاشية ١ ، ص ٣٤ .

(١٣) ابن الأثير : « الكامل » .

سنجر ، اذ تصادف أن تعرض سنجر لمؤامرة استهدف فيها المتآمرون. قتله أثناء خروجه للصيد ، وعلم أئسز بما يدبر لسيده فتدخل في الأمر ، ونجاة من الموت حقدا منهم وحسدا ولالة سنجر على خوارزم ليبعده عن أيديهم<sup>(١٤)</sup> .

وفي عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م رافق أئسز السلطان سنجر حين توجه لمحاربة السلطان بهرام شاه سلطان الغزنويين ، فقد كان ولاؤه مازال بعد لسيده .

ويرجع سبب خروج سنجر لمحاربة السلطان الغزنوي بهرامشاه لتغيره عن طاعته ، وانه مد يده الى ظلم الرعايا واغتصاب أموالهم<sup>(١٥)</sup> . لذلك نجح سنجر وخوارزمشاه في دخول غزنة وتملكها .

وقد ظل أئسز على علاقة طيبة بالسلطان السلجوقي سنجر في الفترة من ٥٢٠ هـ / ٥٢٩ هـ — ١١٢٦ / ١١٣٤ م وعندما وطد أركان دولته بالصورة التي جعلها تقف على حد السواء مع مملكة السلاجقة وجدنا أئسز يفكر في الاستقلال وتدعيم ملكه بعيدا عن سلطان السلاجقة .

لذلك وفي عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ثار أئسز على سنجر ، وهاجم عدة مناطق تابعة للسلاجقة انتزعها من قبضتهم ، كما بدأت الأخبار تصل بأن أئسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وأن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه<sup>(١٦)</sup> .

وفي هذه الآونة وجد السلطان سنجر نفسه أمام قوتين هما الدولة الخوارزمية من جهة والخطا من جهة أخرى ، وقد اتحدت مآربهما ضده

---

(١٤) خوندميز : « حبيب السير » ، ص ٦٢٩ .

(١٥) ابن الأثير : « الكامل » ج ٨ ، حوادث ، ص ٥٢٩ هـ .

(١٦) ابن الأثير : « الكامل » ج ٨ ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ .



خاصة بعد أن تزوج أئسز من هؤلاء القوم<sup>(١٧)</sup> . ومع ذلك فقد هاجم أئسز السلطان سنجر إلا أنه هزم هزيمة نكراء عند مدينة هزار سب<sup>(١٨)</sup> واستولى سنجر على خوارزم<sup>(١٩)</sup> ، وذلك لأنه لم يكن للخوارزميين قوة بالسلطان ، فلم يثبتوا<sup>(٢٠)</sup> .

ويذكر خوندمير أن سنجر انتقم من أئسز انتقاما كبيرا ، بأن قطع جسد ابنه الى نصفين من وسطه<sup>(٢١)</sup> . « وقد حزن أئسز على ابنه حزنا عظيما ، ووجد وجدا شديدا »<sup>(٢٢)</sup> .

استولى سنجر على خوارزم ، « وأقام بها من يحفظها وعاد الى مرو »<sup>(٢٣)</sup> وكان الذى عين عليها هو الأمير غياث الدين سليمان شاه بن السلطان محمد السلجوقى ، وعين له وزيرا واتبكا وحاجبا ، وقرر قواعده<sup>(٢٤)</sup> ، ولكن لم يهيأ له الجو اذ ما لبث أن عاد أئسز خوارزمشاه بمعونة الأهالى الذين يكرهون سنجر وعساكره ويؤثرون عودة خوارزم

---

(١٧) حافظ حمدى : « الدولة الخوارزمية والمغول » ، ص ٢٠ .

(١٨) قلعة حصينة من نواحى خوارزم .

— ياقوت : « معجم البلدان » ج ٤ ، ص ٩٧١ .

ومعناها بالفارسية : « ألف فرس » .

(١٩) أبو الفدا : « المختصر فى أخبار البشر » ج ٣ ، ص ١٤ حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

(٢٠) ابن الأثير : حوادث سنة ٥٣٣ هـ .

(٢١) خوندمير « حبيب السير » ، ج ٢ ، ص ٦٣١ ، وهى التى تعرف باسم عقوبة التوسيط ، وتقتضى بضرب المحكوم عليه بواسطة السيف على أن تكون الضربة قوية تحت السرة ، فتقسم الجسم الى قسمين من وسطه وتنهار أمعاء المحكوم عليه على الأرض .

انظر : عاشور : « العصر المماليكى فى مصر والشام » ، ص ٤٢٤ .

(٢٢) ابن الأثير : « الكامل » ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ .

(٢٣) أبو الفدا : « المختصر » ، ج ٣ ، ص ١٤ ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

(٢٤) ابن الأثير : « الكامل » ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ .

شاه — الى خوارزم ، فهرب سليمان شاه بن محمد ، واستولى أتنز على المدينة ، وعاد لحكمها •

وقد حاول أتنز أن ينتقم من سنجر ، « فبعث الى الخطا<sup>(٢٥)</sup> وهم بما وراء النهر يطعمهم في البلاد ، ويروج عليهم أمرهم ، وحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر »<sup>(٢٦)</sup> •

وبعد قدوم الخطا الى البلاد في ثلثمائة ألف فارس سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م خرج اليهم سنجر بعساكره وأشد القتال بين الطرفين وهزم السلطان سنجر وقتل من جنوده ما يزيد عن مائة ألف قتيل حتى أن

---

(٢٥) كانت الحالة السياسية في شرق آسيا في النصف الاول من القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي من الاضطراب بمكان مما أدى الى هجرة قبائل الخطا من موطنهم الأصلي في شمال بلاد الصين الى أن هبطوا على غرب اقليم التركستان . نجحوا في أن يفرضوا على أسرة سونج الصينية جزية سنوية وقد سميت الأسرة نفسها أسرة ليكو نسبة للاقليم الذي يعيش فيه ، الا أن هؤلاء الخطا فقدوا روحهم الحربية بانغماسهم في المدينة ، فنجحت جماعة كهن الذين كانوا يسكنون منشوريا في سحق الخطا ، وانهارت دولتهم سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . وقد فر أحد أمراء الخطا سنة ٥١٦ هـ — ٥١٧ هـ الى أقاليم التركستان ، وانتهاز فرصة ضعف الاقليم ، فاستولى على بلاساغون شمالي كاشغر ، ثم ضم كاشغر خوتان ورد عن الاقليم الهجمات التركية . ونجح الأمير بجالوتاش في أن يجعل نفوذه محل محل نفوذ أهل المنطقة وتوسع شرقا وغربا حتى وصلت الى صحراء جوبي الى نهر سيحون ومن هضبة التبت الى سيبيريا ، وأصبح غورخان هو ملك الملوك التركي الوثني مما هدد البلاد الاسلامية المتاخمة لأنه انتقل من بلاساغون الى كاشغر خاصة وأن هذه الفترة صادفت تدهور النفوذ الاسلامي •

انظر : حافظ حمدي : « الدولة الخوارزمية والمغول » ، ص ٥١-٥٢ .

(٢٦) أبو الفدا : « المختصر » ج ٣ حوادث ٥٣٦ هـ .

زوجة سنجر قد أسرت في أيدي الخطا (٢٧) . وتسمى هذه المعركة « معركة قطوان » (٢٨) وبعدها تراجع سنجر الى ترمذ وسار منها الى بلخ (٢٩) .

وقد انتهز خوارزم شاه اتسز فرصة الهزيمة التي حاقت بالسلطان سنجر ، وقرر ضرورة مهاجمة اقليم خراسان فتوجه أولا الى مدينة سرخس ثم منها الى مرو « وقتل بها وقبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم » ، لأنهم قتلوا بعضا من الجند الخوارزمية ، وتم الاستيلاء على المدينة فى السابع عشر من ربيع الأول سنة ٥٣٦ هـ (٣٠) . ثم عاد أتسز الى خوارزم مصطحبا عددا كبيرا من علماء خراسان وبعد ذلك وفى شهر شوال من نفس العام توجه أتسز الى نيسابور ، واستجاب الى توسل علمائها ورجال المدينة حتى لا يتعرض لأهلها ، لكنه قام فى أول ذى القعدة بقطع الخطبة للسلطان سنجر وخطبوا لأتسز خوارزم شاه ، « لكن الناس صاحوا وثاروا وكادت الفتنة تثور والشر يعود من جديد » (٣١) . فقام العلماء وهدأوا من روعهم وأعادوا الهدوء الى البلاد ، وقطعت الخطبة فى أول المحرم سنة سبع وثلاثين ثم أعيدت للسلطان سنجر .

وقد قام أتسز بإرسال جيش الى بيهق ، فقاتلوا أهلها خمسة أيام ، ولعل السبب فى عدم خروج السلطان سنجر لمواجهة أتسز خوفا

---

(٢٧) أبو الفدا : نفسه .

ويذكر الحسينى فى « أخبار الأمراء والملوك السلجوقية » أن الملكة ترکان خاتون بنت أرسلان خان زوجة السلطان سنجر أسرت والأمير قماج وابنته والأمير سنجر العزيزى ، وقتل الأمر أبلق .

انظر ص ١٨٦ .

(٢٨) قطوان : مدينة بالقرب من سمرقند .

(٢٩) أبو الفدا : نفسه .

(٣٠) أبو الفدا : نفسه .

(٣١) ابن الأثير : نفسه ، ابن خلدون : « العبر » ج ٥ ، ص ١٤١ .

من قوة الأتراك الخطا حلفاء أئسز والذين نجحوا من قبل فى هزيمة السلطان (٣٣) .

وخلال هذه الفترة سعى أئسز جاهدا فى تأليب الأقطار الاسلامية ضد مولاه سنجر ، وتوعده سنجر فلم يرتدع ، ويقال أنه أوعز الى أحد شعرائه فنظم شعرا يجيب به على السلطان ويعلن موقفه ويؤكد اصراره على العصيان . ومما قاله فى هذا الصدد :

إذا كان حصان الملك سريع العدو فليس حصانى بأعرج  
فتعال هنا . . واذهب أنا هناك فليس العالم ضيقا (٣٣)

ولعل ما قام به أئسز ضد السلطان سنجر السلجوقى يعتبر عملا طائشا من الممكن أن يؤدى الى زعزعة الكيان السلجوقى ، وانهياره فى وقت كان الاسلام فيه فى حاجة الى الوحدة والاتحاد حيث كان الصليبيون قد نجحوا فى تأسيس امارات صليبية لهم فى بلاد الشام والمسلمون يتنافرون فيما بينهم .

ولقد كان لهذا الموقف أثرا آخر وهو قوة الأتراك الخطا اللونيين الذين أصبحوا قوة على الحدود ، فقام كورخان بتولية أئميكن ابن الأمير بيايانى بن أخى أئسز حاكما على بخارى من قبل الخطا ، وهو الأمر الذى يؤيد تحالف خوارزم شاه أئسز مع الخطا ضد السلطان سنجر (٣٤) .

وفى عام ٥٣٨ هـ قرر السلطان سنجر الانتقام من خوارزم شاه أئسز فجمع جيوشه وتوجه صوب خوارزم ، فتحصن أئسز بمدينة نيسابور ولم

---

(٣٢) ابن الأثير : نفسه .

البندارى : « تاريخ دولة آل سلجوق » ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٣٣) أحمد كمال الدين حلمى : « السلاجقة فى التاريخ والحضارة » ،

ص ١١٦ نقلا عن الراوندى راحة الصدور ، ص ٢٦٤ .

(٣٤) نافع العبود « الدولة الخوارزمية » ، ص ٢٥ .

يخرج للاقااة سنجر لعلمه أنه لا يقوى عليه» (٣٥) . واستمر القتال بين القوتين من وراء سور المدينة ، وفجأة هاجم أحد رجال سنجر المدعو سنقر على غرب المدينة ، فى حين هاجم مئقال التاجى شرقها ، الا أنه انهزم ولم تبق الا قوات سنقر الذى نجح أتنسز فى اخراجه من المدينة، وبقي سنجر وحده . فشعر أتنسز فى هذه الاونة بقوة سنجر ، ورأى أنه من الأصوب أن يصالحه ويهادنه فراسله أتنسز معتذرا له مبديا أسفه ، والتمس العفو ، وقدم الهدايا وطلب الصلح فقبل سنجر على أن يتنازل له عن كل ما ملكه من البلاد الخرسانية ، وأن يعيد له ما استولى عليه من الجواهر التى أخذها من الخزانة السلطانية فى مرو سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م ، وبعدها قرر سنجر العودة الى مرو (٣٦) .

رغم ذلك لم يهتم أتنسز بهذه المعاهدة ، بل عندما شعر بقوته وبقدرته على مواجهة السلطان سنجر ، بدأ يظهر التمرد مرة أخرى ، حتى أن المؤرخين يؤكدون أن عام ٥٣٨ هـ هو العام الذى أعلنت فيه الدولة الخوارزمية المنفصلة عن الدولة السلجوقية ورشيد الدين الوطواط شاعر بلاط أتنسز (٣٧) نظم بمناسبة صولات أتنسز فى مناطق خراسان قصيدة مطلعها :

---

(٣٥) ابن الأثير : « الكامل » ، حوادث سنة ٥٣٨ هـ .

(٣٦) نفسه : أبو الفدا ، المختصر ، حوادث سنة ٥٣٨ هـ ، ص ١٦ ، البندارى : « تاريخ دولة آل سلجوق » ، ص ٢٥٧ ، العبود : « الدولة الخوارزمية » ، ص ٤٩ .

(٣٧) سمي وطواط نسبة الى قصر قامته ، وقبح منظره ، وقد ترجم براون هذه القصائد الفارسية الى الانجليزية .

انظر حافظ حمدى : « الدولة الخوارزمية والمغول » ، ص ٢٢ .

حين اعتلى الملك أئسز عرش المملكة  
انتهت دولة سلجوق وآله (٣٨)

كما بعث رشيد الدين الوطواط رسالة الى الخليفة المقتفى لأمر الله  
يذكره بأفعال السلاجقة ومواقفهم السيئة ، ويذكره بما فعله السلطان  
سنجر في هزار آسف « التي يصفها بانها من أمهات قلاع خوارزم  
منيفة الأركان رفيعة البنيان ، وعدد مواقف سنجر ومحاولاته لخداع  
الخوارزميين حتى يسلموا القلعة ، ولما لم تفلح محاولاته « مال عن  
المخادعة الى المقارعة وآل من المخاطلة الى المقاتلة » (٣٩) .

حاول السلطان سنجر أن يوقف عمليات التمرد من قبل أئسز  
مستميلا اياه بالحجة والموعظة الحسنة ، لذلك أوفد اليه شخصا يدعى  
أديب صابر ، وأثناء تواجد أديب بخوارزم ، علم هذا الشاعر بأن أئسز  
يضمّر شرا لمولاه سنجر ، حيث قام بالايغاز الى اثنين من أهل خوارزم  
الى التوجه الى السلطان سنجر لقتله ، وقد دبر هذه المكيدة مع الباطنية  
الاسماعيلية ، لذلك قرر أديب صابر أن يبعث الى سنجر ليأخذ حذره ،  
فأرسل اليه رسالة مخبأة في جذاء امرأة عجوز تحتوى على أوصاف  
الشخصين الموكلين بقتله فأمر السلطان بالبحث عنهما وعثر عليهما في  
احدى الخرابات فقتلا وعلم أئسز ما فعله أديب صابر ، فأمر بالقائه  
في نهر جيحون واغرقه فيه (٤٠) .

---

(٣٨) الحسينى : « اخبار الأمراء والملوك السلجوقية » ، ص ١٨٨ .  
محمد كمال الدين حلمى : « السلاجقة فى التاريخ والحضارة » ص . ١١٦ .

الحوينى ، ج ٢ ، ص ٧ النص الفارسي .  
ملك أئسز تنجيت ملك برآمد دولت سلجوق وآل او برآمد  
(٣٩) رشيد الدين الوطواط : « مجموعة رسائل رشيد الدين » ،  
رسالة الى المقتفى ، ص ٨ .  
(٤٠) محمد كمال الدين حلمى : نفسه ، ص ١١٦ — ١١٧ ، العبود :  
ص ٥٠ .

وتحرك سنجر ثانية في عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م نحو خوارزم وحاصر قلعة هزار اسب مدة شهرين « فحاصرها ورمها بالمنجنيقات وطال الحصار حتى فتحها عنوة » (٤١) . وكان شاعره الأنورى في رغبته فطلب منه أن ينشء بضعة أبيات تناسب الموقف فنظم ما معناه : (٤٢)

أيها المليك .....	ان ملك العالم رهن اشارتك
والعالم ملك عينك بفضلك	اقبال خطك ودولتك
فخذ اليوم بحملة واحدة	قصبه هزار اسب وقلعتنا
وغدا تكون لك خوارزم	ومائة شبيهة بهزار اسب

وكتب هذا الرباعي على سهم قذف به الى داخل القلعة المحاصرة ، وفعل الوطواط نفس الشيء ، وكان برفقة آتسز فكتب بيتا على سهم طوح به الى جيوش السلطان وقال في هذا البيت معظما مولاه ساخرا من السلطان .

لو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم ، فلن يتمكن من أخذ حمار واحد من هزار اسب « أو من جياذك الألف » (٤٣) .

(٤١) الحسينى : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٤٢) حلمى : نفسه ، النص الفارسى لشعر الأنورى :

أى شاه همه ملك زمنى حسب تراست  
وزر دولة واقبال جهان كسب تراست  
أمروز بيك حملة هزار اسب بکیر  
فردا وخارزم وصد هزار اسب تراست  
انظر الجوبتى ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٤٣) محمد حلمى : نفسه .

النص الفارسى لرشيد الدين الوطواط :  
کر خصم توای شاه شود رستم کرد  
یک خورز هزار اسب تونتواند برد  
انظر الجوينى : « تاريخ جهنكشای » ، ج ٢ ، ص ٨ .

غضب السلطان سنجر غضبا شديدا من هذا الشعر ، لذلك قام بتشديد الحصار حتى استولى على هزار أسب بعد حصار دام شهرين ، ولجأ آتسز كعادته الى الاستعطاف « ورد الصاديق التي أخذها من سنجر بختمها السنجرى »<sup>(٤٤)</sup> . وحضر بناء على أمر سنجر الى شاطيء جيحون ، وكان سنجر قد اشترط عليه أن يضع وجهه فى التراب ، الا أن آتسز رأى أن العفو بهذا الشكل يحط من قدره ، فخرج عن حدود الأدب أثناء مقابلته له فى المحرم ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م حيث أنه عندما حضر فى اليوم المقرر لتقديم خضوعه أحنى رأسه ، ولم يترجل عن فرسه ، ولما أراد السلطان أن يلوى عنان فرسه طفق راجعا ، فتأثر السلطان سنجر من عمله هذا الذى دل على سوء التصرف وقلة الاحترام<sup>(٤٥)</sup> .

الا أن الحسينى يؤكد على أن آتسز قبل الأرض للسلطان سنجر فى قوله « ونزل بحيت يرى وقبل الأرض وتقبل الفرض »<sup>(٤٦)</sup> . ورغم ذلك لم يرق لعينى سنجر ، الا أنه تركه وصفح عنه ولم يحاربه ، وكان فى اقراره له على خوارزم ما ثبت أركان دولته ودعمها ، بينما أخذت دولة سنجر فى الانهيار .

وقد أرسل سنجر الى آتسز رسله ليطمئنوه بثقة السلطان به ورعايته له وتناسى الحوادث الماضية ، فلما وصل هؤلاء الرسل الى آتسز أكرم وفادتهم عليه لأن مهمتهم كانت تعنى اعتراف السلطان سنجر به حاكما مستقلا على المناطق التى بيده ، ولهذا أبدى آتسز تقديره للسلطان فأرسل اليه الهدايا النفيسة صحبة أولئك الرسل<sup>(٤٧)</sup> .

---

(٤٤) الحسينى : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(43) Juwaini history of the Conquers of the world vol II. p. 10.

(٤٦) الحسينى ، نفسه .

(47) «Juwaini» Ibid.



ويعتبر هذا الصلح دليلاً على قيام الدولة الخوارزمية المستقلة عن الدولة السلجوقية •

وقد انتهز آتسز الظروف التي كان يمر بها السلطان سنجر في دولته وبدأ يتوسع على حسابيه ، فقد اشتعلت الحرب بين السلطان سنجر والغورية ، فقد كان حاكم دولة الغور يدعى علاء الدين الحسين ابن الحسن ، واستطاع علاء الدين أن يستولى على كثير من مدن ما وراء النهر وخراسان ، ومنها مدينة بلخ ، لذلك خرج اليه السلطان سنجر ، وحدثت بينهما معركة عسكرية انتهت بانتصار سنجر وأسر علاء الدين (٤٨) وقد أحضر سنجر علاء الدين اليه ثم أعاده الى فيروذكوه •

وقد تعرض السلطان سنجر لخطر آخر من قبل قبائل الترك الغز وهم طائفة من الترك المسلمين كانوا بما وراء النهر ، وقد انتهز آتسز الحالة التي أمسى فيها سنجر فحاول أن يتفق معه على محاربة الغز في نظير ذلك يعطيه مدينة آموية « آمل زم » لكن سنجر رفض طلبه (٤٩) • وعلى أثر ذلك جهز آتسز جيشه ، وسار اليها ، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فاستغل سنجر اخفاقه فشرط عليه أن يمدّه بجيش يقوده ابنه أيل أرسلان بن آتسز وقد ترددت الرسل بينهما في هذا الشأن دون أن يسفر عن أى اتفاق فظل سنجر وحده في الميدان أمام قبائل الغز •

كان الخطا قد استولوا — كما ذكرنا على ما وراء النهر ، ووصلوا الى مدينة بلخ بخراسان ، وحاول حاكم المدينة ابعادهم ، لكنهم اقنعوا مرارا فتركهم الى أن قام بعد ذلك لمحاربتهم ، فاننتصر الأتراك عليه مما جعل حاكم المدينة قماج يتوجه الى مرو لمقايلة السلطان سنجر الذي قام بمراستهم وتهديدهم ، لكنهم لم يرضخوا ، لذلك جهز جيوشه التي

---

(٤٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

(٤٩) العبود : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

كانت تزيد على مائة ألف فارس ، وحاربهم فانهمز سنجر وتبعهم الغز قتلا وأسرا » حتى قاموا بأسر السلطان سنجر نفسه وأسر جماعة من الأمراء معه <sup>(٥٠)</sup> . وقد دخل الأتراك الغز الى مرو وأمضى فترة طويلة نحت حكمهم ، لذلك توجه آتسز الى خراسان وألقتى مع ركن الدين محمود بن أخت سنجر ، وأقاما فى نسا مدة ثلاثة أشهر وتساورا فى تدبير أمور المملكة لكن تدبيرهما لم يتم وخططها لم تنفذ بسبب فرار سنجر من أسر الغز وعودته الى بلاده سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م <sup>(٥١)</sup> ، وعندما سمع آتسز بفرار السلطان ظل فى مدينة نسا بانتظار وصول الخان محمود بن محمد وأمراء خراسان ، غير أن هؤلاء لم يقدموا اليه ، وحينئذ عاد الى خوارزم فاشتد به المرض ، وتوفى فى نفس السنة ٥٥١ هـ / ١٥٦ م <sup>(٥٢)</sup> ويعلى بن الأثير وفاته بسبب اصابته بالفالج <sup>(٥٣)</sup> .

### أيل أرسلان بن آتسز

بعد وفاة آتسز ملك بعده ابنه أيل أرسلان <sup>(٥٤)</sup> . فقتل نفرا من أعمامه وسمل أخا له فمات بعد ثلاثة أيام « وقيل به قتل نفسه » وأرسل الى السلطان سنجر بعد هروبه من الأسر وقدم له الولاء والطاعة والانقياد ، فكتب له سنجر منشورا بولاية خوارزم وسير له الخلع فى رمضان وبقي أيل أرسلان فى ولايته ساكنا آمنا <sup>(٥٥)</sup> . حتى أن المؤرخين سكرين وروس يؤكدان أن أيل أرسلان كان أول سلاطين الخوارزميين

---

(٥٠) ابن الأنير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٨ حوادث سنة ٥٤٨ هـ .

(٥١) خوندمر : حبيب السير ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

(٥٢) ابن الأنير : الكامل حوادث سنة ٥٥١ هـ .

(٥٣) الفالج : هو مرض الشلل .

(٥٤) كلمة ايل لفظ تركى معناه ولاية وارسلان معناه أسد .

حافظ حمدى . حاشية كتاب .

النسوى : « سيرة السلطان جلال الدين » ، ص ٣٤ .

(٥٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٠ حوادث سنة ٥٥١ هـ .

المستقلين<sup>(٥٦)</sup> . ولم يلبث ن توفى السلطان سنجر فى العام التالى فى شهر ربيع الأول ٥٥٢ هـ بعد مرض ألم به بعد أن « جمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه ، فأدركه أجله »<sup>(٥٧)</sup> . وبهذا يتضح لنا أن الفترة القصيرة التى قضها أيل أرسلان تحت سلطنة السلطان سنجر تتسم بالمودة والصفاء ولم تحدث أية مشاكل من شأنها أن تكدر العلاقة بين خوارزم وبين سلطنة السلاجقة فى فارس .

ولجأ أيل أرسلان الى تسخير كل ممالك أبيه ، واخضاع حكامها لسلطانه ، وحاول أن يمتنع عن دفع الأموال التى كان يدفعها للقرطائين فلقد رأينا كيف استعان آتسز بالخطا عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م أثناء حروبه مع السلطان سنجر ، والواقع أن هذه الهزيمة كان لها أكبر الأثر فى تمكين الخطا من السيطرة على كل بلاد ما وراء النهر بحيث لم يعد للمسلمين فى هذه الأقاليم أى نفوذ زهاء نصف قرن ، بل نجد أن هذه القوة قد أصبحت تسيطر نهائيا على بلاد ما وراء النهر تأثير مخاوف الخوارزميين والسلاجقة معا<sup>(٥٨)</sup> .

وقد نجح الخطا فى جذب المسلمين الموجودين فى بلاد ما وراء النهر الى صفوفهم وبعدها بدعوا فى تهديد الأراضى الخوارزمية غربى نهر جيحون اذ بعد هزيمة السلطان سنجر ، وسيطرة الخطا على بلاد ما وراء النهر ، نجد هؤلاء يندفعون فى سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م الى الأقاليم الخوارزمية غربى نهر جيحون ويستولون على بعض البلاد

---

(56) Skrin and Ross «The heart of Asia»; p. 140.

(٥٧) ابن الأثير : نفسه ، ص ٥٥ حوادث حوادث ٥٥٢ هـ .  
دفن سنجر بن ملكشاه فى قبة بناها لنفسه وسماها دار الأخره ، وكانت مدة سلطنته نحو من أربعين سنة ، ومدة مملكته اثنتين وستين سنة وعمره اثنتان وسبعون سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام .  
انظر الحسينى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .  
(٥٨) حافظ حمدى : « الدولة الخوارزمية » ، ص ٥٣ .  
( م ٤ — التاريخ السياسى )

هناك منها سرخس ومرو ، ونيسابور ، لكن يظهر أنهم ادركوا خطر هذا التوسع فعادوا ادراجهم من حيث أتوا مكتفين بأن يكون نهر جيحون الحد الفاصل بينهم وبين الخورزميين<sup>(٥٩)</sup> .

ويظهر أن لخطا لم يعودوا لبلادهم الا بعد أن حضع آنسز واعترف لهم بتبعيته ، وبعد أن تعهد بدفع ضريبة كبيرة ، بل انهم لم يرحلوا الى بلادهم الا بعد أن أعطاهم الكثير من منتجات البلاد الخوارزمية .

تولى سلطنة السلاجقة بعد وفاة السلطان سنجر ابن ختة محمود بن محمد بن بغراخان ، وقد كان صاحب الأمر والنهي فى دولته « المؤيد أى أبه » حيث كان يقود الجيوش ضد الغز حيث قتل منهم أعدادا كبيرة ، وبعدها دخلوا معهم فى معركة أخرى « انتهت بهزيمة عسكر خراسان وتفرقهم فى البلاد وظفر الغز بهم »<sup>(٦٠)</sup> ، وبعدها ترك السلطان محمود خراسان خوفا من الغز وتوجه بقواته الى جرجان الى أن تصالح مع الغز الا أن المؤيد أى أبه خرج عليهم ، وبدأ الغز فى متابعتة حيث اعتصم بنيسابور ، وظل حاكما مستقلا بها الى أن نمكنت قوات السلطان محمود بن الخان من محاصرته ، الا أن المؤيد أى أبه تمكن منهم فقبض على السلطان محمود وعلى ابنه جلال الدين محمد « فسلم عينهما وسجنهما ومعهما جواريهما وحشمهما حتى توفيا »<sup>(٦١)</sup> .

استفاد أيل أرسلان من هذه الحوادث واستقل تماما عن السلاجقة الضعاف ، حتى أن المؤرخين يعتبرون أن أيل أرسلان هو أول سلاطين الدولة الخوارزمية المستقلين<sup>(٦٢)</sup> . حيث وجد أن المؤيد أى أبه هو

---

(٥٩) نفسه ، ص ٥٤ .

خوندمير : « حبيب السير » ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

(٦٠) ابن الاثير ، نفسه ، حوادث سنة ٥٥٣ هـ .

(٦١) ابن الاثير ، نفسه .

خوندمير : « حبيب السير » .

(62) Skrin, Ross «The heart of Asia» p. 140.

صاحب الأمر والنهي في البلاد ، فقد استولى على سارستان قرب نيسابور وكذلك طوس وقومس كما استولى على بسطام ودامغان وبعدها أرسل اليه السلطان أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه خلعا نفية وألوية معقودة ، وهدية جلييلة « وطلب منه أن يهتم باشعات بلاد خراسان ، ويتولى ذلك أجمع ، وأن يخطب له فلبس المؤيد الخلع وخطب له في البلاد<sup>(٦٣)</sup> .

ويرجع المؤرخون السبب في تولية المؤيد أى أبه الى الأتابك شمس الدين ايلدكز لأنه كان صاحب الأمر والنهي في مملكة أرسلان وكانت هناك علاقة مودة قوية تربط بين المؤيد أى أبه وايلدكز<sup>(٦٤)</sup> .

حاول ايل أرسلان أن يستولى على ما حصل عليه المؤيد من ممتلكات خاصة وان السلطنة السلجوقية ضعيفة بينما لم يحاول صرف جهوده للاستيلاء على ما كان بيد الغز من المدن الخرسانية مثل مرو ونسا وبلخ وهراة وسرخس<sup>(٦٥)</sup> . فلما عزم المؤيد بعد ذلك بعامين استرجاع نسا ، توجه اليها في جمادى الأولى ، ونجح في حصارها الا أن ايل أرسلان لم يستسلم لذلك بل خرجت جيوشه للقاءة جيوش المؤيد أى أبه ، وعند وصولهم الى هناك تراجعت جيوش المؤيد عائدة الى نيسابور ، فنجح ايل أرسلان الخوارزمي في دخول المدينة ، وأصبحت تابعة للخوارزميين ، وقد حاول الخوارزميون الاستيلاء على نيسابور ، لكنهم لم يتمكنوا بل استطاعوا أن يستولوا على دهستان فهرب حاكمها المدعو ايثاق الى المؤيد أى أبه صاحب نيسابور ، فصارت للخوارزميين شحنة في هذه المدينة<sup>(٦٦)</sup> . وبعد ذلك دخلت مدينة هراة في طاعة

---

(٦٣) ابن الأثير : نفسه ، حوادث سنة ٥٥٨ هـ .

(٦٤) نفسه .

(٦٥) نفسه .

(٦٦) ابن الأثير ، نفسه ، حوادث سنة ٥٦٠ هـ .

الحسيني : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

المؤيد أى أبه بعد أن استدعاه أهلها ، وأعلنوا له الانقياد والطاعة<sup>(٦٧)</sup> ،  
وملك عليها مملوكه سيف الدين تنكز •

الا أن خوارزم شاه ايل أرسلان جدد اغاراته للاستيلاء على  
نيسابور من المؤيد سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وهنا أرسل المؤيد الى  
الأتابك سمس الدين الدكر « أتابك أران وأكثر بلاد أذربيجان » وكان  
حينذاك بهمذان يقول له « ان خوارزم شاه ايل أرسلان قد عزم على  
النزول على نيسابور واستخلاصها منه ، ومتى تم له ما يروقه من  
نيسابور فهو لا يقنع بها وتحديثه نفسه بقصد العراق ، ولئن لم تتحركوا  
حركة تمنعه من خطر فى نفسه لينفجرن عليكم سيل شقاء لا تطيقون  
سده ويهيج بحر غناء لا يحرز مده »<sup>(٦٨)</sup> •

ولم وصل هذا الى الأتابك ايلدكز رحل من همذان الى الرى وارسل  
الى خوارزم شاه يقول :

« ان هذا المؤيد أى أبه مملوك السلطان ، وخراسان بلاد السلطان  
وملك آبائه وأجداده ، وكذلك خوارزم التى أنت فيها ، ومتى قصد  
نيسابور كان الجواب قصدى اياك والمحاربة والملاقاة بيننا أنت من وراء  
النظر لنفسك »<sup>(٦٩)</sup> •

شعر خوارزم شاه بالخرج الشديد بعد سماعه لهذه العبارات  
فقرر التهيؤ لقصد نيسابور فخرج اليها سنة ٥٦٢ هـ ، وظل على القتال  
مدة شهرين وما قدر منها على شىء »<sup>(٧٠)</sup> •

---

(٦٧) ابن الأثير : نفسه •

(٦٨) الحسينى : المصدر السابق •

(٦٩) نفسه •

(٧٠) الحسينى : نفسه ، ص ٢٧٨ •

وفى أثناء ذلك كان الأتابك الذكر وعساكر الطرق قد ساروا للقائه ، فأضطر الى الرحيل عنها خائبا ، ويبدو أن المؤيد أى أبه كان يخشى عودته مرة أخرى الى نيسابور بعد عودة الأتابك الذكر عنها ، ولذلك مال الى مصالحة الخوارزميين ، فأوفد اليه القاضى الامام فخر الدين الكوفى رسولا يعلمه حيث أنه رجع الى خوارزم ، فان المؤيد أى أبه قد دخل فى طاعته ، وأنه يخطب له ويضرب السكة والدنانير باسمه ويتصرف فى البلاد عن أمره ونهيه ، فسر خوارزم شاه غاية السرور ، ووافق على الصلح ، وخلع على القاضى فخر الدين الكوفى خلعاً سنيه ، واعطاه هدايا جليلة ، وأعاده الى نيسابور ، صحبة رسول من عنده الى المؤيد أى أبه « بتشریفات فاخرة وخيل محلاة بالذهب والفضة وخيل من القبايق والجياد محلاة بالبراقع والحلال ، ومن سائر الطرائف المجموعة فى خزائنه » (٧١) ، وبعد أن تحقق الصلح بين خوارزم شاه والمؤيد عاد الأتابك الذكر الى الرى وأذربيجان •

ويهمنا بعد ذلك موقف الخوارزميين من الأحداث مع سلاجقة العراق ، حيث توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه عام ٥٥٧ هـ بعد مرض ألم به ، فتعرضت البلاد لفوضى سياسية ، حيث أن السلطان محمد كان قد عهد بابنه الصغير الى أقسنتر الأحمديلى الذى رحل به الى مراغه خوفاً عليه من الفتنة فى حين اختلفت الآراء فى السلطنة السلجوقية « بين طائفة طلبوا ملكشاه أخاه ، وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الأكثر وطائفة طلبوا أرسلان الذى مع ايلدكز » (٧٢) •

وقد قدم ملكشاه من خورستان ومعه خاصته وبطانته ، فوصل الى اصفهان فسلمه له حاكمها ابن الخجندى ، وحاول أن يستمل أهل همذان لطاعته ، فلم يجيبوه لأنهم كانوا يرغبون فى تولية سليمان شاه •

---

(٧١) الحسينى ، نفسه ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ •

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٧ حوادث سنة ٥٥٧ هـ •

وفى العام التالى خرج سليمان شاه من الموصل الى همذان لتولى السلطة واجتمع معه عدد كبير من المواليين ، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على همذان لقيام العسكر عليه ، وتم تعيين أرسلان شاه بن الملك طغرل الذى زوج ايلدكز من أمه<sup>(٧٣)</sup> . فاستقام السلطان لأرسلان شاه ، والأتابكية لشمس الدين ايلدكز ، وأقاما بهمذان<sup>(٧٤)</sup> .

وقد نجح سليمان فيما بعد فى أن تقام له الخطبة فى بغداد ، فى الوقت الذى توفى فيه ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بأصفهان مسموما ، لأنه أراد أن تقطع خطبة عمه سليمان شاه من بغداد ون يخطبوا له ويعيدوا القواعد بالعراق الى ما كانت عليه ، الا أنه قد دس له السم من جارية له ، لذلك خطب أهل أصفهان بعد وفاته لسليمان شاه ، واستقر ملكه بها ، كما ملك خورستان أيضا<sup>(٧٥)</sup> .

لم يصف الملك لسليمان بسبب سوء أخلاقه فقد « كان فيه تهور وخرق »<sup>(٧٦)</sup> ، وأساء الى العسكر ، وشرب الخمر حتى لامه فى ذلك شرف الدين كردبازو الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية . ولسوء أفعاله معه قطع كردبازو مجلس سليمان شاه ، فكتب سليمان الى اينانج صاحب الرى يطلب منه أن ينجده على كردبازو ، لكنه كان مريضا واستمهل سليمان حتى يبرأ ، وعندما علم كردبازو بذلك ازداد كرها لسليمان حتى أنه رفض الحضور لمقابلاته عندما طلبه وقال له « اذا جاء اينانج حضرت »<sup>(٧٧)</sup> .

وقد نجح كردبازو فى جمع الرأى العام حوله ، وأخذ عليهم ميثاقا وقام بدعوة السلطان والأمراء ، حتى اذا وصل سليمان شاه الى داره

---

(٧٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٥ هـ .

(٧٤) الحسينى : « أخبار الامراء والملوك السلجوقية » ، ص ٢٥٩ .

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ حوادث سنة ٥٥٥ هـ .

(٧٦) نفسه ، حوادث سنة ٥٥٦ هـ .

(٧٧) نفسه .



قبض عليه كردبازو ، وعلى وزيره وأصحابه ، وقتل وزيره وحبس سليمان  
نم أرسل اليه من خنقه •

وقد أرسل كردبازو الى ايلدكر صاحب أران وأكثر بلاد أذربيجان  
يستدعيه ليخطب للملك أرسلان شاه الذى معه (٧٨) •

وصل خبر مقتل سليمان شاه الى اينانج ، فثار وخرج الى همذان  
فتحصن كردبازو ، وحاول اينانج أن يدخله فى معركة معه الا أن  
كردبازو هادئة حتى يأتى اليه ايلدكر بقواته ومعه أرسلان شاه بن  
طغرل ، وفعلوا وصلوا اليه فأكرمهم كردبازو ونادوا بأرسلان شاه سلطانا  
وايلدكر أتابكا له (٧٩) •

وقد حاول ايلدكر أن يجعل الخطبة فى بغداد للسلطان أرسلان شاه  
فرفض ابن هبيرة وزير الخليفة العباسى ، وبدأ يؤلب حكام الأطراف  
على أرسلان شاه ، ومنهم اينانج صاحب الرى والذين كانوا يرغبون  
فى تولية الملك محمد بن طغرل الموجود بأصفهان — وهو عدوهم القديم

---

(٧٨) ان الابري : نفسه ، حوادث سنة ٥٥٦ هـ .

بذكر الحسنى « ركب الأمر شرف الدين كردباز والخادم كانه يقصد  
خدمه السلطان سليمان شاه ، ودخل عليه واعقله الى الليل وبرك فى  
رقبته ونز قوس خنقه ، وأصبح السلطان سليمان شاه مينا » انظر : اخبار  
الملوك والامراء السلجوقية ، ص ٢٩٧ .

أما الراوندى فيذكر أن سليمان شاه اعتقل فى رمضان سنة ٥٥٥ هـ  
وبعد شهر أخذ الى القلعة علاء الدين حيث مات فى ١٢ ربيع الثانى سنة  
٥٥٦ هـ ، ومن ٧ محرم ٥٥٦ هـ وقفت الخطبة باسم سليمان شاه .

انظر : راحة الصدور ، ص ٣٩٩ .

ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ ، ص ١٧١ .

أما البندارى : فيذكر انه سبم فى قلعة مهذان فى ١٣ ربيع الاول سنة  
٥٥٦ هـ ، انظر : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٩٦ .

(٧٩) ابن الابري : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٦ هـ .

لذلك قام اينانج بتجهيز الملك محمد ، وجمع حشودا تزيد على عشرين ألف فارس ، واتجهوا ناحية همذان (٨٠) .

عندما سمع ايلدكر هذه الأخبار حشد جنوده في أكثر من أربعين ألفا وتوجه صوب اصفهان ، في وقت قام وزير الخليفة العباسي بتحريض الأمراء الموجودين في جيش ايلدكر ليخرجوا عليه وينضموا الى اينانج ، وقد ألتقت الجيوش عند مرغزار قرائكين (٨١) سنة خمس وخمس مئتين وخمسمائة ، ودنا الفريقين بعضهم من بعض « فخيلت الأرض سائرة والجبال مائرة ، والنجوم منكدة والسماء منفطرة ، وترتب الصفوف من كلا الجانبين ، ودارت رحاها على الفريقين » (٨٢) ، وبعدها انتصر ايلدكر على اينانج الذي قتلت رجاله ، وعاد الى الري ، فقام ايلدكر بحصارها حتى تم الصلح بينهما على مال يؤديه الى ايلدكر (٨٣) .

وقد استمر اينانج يدفع الجزية المقررة عليه لايلدكر الا أنه توقف عن دفعها عامين ، فراسله ايلدكر يطلب منه ، فاعتذر اينانج ، لذلك قدم اليه ايلدكر بقواته ، في الوقت الذي كاتب فيه خوارزم شاه ايل أرسلان ،

---

(٨٠) الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٨١) يذكر البنداري أن المعركة جرت في منطقة قراجه في منتصف الطريق من همذان واصفهان ، انظر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٩٨ .  
أما الراوندي فيسمى المكان الذي جرت به المعركة فراهين .  
انظر : راحة الصدور ، ص ٤١٠ .

أما باقوت : فيذكر أن فرهان ملاحه في رستاق همذان  
انظر معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٨ .

(٨٢) الحسيني : « تاريخ الملوك والأمراء السلجوقية » ، ص ٢٦٠ .  
والمعروف رغم العداء بين اينانج وايلاكر فان البهلوان بن ايلدكر كان قد تزوج من ابنة اينانج وبعدها اشتعلت الحروب فيها .  
البنداري ، ص ٢٩٦ .

(٨٣) ابن الاثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٦ هـ .

واظهر التجائه اليه ، وقد كان اينانج مقيما ببسـطام<sup>(٨٤)</sup> ، فذكر لخوارزمشاه أنه « التجأ الى جانبه ، وصار من جملة غلمانه ، وانه متى اعين بعض عساكره أخذ العراق ، وجعلها من جملة ممالكه ، يجرى فيها أمره ، وينفذ فيها حكمه »<sup>(٨٥)</sup> .

اعتقد خوارزم شاه ايل أرسلان أن الفرصة مواتية لضم العراق العجمي الى ممتلكاته ، فأرسل الى والي دهستان يأمره بأن يدفع الى اينانج حال وصوله اليه ثلاثين ألف دينار يرم بها شعته ويغيم بها أوده<sup>(٨٦)</sup> . وقد توجه اينانج الى دهستان الى أن يدبر أمره في الوقت الذي قام فيه ايلدكز بالاستيلاء على الري من السلطان أرسلان شاه بين طغرل ، وجعلها اقطاعا لابنه الأمير نصره الدين بلهوان<sup>(٨٧)</sup> . وراسلهم أمراء العراق الذين كانوا في خدمة اينانج ، وطلبوا منه الصفع فأمنهم .

أما بالنسبة لاينانج فقد بعث ايل أرسلان خوارزم شاه اليه معظم عساكره ، وأمرهم أن يبقوا بجرجان<sup>(٨٨)</sup> حتى تسمن خيولهم ثم يتصدوا

---

(٨٤) بسطام بلدة كبيرة بتومس على حادة الطريق الى نيسابور بعد دامغان .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ، ص ٦٢٢ .

(٨٥) الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٨٦) الحسيني ، نفسه ، ص ٢٦١ .

(٨٧) المصدر السابق .

(٨٨) جرجان : اقليم الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين .

انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١١٩ — ١٢٢ .

بعد أن أمد ايل أرسلان اينانج صاحب الري بالمساعدات العسكرية والمادية وغيرها ، استمر الخوارزم بتابعة الاخرق الذي بدأه أبوه آتسز لأراضي سلاطين السلاجقة لا سيما وأنه بعد موت سنجر لم يكن لخراسان والمقاطعات الواقعة الى الغرب منها « اذا لم يؤخذ في الاعتبار الأمر القوي المؤبد — أي أبه » حكاه قانونيين لذا صبح اينانج موضع اهتمام من قبل سلاطين العراق ، وعلى رأسهم الأتابك ايلدكز ، كذلك من قبل خوارزم شاه ايل أرسلان .

انظر الحسيني ، المصدر السابق ، حاشية رقم ١ ص ٢٦٣ .

العراق ، وجعل المقدم على العساكر شمس الملك بن حسن عيار بك من الأمراء القرلقية ، وكان أبوه قد هلك سهرقند وقتله الأتراك الخطا ، لذا هرب هذا الابن الى خوارزم ، فأكرم خوارزمشاه وقادته « وخصه ببره وانعامه ، وزوجه باخته وجعلها تائد جيشه » (٨٩) . وبعد أن قويت خيولهم أمرهم أيل أرسلان بالتوجه الى العراق لأنه كان طامعا في ضم العراق العجمي الى ممتلكاته كما ذكرنا فننفذوا أوامره .

عندما وصلت أخبار هذه القوة الخوارزمية الى مسامع ايلدكر قرر الخروج للقائهم في الوقت الذي وصلت فيه قوات اينانج الى الري قبل أن تصل اليها عساكر ايلدكر . ورغم أن الأراء العراقيين كانوا متفقين مع اينانج الا أنهم كانوا في جانب ايلدكر حتى انهم وقفوا في وجههم وقتلوه ، وظهروا مقاومة كبيرة ففر الخوارزميون من أمامهم ، أما اينانج فإنه تحصن في قلعة طبرك (٩٠) ، فحاصره الدكر وراسل جماعة من مماليكه أطمعهم في الاتطاعات والأموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه ، وسلموا البلد الى ايلدكر (٩١) . غير أن ايلدكر لم يف بوعده للممالك الذين قتلوا اينانج ، بل أبعدهم عنه فهاجموا على وجوههم في البلاد ، والتجأ بعضهم الى خوارزمشاه ايل أرسلان ، لكنه قبض عليهم « وقتل الذي قام بقتل اينانج وصلبه نكالا بما فعل » (٩٢) .

وبذلك لم يتحقق لأيل أرسلان هذه الفرصة التي اغتنمها لفرض سيطرته على العراق العجمي ، فاتجه الى محاربة الأتراك الخطا الذين

---

(٨٩) الحسيني ، نفسه ، ص ٢٦٣ .

(٩٠) طبرك قلعة على رأس جبل بالقرب من مدينة الري .

ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٠٧ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٦٤ هـ .

(٩٢) المصدر السابق ، ابو الفدا : المختصر في أخبار الشر ، ج ٣

ص ٥٢ .

عبروا نهر جيحون سنة ٥٦٧ هـ لمحاربته وذلك لقيامه بايواء شمس الدين  
ابن حسين عيار بك زعيم القارغلية<sup>(٩٣)</sup> .

قام ايل أرسلان بانفاذ جيش بقيادة عيار بك لمواجهة قوات الأتراك  
الا أن الهزيمة لحقت به ، ووقع عيار بك نفسه أسيرا ، وعاد الأتراك  
الخطا الى ما وراء النهر فى الوقت الذى سقط فيه ايل أرسلان مريضا  
وما لبث أن توفى فى رمضان سنة ٥٦٧ هـ ، وصار ابنه علاء الدين  
خوارزم شاه<sup>(٩٤)</sup> .

---

(٩٣) اراد ملك الخطا أن يطرد القارغلية من المنطقة فأمّر نائبه فى  
سمرقند قليج طمغج خان ركن الدين مسعود فى أجلاء الأتراك القارغلية من  
أعمال بخارى وسمرقند الى كاشغر وأن بتركوا السلاح ويشغلوا بالزراعة  
وغيرها من الأعمال — الا انهم امنعوا وتوجهوا الى بخارى ، لجأ قسم من  
القارغلية بزعامة شمس الدين بن حسين عيار بك الى خوارزم ، وتزوج  
من ابنة ايل أرسلان .

عن ذلك انظر : « ابن الاثير » ج ٩ حوادث سنة ٥٦٧ هـ .

(٩٤) نفسه ، حوادث سنة ٥٦٧ هـ .



## الفصل الثالث

### الصراع بين الدولة الخوارزمية والقوى السياسية المعاصرة زمن علاء الدين تكش

#### ١ - الصراع بين سلطان شاه وأخيه علاء الدين تكش :

بعد وفاة أيل أرسلان تولى بعده ابنه الأصغر سلطان شاه محمود بعهد من أبيه ، وقامت بتدبير الملكة أمه التي أمدته بالجنود الذين التفوا حوله<sup>(١)</sup> . وكان أخاه الأكبر علاء الدين تكش مقيما في أحد الاقطاعات الحربية التي منحه اياها أباه أيل أرسلان وعندما بلغه نبأ وفاة والده وتولية أخاه الأصغر سلطان شاه ثارت ثائرتة ، وتوجه مباشرة الى ملك الأتراك الخطا ، طالبا معونته ضد أخيه « وأطمعه في الأموال وذخائر خوارزم »<sup>(٢)</sup> .

لذلك قدم ملك الخطا معونته الحربية التي تقدر بجيش كثيف جعل على قيادته القائد كرما Karama ، سار به حتى قارب خوارزم ، وفي الوقت الذي استعان فيه سلطان شاه بالمؤيد أي أبيه ، وقدم له الهدايا الوافرة ، ووعد أموال خوارزم ، فقدم معونته الى سلطان شاه وخرجوا بقواتهم حتى مدينة سوبرلى « على بعد عشرين فرسخا » من خوارزم ، وكان تكش قد عسكر بالقرب منها . وعندما التقت القوتان هزمت جيوش المؤيد ، وحمل أسيرا الى علاء الدين تكش الذي أمر بقتله<sup>(٣)</sup> .

(1) Barthol « The Turkestan down to mongal invasion, p. 309.

(2) ابن الأنير : الكامل ، خوندмир : حبيب السر ج ٢ ، ص ٦٣٣ .  
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥ ، حوادث سنة  
(٣) نفسه .

وبعدها هرب سلطان شاه متوجها الى دهستان ، فلحق به علاء الدين ، ونجح فى فتح المدينة عنوة وقتل أم سلطان ، فى الوقت الذى هرب فيه ابنها سلطان شاه من المدينة ، ونجح علاء الدين فى دخول خوارزم والجلوس على عرش السلطنة الخوارزمية<sup>(٤)</sup> .

أما عن سلطان شاه ، فقد قام هو ورجاله بتنصيب طغانشاه أبا بكر بن المؤيد أى أبه على نيسابور مكان أبيه ، وبعدها توجهوا للاتصال بغياث الدين ملك الغوريين ليقوم بمساعدتهم ، فقام باكرامهم واحسان وفادتهم .

أما علاء الدين تكش ، فقد تغيرت سياسته مع الخطا ، وذلك عندما تمكن من ملك خوارزم وصل اليه رسول من قبل ملك الأتراك «بالاقتراحات والتحكم كعادتهم» خاصة وان كان قد وعدهم بالخضوع التام لسيطرته ومال وفير يبعث به اليهم . لذلك أخذته حمية الملك والدين ، وقتل أحد أقارب الملك ، وكان قد ورد اليه ومعه جماعة أرسلهم ملك الخطا لمطالبة خوارزمشاه بالمال أمر خوارزمشاه أعيان خوارزم ، فقتل كل واحد منهم رجلا من الخطا ، فلم يسلم منهم أحد ، وخرجوا على العهد المعهود بينهم وبين ملك الأتراك . فبذلك تكدرت العلاقات بين الدولتين مما أدى الى اضطراب الأمور فى البلاد<sup>(٥)</sup> .

وقد انتهز سلطان شاه هذه الخلافات ليجد لنفسه طريقا فى وسطها ، فتوجه مسرعا صوب ملك الخطا ، وطلب معاونته على أخيه علاء الدين تكش ، زاعما له أن الرأى العام فى قلب خوارزم مع سلطان شاه ،

---

(٤) ابن الأثير ، نفسه ، أبو الفدا المختصر ، ج ٣ ، ص ٥٣ ، حوادث سنة ٥٦٨ هـ .

(٥) ابن الأثير : نفسه .



لذلك جهز ملك الخطا جيشا كبيرا<sup>(٦)</sup> ، حتى وصلوا الى خوارزم ، وتمكنوا من حصارها ، فما كان من علاء الدين تكش الا أن قام بفتح ماء نهر جيحون عليهم حتى كادوا يغرقون جميعا ، ففشل حصارهم ، ولم يتمكنوا من تحقيق غرضهم ، وعادوا من حيث أتوا ، ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ، ولاموا سلطان شاه وعنفوه<sup>(٧)</sup> .

ورغم هذه الكوارث التي حلت بسلطان شاه الا أنه لم يتوقف عن رغبته في السلطة فقد عرض على قرما قائد الخطا أن يساعده بجيش للاستيلاء على مرو مع حاكمها دينار الغزي ، فوافق وخرج جيشهما فوصل الى سرخس واستولى عليها على غرة من أهلها ، « وهجم على الغز فقتل منهم مقتلة عظيمة »<sup>(٨)</sup> ومنها اتجهوا الى مرو فملكوها ، ورجع جيش الخطا الى بلاده ، وظل سلطان شاه يقاتل الغز ، ولما عجز دينار الغزي عن مقاومته استغاث بطغان شاه بن المؤيد أي أبه حاكم نيسابور على أساس أن يسلمه بلاده ، فاستجاب له طغان شاه ، وأرسل جيشا بقيادة قراقوش ، فسلمه له دينار القلعة .

عندئذ قدم سلطان شاه الى سرخس وحاصر قلعتها ، وعندما وصلت أبناء الحصار الى طغان شاه ، قدم بجيش جديد من نيسابور متجها الى سرخس لمواجهة سلطان شاه ، الا أن الأول لم يتمكن أن يصمد أمام سلطان شاه فعاد الى بلاده<sup>(٩)</sup> ، وقام قراقوش باخلاء القلعة والعودة الى بلاده ، وتمكن سلطان شاه من المدينة ، واستولى بعدها على طوس .

---

(٦) كان قرما قائدا لجيوش الخطا وزوجا لملكهم .

(٧) نفسه .

(٨) ابن الأثير : نفسه ، ص ١١٥ .

(٩) نفسه ، حوادث سنة ٥٧٦ هـ .

### الأحوال السياسية فى نيسابور بعد هزيمة طغان شاه :

كان طغان شاه يحب الدعة ومعاقرة الخمر ، لذلك لم يكن له حظ فى الانتصار فى أى معركة خاضها ، فلم تكن له صفات أبيه المؤيد أى أبه ، وظلت بلاده تعاني من سكرات الموت حتى كانت وفاته فى عام ٥٨٢ هـ (١٠) .

تولى بعد طغان شاه ابنه سنجر ، ونجح أحد مماليك جده المؤيد حتى أن يفرض سلطانه على سنجر ، وهذا المملوك يدعى منكلى نكين مما أدى الى تفرق الجند ، حتى أن الكثيرين منهم توجهوا الى جيش سلطان شاه ، وبلغ به الأمر الى حد أخذ أموال أهل البلاد ، وقتل كثيرا من الأمراء ، فعندما سمع بذلك علاء الدين تكش انتهاز هذه الفرصة ، وجرّد قواته فى اتجاه نيسابور ، الا أنها استعصت عليه فعاد الى خوارزم (١١) . لكنه كرر هذه الحملة مرة أخرى فى العام التالى ، وحاصر المدينة ، حتى طلبت الأمان ودخلها علاء الدين تكش ، وقتل منكلى نكين ، وأخذ سنجر شاه وأكرمه ، الا أنه عندما سمع بأنه حاول أن يتصل بأهل نيسابور قبض عليه وسمل عينيه (١٢) .

### سلطان شاه ومملكة الغور :

لقد سبق أن عرضنا أن سلطان شاه عندما فقد الأمل فى الوصول الى العرش الخوارزمى اتصل بغياث الدين ملك الغور يطلب منه أن يتنازل له عن هراة وبوشسج وبادهغيس ، وتوعده ان لم يجبه الى ذلك ، فرد عليه غياث الدين طالبا منه أن يقيم له الخطبة بمرور خمس وما ملكه من بلاد خراسان ، لذلك نارت نائرة سلطان شاه وقام بالاعارة على

---

(١٠) نفسه ، حوادث سنة ٥٨٢ هـ .

(١١) ابن الأسر : نفسه ، حوادث سنة ٥٨٢ هـ .

(١٢) نفسه ، حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

بادغيس وبيوار ، وحصر بوشنج ، ونهب الرساتيق وعندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع غياث الدين رفض أن يخرج بنفسه للقاء سلطان شاه، وانتدب لذلك ملك سجستان ، وكاتب ابن اخته بهاء الدين سام صاحب باميان ليلحق به<sup>(١٣)</sup> .

وعندما علم سلطان شاه بوصول هذه القوات الفورية ارتد الى مرو دون أن يدخل معهم فى لقاء عسكرى ، ولكنه نهب وأحرق كل ما مر به من بلاد . وبعدها عاد مرة أخرى الى مراسلة غياث الدين فى أهر امتلاك البلاد المشار اليها سابقا . الا أن هذه الوسيلة لم تجد اذ قام غياث الدين بتعبئة قواته مرة أخرى للالقاء سلطان شاه الذى قام هو الآخر بالاستعداد العسكرى فجهز عساكره « والمتطوعة من الغز والمفسدين وقطاع الطرق »<sup>(١٤)</sup> . وقد عسكرت قوات غياث الدين عند الطالافان وقوات سلطان شاه فى مرو الروذ ، وظلت الرسل تتردد بين الفريقين ما يقرب من شهرين ، وانتهى الأمر بينهما بأن يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وبادغيس وقلاع بيوار . الا أن فتنة حدثت فى هذه الاونة قام بها مجد الدين العلوى الهروى الذى أجبر غياث الدين ورجاله على الرجوع فى الصلح ، وعدم التنازل عن أى شبر من ممتلكاتهم . مما أدى الى اشتعال الحرب ثانية بين الفريقين .

وكان من نتيجة المعركة التى أجبر عليها السلطان غياث الدين المغورى ورجاله هزيمة سلطان شاه ورجاله .

وعند عودة سلطان شاه مدحورا الى مرو ، كانت الأخبار قد وصلت الى أخيه علاء الدين تكش الذى انتهاز هذه الفرصة ليقبض على أخيه عند عودته ، فخرج علاء الدين من خوارزم فى ألفى فارس ، وأرسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس لقطع الطريق على أخيه ، هذا فى الوقت

---

(١٣) نفسه ، ص ١١٦ .

(١٤) ابن الأثر : نفسه ، ص ١١٦ .

(م ٥ — التاريخ السياسى )

الذى وصلت أنباء هذا التحرك الى أخيه سلطان شاه الذى بعد عن نهر جيحون وعاد الى غياث الدين ملك الغور يطلب منه العون فما كان منه الا أن التقى به وأكرمه ، وأنزله معه فى داره وأنزل أصحابه كل انسان منهم عند من هو فى طبقتة ، فظل مقيما عنده حتى نهاية الشتاء<sup>(١٥)</sup> .

وفى هذه الفترة كتب علاء الدين خوارزمشاه الى غياث الدين يسرد له ما فعله أخاه سلطان شاه ، وما خربه من البلاد ، وطلب منه أن يقبض عليه ويسلمه اليه ، الا أن غياث الدين رفض أن يستجيب الى مطلبه ، به انه طالبه بأن يعطى أخاه سلطان شاه حقه من البلاد فى ملك أبيه أيل أرسلان ، وطلب منه أن يخطب للغوريين فى خوارزم وأن يزوج علاء الدين تكش أخته الى شهاب الدين الغورى تسقيق غياث الدين ، وعندما وصلت هذه الرسالة الى علاء الدين امتعض امتعاضا شديدا ، وبعث تهديدا الى غياث الدين . فقام غياث الدين بالاستعداد للحرب ، وجهاز جيشا جعل على قيادته صاحب سجستان وانضم اليه سلطان شاه ، وتوجه انجيش الى خوارزم ، وقد قدم لهما صاحب نيسابور العون العسكرى أيضا ، فى الوقت الذى خرجت قوات علاء الدين تكش من خوارزم لملاقاة أخيه والجيش الذى معه ، وبينما كان علاء الدين فى طريقه وصلته أخبار أن صاحب نيسابور سيتجه الى خوارزم بعد أن يرحل عنها علاء الدين ، فأضطر أن يعود الى خوارزم وأخذ أمواله وذخائره ، وعبر نهر جيحون متجها الى الأتراك الخطا وخليت خوارزم<sup>(١٦)</sup> .

وفى هذه الفترة توفى سلطان شاه سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م<sup>(١٧)</sup> لذلك عاد الجيش الغورى الى غياث الدين ، وعاد علاء الدين تكش من بلاد الخطا الى خوارزم ، وحاول أن يضم اليه مرو وسرخس الا أن أهلها

---

(١٥) نفسه ، ج ٩ ، ص ١١٧ .

(١٦) ابن الأثر : نفسه ، ج ٩ ، ص ١١٧ .

(١٧) نفسه ، حوادث سنة ٥٨٩ هـ .

منعوا جنود علاء الدين من امتلاكها ، وقام علاء الدين بمراسلة غياث الدين الغورى وطلب منه الصلح والمصاهرة<sup>(١٨)</sup> . فأجاب غياث الدين الصلح ، وبذلك نجح علاء الدين فى أن يضم اليه بقية المملكة الخوارزمية وقبض وحده على زمام الأمور<sup>(١٩)</sup> .

### السلطان علاء الدين تكش وسلاجقة العراق :

لابد لنا أن نرجع الى الوراء قليلا لنعرف أحوال الدولة السلجوقية . علم يكد السلطان محمد بن ملكشاه يتوفى سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م حتى قام نزاع حول العرش ، وانقسم السلاجقة على أنفسهم فى الوقت الذى كان فيه أعداؤهم يحددون بهم من كل جانب ، ذلك أن السلطان محمد قبيل وفاته أمر باسناد السلطنة الى ابنه محمود ، وحين وليها هذا وكان صغيرا لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره أنف عمه سنجر — والى خراسان وما وراء النهر — أن يكون تابعا لابن أخيه ، فأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة ، وبذلك أصبح السلاجقة سلطانان انقسمت بينهما الدولة الى قسمين : القسم الشرقى وعليه سنجر ، والقسم الغربى وعليه محمود ، واشتعلت الحرب بين الطرفين فاننتصر سنجر ، واعترف له الخليفة العباسى بالسلطنة على السلاجقة<sup>(٢٠)</sup> . ولكن سنجر بعد انتصاره عطف على ابن أخيه محمود فصالحه وعينه وليا لعهد ، وكتب بذلك الى الولايات ، كما أحاط به الخليفة العباسى علما . وأعاد اليه جميع البلاد التى كانت تحت حوزته ما عدا مدينة الرى التى اتخذها سنجر قاعدة يراقب منها أعمال محمود خشية أن تحدثه نفسه الخروج مرة أخرى<sup>(٢١)</sup> . وقد كان كل فرد من أفراد البيت السلجوقى يعد نفسه مستقلا فى الجزء

---

(١٨) نفسه .

(١٩) حبيب السبر ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٨٦ الى ص ٢٨٨ حوادث سنة

٥١٣ هـ .

(٢١) نفسه .

الذى يحكم فيه ، ويحاول أن يوسع منطقة نفوذه ، ويسعى للوصول الى السلطنة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، الأمر الذى أدى الى كثرة الحروب ، وتعدد ميادينها وشملت الخلافات الأسرية معظم هذا العهد من حكم سلاجقة العراق ، فقد خرج مسعود حاكم الموصل وأربيجان على أخيه محمود وقتلته • وبعد وفاة محمود سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م تنازع ابنه داود مع عمه مسعود وبدأت الحرب بين الطرفين<sup>(٢٢)</sup> ، كما تقاتل مسعود بعد استقرار السلطنة له مع أخيه سلجوق شاه ، ثم تدخل سنجر فدارت الحرب بينه وبين مسعود ، وكذلك بين مسعود وأخيه طغرل • ولم يستقر الأمر الا بعد صراع طويل<sup>(٢٣)</sup> .

وانتهى الأمر بنجاح السلطان مسعود بن محمد ٥٢٩ / ٥٤٧ هـ — ١١٣٤ / ١١٥٢ م فى التغلب على منافسيه والفوز بالسلطنة<sup>(٢٤)</sup> وقد حاول الخليفة المسترشد بالله منازلة السلطان الجديد ، ولكن الأمر انتهى بهزيمته ونفيه ثم قتله بأيدى الباطنية فى نهاية أغسطس ١١٣٥ م حيث مثلوا بجثته تمثيلا شديدا<sup>(٢٥)</sup> .

ولقد بدأ سلطان السلاجقة فى الأفول فى الفترة القليلة التى تلت وفاة السلطان مسعود ، وأخذت قوة السلاجقة فى العراق وكردستان مجرى جديدا أسوأ مما كان عليه سابقا ، ولقد سلب أتابكة أذربيجان والران السلطان السلجوقى المهام والسلطات الفعلية لآسيادهم السلاطين

---

(٢٢) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٥ ، ورقة ١٣ ، ١٤ مخطوط .

أبو الفدا : المختصر ج ٣ ، حوادث سنة ٥٢٧ هـ .

(٢٣) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢٩٠ .

(٢٤) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٥ ، ورقة ١٧ .

(٢٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ٥٠ .

الذين أصبحوا مجرد سلاطين صوريين ، وأخذ يتلاعب بهم أتابكتهم ، فملكوا البلاد وتوسعوا فى ممتلكاتهم على حساب جيرانهم<sup>(٢٦)</sup> .

كان مؤسس هذه الأسرة « أتابكة أذربيجان والران » هو شمس الدين ايلدكر سنة ٥٣١/٥٦٨ هـ — ١١٣٦/١١٧٢ م ، وقد كان شمس الدين هذا مملوكا لوزير السلطان محمود السلجوقى كمال الدين السميرمى . وعقب وفاة الأخير ، عين السلطان مسعود السلجوقى شمس الدين حاكما على منطقة الران والقرى التابعة لولايتها ، وقد استطاع شمس الدين ايلدكر أن يتوسع فى سلطانه خارج منطقة الران ، فشملت أذربيجان واستطاع أن يؤسس أسرة حاكمة فى هاتين المنطقتين عرفت فى التاريخ باسم « أتابكة أذربيجان والران » ، واستمرت تحكم فى المنطقة قرابة قرن من الزمان .

وبعد وفاة السلطان السلجوقى طغرل الثانى تزوج شمس الدين هذا أرملته ، وأصبحت فيما بعد أما لولدين من أولاده « محمد البهلوان وقيزيل أرسلان عثمان » وقد كان للصراع الداخلى على السلطة بين أعضاء الأسرة السلجوقية أثره المباشر فى بروز شمس الدين ايلدكر على مسرح أحداث المنطقة السياسية<sup>(٢٧)</sup> .

ولكى يوطد من سلطانه ليس فقط فى منطقتى أذربيجان والران ، بل فى المناطق السلجوقية الأخرى ، قام شمس الدين بتتصيب أرسلان شاه بن طغرل الثانى الذى كان ربيبه — بعد أن تزوج بأمر أرسلان بعد وفاة أبيه سلطانا — وهكنه من التغلب على منافسيه من أعضاء أسرته السلجوقية ، كما أن شمس الدين جعل من نفسه أتابكا معيناً للسلطان الجديد ، يرعى شئون سلطنته فى هذا الجزء من ممتلكات الامبراطورية

---

(٢٦) سعد الغامدى : أوضاع الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى ،

ص ٦٠ .

(٢٧) نفسه .

السلجوقية ، وقد أصبح السلطان أرسلان شاه مجردا من جميع سلطاته الادارية وغيرها ، وكان ألعبوبة فى يدى أتابكة الذى قبض بيد من حديد على أراضى وممتلكات السلاجقة فى العراق وكردستان ، وتوسع فى سلطاته الى خارج هذه المناطق . وقد ظل ايلدكز هو الحاكم الفعلى للسلطان السلجوقى الى أن توفى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م وتولى ابنه أبو جعفر نصره الدين محمد البهلوان ٥٦٨/٥٨٢ هـ — ١١٧٢/١١٨٦ م ، جميع المهام التى كانت فى يدى والده ، فجعل من نفسه أتابكا للسلطان السلجوقى أرسلان شاه الذى ظل وضعه على ما كان عليه أيام ايلدكز .

وقد حاول السلطان السلجوقى المحجور عليه أن يقوم بحركة انتفاض ضد الأتابك الجديد ليسترد معها بعضا من سلطاته المسلوبة الا أنه توفى بعد شهرين من وفاة ايلدكز . وعلى أثر وفاة أرسلان شاه قام الأتابك محمد البهلوان بتنصيب ابن السلطان المتوفى طغرل الثالث ٥٧٠ هـ / ٥٩٠ هـ — ١١٧٤/١١٩٤ م كسلطان صورى على الممالك السلجوقية بعد وفاة والده أرسلان شاه (٢٨) .

لم تكن أحوال السلطان طغرل الثالث أحسن وضعاً مما كانت عليه شئون والده من قبله ، فلم يكن له من الأمر شىء عند تنصيبه سلطانا (٢٩) . وقد ظل بن البهلوان مسيطرا على طغرل الثالث حتى وفاته سنة ٥٨٢ هـ فخلفه عثمان قزل أرسلان بن ايلدكز الذى طمع فى السلطة فنشب النزاع بينه وبين طغرل ، فهزم الأخير ووقع أسيرا فى يد قزل ، واعتقد فيه بحكم القرابة التى بينهما « أن يتغمد هفواته ويغفر ذلاته ، وأن يخليه معه » (٣٠) الا أنه اعتقله فى قلعة بأذربيجان قرب تبريز (٣١) .

---

(٢٨) الحسينى : أخبار الدول والممالك السلجوقية ، ص ٢٨٤ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٧ ، ٧٤ ، ١٠٤ ، ١٠٨ — ١٢٩ .

(٣٠) الحسينى ، المصدر السابق .

(٣١) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥٠٠ .

البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٣٠٢ .



ومن الجدير بالذكر أن السلطان طغرل استنجد بالسلطان صلاح الدين الأيوبي على عمه قزل أرسلان ، « فاعتذر صلاح الدين بما هو فيه من شغل الجهاد مع الكفار » (٣٢) . وهكذا خلا الجو لقزل أرسلان واستولى على أملاك السلطان طغرل ، غير أنه كان « مغرى بمعاشرة الغلمان وشرب الخمر لا يصحو الا فى بعض الأوقات » (٣٣) لذلك غضبت عليه زوجته اينانج خاتون ، فدبرت مع ابنها « قتلغ اينانج » والأمراء مؤامرة لقتله ، « فقتلوه وهو نائم فى فرشته » (٣٤) سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩٠ م ، وبمقتله طمع الأمراء فى السلطنة ، لكن السلطان طغرل تمكن من الهرب من سنة سنة ٥٥٨ هـ / ١١٩١ م ، واستطاع أن يجمع جيشا فخافه قتلغ اينانج وهرب الى الرى وتحصن بها ، وراسل من هناك خوارزم شاه علاء الدين تكش ، طالبا منه العون والمساعدة ، فأمدته تكش بجيش سيره اليه فى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٩١ م (٣٥) الا أن قتلغ اينانج ندم على استدعاء خوارزم شاه ، فتحصن فى قلعة له .

والواقع أن السبب فى مسارعة علاء الدين تكش الى ارسال المنجدة الى قتلغ اينانج أنه أراد أن يوسع مملكته الخوارزمية غربا حيث سار الى الرى واحتلها الا أنه اكتفى فى هذه المرة بمدينة الرى التى تتمتع بموقع استراتيجى ممتاز حيث كانت مفتاحا لاقليمى بلاد الجبل فى الغرب وخراسان فى الشرق ، وبعدها حاصر قلعة طبرك ، وبعد أن وقع اتفاقية سلام مع السلطان السلجوقى رجع الى خوارزم ، وقضى الشتاء هناك ، وفى العام التالى سنة ٥٨٩ هـ خرج الى مرو حيث كان أخيه سلطان شاه .

---

(٣٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٣٣) الحسينى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، حوادث سنة ٥٨٧ هـ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، حوادث سنة ٥٨٧ هـ .

(٣٥) الكامل : نفسه ،

ابن الوردي : تنمة المختصر فى اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

ترددت الرسل بينهما فى الصلح ، وفى أثناء هذه الفترة وصل الى خوارزم شاه رسول صاحب قلعة سرخس يدعوه ليسلم اليه القلعة « لأنه قد استوحش من صاحب سلطان شاه »<sup>(٣٦)</sup> • فأسرع خوارزم شاه الى هذه القلعة ، واستولى عليها من صاحبها وعندما وصل هذا النبأ الى سلطان شاه مات كمدا وفى نفس العام ، وعندما وصل نبأ موته الى أخيه أسرع الى مرو فاستولى عليه وعلى جميع سلكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وولى أولاده علاء الدين محمد « الملقب بقطب الدين » نيسابور ، وابنه الكبير ملكشاه مرو •

ورغم أن السلطان السلجوقى طغرل الثالث كان قد وافق على التوقيع على هدنة مع خوارزم شاه تكش ، رضى بموجبها أن يتخلى عن الرى ، الا أنه نقض هذا الاتفاق « وغدر بهم وأتبعهم عن أخذ جميع ما كان معهم » وهاجم المدينة ، واستطاع أن يهزم الحامية الخوارزمية وحليفهم الأتابك قتلغ اينانج محمود وأن يحتل الرى<sup>(٣٧)</sup> ، وبعدها حاصر قلعة طبرك التى اعتصم فيها الخوارزميون ، وحاربهم حتى طلبوا الأمان فأمنهم ، فلما نزلوا وأذن لهم بالخروج من الرى غدر بهم ، وتبعهم عن أخذ جميع ما كان معهم ، وقتل منهم جماعة وهرب الباقون<sup>(٣٨)</sup> • وكان من بين القتلى طمعاج الخوارزمى نائب خوارزم شاه

---

(٣٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٠٦ •

الحسينى : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ •

(٣٧) الراوندى : نفسه ، ص ٣٧١ ، الحسينى : نفسه ص ٣١٠ •

(٣٨) الحسينى : نفسه ، ص ٣١٠ •

يذكر الراوندى أن السلطان طغرل بعد أن تبت نفوذه فى الرى تزوج من الخابون والددة « قتلغ اينانج » ولكن رجاله لم يلبثوا أن خوفوه منها ، فقالوا انها تدبر مؤامرة لقتله كما فعلت مع عمه قزل أرسلان بغية التخلص منه وتهبأة الفرصة لابنها قتلغ اينانج بن جهان بهلوان فدبر لها طغرل وسيلة فقتلها وتخلص منها ، فأثار بذلك حمية ابنها الذى استعان بعلاء الدين تكش خوارزم شاه •

انظر : الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٧١ وما بعدها •

فى الرى ، كما وقع كبار الأمراء الخوارزميين أسرى بيد السلطان  
طغرل ، وبعد أن أخمد طغرل هذه الفتنة عاد الى عاصمته همذان •

وقد قام قتلغ اينانج باستدعاء السلطان علاء الدين تكش ، وأخبره  
بما حدث ، وطلب منه النجدة حتى لا يضيع ملكهما فى يد السلاجقة  
ومما شجع تكش على الاسراع فى تجهيز حملة عسكرية استعداد الأتابك  
قتلغ أن يكون حاكما خاضعا للدولة الخوارزمية<sup>(٣٩)</sup> •

وقد وافق هذا المطلب الذى طلبه قتلغ وصول رسول الخليفة  
العباسى الى خوارزم شاه « يشكر من طغرل ويطلب منه قصد بلاده  
ومعه منشور بإقطاعه<sup>(٤٠)</sup> » ، لذلك خرج علاء الدين الخوارزمى من  
نيسابور فى طريقه الى الرى ، فانضم اليه فى الطريق قتلغ اينانج ومن  
معه ، واتحدوا سويا ، وجعل علاء الدين قائدا للفرقة الخوارزمية •

توجهت القوة الخوارزمية فى اتجاه طغرل الثالث الذى علم  
بوصول هذه القوات ، ويرى ابن الاثير أنه عندما علم بمقدمهم « كانت  
عساكره متفرقة ، فلم يقف ليجمعها ، بل سار اليه فيمن معه<sup>(٤١)</sup> » •

ويذكر الحسينى نقلا عن رجل بالرى يقال له أمين الدين محمد  
الزنجاتى وكان نائبا عن الموالى « لما وصل خوارزم شاه علاء الدين  
تكش الى خوار أقام بها يومين وكان حاجبه الكبير شهاب الدين مسعود  
الحسين بخدمته — راسل مسعود بن الحسين الى السلطان ركن الدين  
طغرل بالحفنة ، وقال : انى كنت مملوكا للسلطان علاء الدين تكش ، وغذى  
نعمته وصنعه من صنائعه ، ولم يمنعنى ذلك من بس طالنصح لك لأبيه

---

(٣٩) الفامدى : أوضاع الدول الإسلامية فى الشرق الإسلامى ، ص

(٤٠) ابن الاثير : الكامل ، ص ٢٣٠ حوادث سنة ٥٩٠ هـ •

(٤١) نفسه •

ما ترك جندي على رأسه قلنسوة الا ولبيتك عليه حق ، بحكم انهم السلاطين وأبناء السلاطين ، وعم حكمهم سائر الأقطار واستولوا على جميع الأمصار ، وخدمهم كافة الناس ، وأنا أشير عليك انك تنزع عن الرى الى سلوه وتقيم بها وتراسل السلطان علاء الدين تكش بالصلاح ونحن ندخل بالوساطة بينك وبينه ، وقصارى ما يطلب منك أنك تنزل له عن الرى حتى يقبيل للناس أنه أقام حرمة وناموسه عند ملوك الكفار فى تلك الديار لما علموه من كون الرى كانت له وان أصحابه خرجوا منها ، واستولى غيره عليها ، وليس له مقصود غير هذا ، فان أنت نزلت له عن الرى يرضى بذلك وعاد الى خوارزم وترك ولده بالرى ، واذا كان ولده بالرى يكون تحت حكمك ياتمر بأمرك وينتهى لنهيك ، ويكون اذا عاد السلطان بالاختيار تتحفظ الدماء وتبقى الوجوه بمائها» (٤٢) .

وقد عرض طغرل الأمر على أصحابه ، فنصحوه بالموافقة الا أنه لم يتنازل عن كبريائه ، وأصر على مواجهة خصومه .

لذلك دارت معركة بين الجيش الخوارزمى والسلجوقى عند الرى « فحمل طغرل بنفسه وسط عسكر خوارزم شاه ، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول وحمل رأسه الى خوارزم شاه ، فسيره من يومه الى بغداد ونصب بها بيباب النوبى» (٤٣) .

ويذكر الجوينى « انه عندما سقط طغرل عن جواده نقلت جثته وأحضرت أمام السلطان تكش ، فلما رأى عدوه بهذا الوضع ترجل عن

---

(٤٢) الحسينى ، المصدر السابق ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٤٣) ابن الاسير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ حوادث سنة ٥٩٠ هـ .  
الراوندى : نفسه .

جواده وسجد لله شكرا ثم أرسل رأسه الى الخليفة الناصر لدين الله « (٤٤) » .

أما الحسينى ففى أخبار الملوك السلجوقية فيذكر أن السلطان كان فى عدد قليل من أصحابه جلهم من أتباعه وخدمه ، لا يتجاوز عددهم الستين رجلا ، وقد رفض السلطان نصيحة أتباعه بالأى يقابل خصومه فى هذه القلة من رجاله ، الا أنه اختار أن يقابل عدوه قتلغ اينانج محمود دون اكتران بقوته ، وعندما هجم السلطان على مركز قوات العدو أصابه سهم طائش فى عينه ، فسقط من جواده ، فأسرع أعداؤه فحزوا رأسه وذلك فى التاسع من شهر ربيع الأول (٤٥) .

من أغرب المصادفات أن يكون اسم طغرل بك هو اسم أول سلاطين السلاجقة ، واسم آخرهم فى بغداد ، بمعنى أن الدولة السلجوقية ابتدأت بطغرل وانتهت بطغرل (٤٦) .

وقد كان الخليفة العباسى الناصر لدين الله قد بعث بقوة عسكرية لنجدة خوارزم شاه ، كما بعث اليه بالخلع السلطانية مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب ، فنزل بالقرب من همذان فبعث اليه خوارزم شاه علاء الدين يطلبه فرفض مؤيد الدين ، وطلب منه أن يحضر بنفسه اليه ليلبسه الخلعة فى خيمته وظلت الرسل تتردد بينهما ، حتى وصلت أنباء الى علاء الدين تفيد أن هذه ما هى الا خدعة حتى يحضر اليه فى الخيمة ويقبض عليه ، لذلك توجه اليه خوارزم شاه حتى يقبض هو عليه فهرب

---

(44) Juwaini «op. cit» pp. 302—303.

(٤٥) الحسينى : المصدر السابق ، ص ٣١٣ ويختلف هنا مع ابن الأثير فى تاريخ مقتل طغرل .

(٤٦) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

الرجل الى الجبال ، وتركه خوارزم شاه « علاء الدين تكش » وتوجه الى همذان (٤٧) .

والواقع أن وصول علاء الدين الى همذان يعنى انهيار سلاجقة العراق وكردستان ، واستيلاء الخوارزميين على العراق العجمي أو بلاد الجبل ، وحصل على تقليد بذلك من الخلافة العباسية وقد أقطع كثيرا من هذه المدن لامرائه ومماليكه فاقطع اصفهان لقتلغ اينانج ، وهمذان لقارغوز الأتابكي أما الري فلاينه يونس خان (٤٨) .

الا أن أطماع تكش لم تتقف عند هذا الحد ، بل رأى أنه لابد أن تحتل المكانة التي كانت للسلاجقة في بغداد ، وطلب الى الخليفة الناصر أن يعترف به سلطانا في هذه الناحية ، وأن يذكر اسمه في الخطبة (٤٩) ، ولكن هذا الطلب كان يتعارض مع رغبات الخليفة العباسي الذي تنفس الصعداء بزوال كآبوس السلاجقة .

### الخوارزميون والخلافة العباسية

#### على عهد السلطان علاء الدين تكش

وضح لنا من الدراسة السابقة أن علاء الدين تكش عندما تخلص من السلطنة السلجوقية ، واستولى على أملاكها يكون بذلك قد أنهى القوى الشرعية التي كان يتبعها ، وأصبح له السيادة على هذه المناطق ، واختلف وضعه في هذه الآونة من قوة اقليمية محدودة الى قوة لها سلطان واسع .

والحقيقة التي لابد أن نثبتها هنا هي أن الخلافة العباسية قد

---

(٤٧) ابن الأثير : الكامل ، ص ٢٣٠ حوادث سنة ٥٩٠ هـ .

الراوندي : راحة الصدور ، ص ٥١٩ وما يليها .

(٤٨) الراوندي ، نفسه ، ص ٥١٩ .

(49) Juwaini «op. cit» vol 1. pp. 302—303

ضعف سلطانها ، وأصبح السلاجقة هم القوة المسيطرة عليها حتى انها عندما أفاقت فى فترة الصحوة أيام الخليفة المسترشد فان السلاجقة كانوا قد انهوا نزاعهم ، ونجح السلطان مسعود فى تقلد السلطنة السلجوقية سنة ١١٣٤/١١٥٢ م<sup>(٥٠)</sup> . وعندما حاول المسترشد أن يقف أمامه قتل على أيدي الباطنية .

وظل الحال أيام الخليفة الراشد ٥٢٩/٥٣٢ هـ — ١١٣٤/١١٣٧ م وكان الصراع دائرا بين السلاجقة والخلافة العباسية، فوقف الخوارزميون بجانب الخلافة ضد السلطان مسعود السلجوقى<sup>(٥١)</sup> .

وفى أيام الخليفة المقتفى لأمر الله ظلت العلاقات متوترة بين خوارزم شاه آتسز وبينه .

وقد أورد لنا رشيد الدين الوطواط سلسلة من المخطابات التى بعث بها بلاط خوارزم فى عهد آتسز الى الخليفة المقتفى لأمر الله التزموا فيها بطاعة الخلافة العباسية وان « من اعتصم بحبل مشايعته ، وانتظم فى سلك مبايعته نال فى الدارين مناه ، وحاز فى المحكين مبتغاه »<sup>(٥٢)</sup> .

وقد بين رشيد الدين أن الخلفاء العباسيين بذلوا قصارى جهدهم فى حماية الدين وبيضته والمراماة عن حريم الحق وحوزته ، وانهم ساعدوا السلاجقة الا أنهم لم يحفظوا لهم هذه المساعدات فقابل « هذا الذى هو اليوم أكبر تلك القبيلة سنا وحرمة وأعظم تلك العشيرة جاها

---

<sup>(٥٠)</sup> النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج ٢٥ مخطوط ورقة

<sup>(٥١)</sup> ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

<sup>(٥٢)</sup> رشيد الدين الوطواط ، رسالة الى المقتفى ص ٥ .

وحشمة جنات العبد ، واسلافه بما قابل من استئصال بقاعة واستباحة  
دماء أتباعه وأشياعه» (٥٣) .

وقد حاول بذلك أن يثبت للخليفة العباسي أن ما يقوم به  
الخوارزميون من الاستيلاء على ممتلكات السلاجقة هو حق وواجب ،  
« لقلّة شفقّتهم على الرعايا وابرأزهم السنن الضائرة من الأيام واحداثهم  
الرسوم الجائرة في الاسلام » (٥٤) .

ثم بدأ رشيد الدين يشرح للخليفة المقتفى ما قام به السلطان  
سنجر من حملات على أرض الخوارزميين ، وما فعله بهم عند هزار آسف  
وعدد المهزائم التي منى بها السلاجقة على أيدي الخوارزميين ، وهربوا  
الى قلعة أسكندر وهي قلعة في أقصى ديار خوارزم، ويعلى الوطواط سبب  
انتصار الخوارزميين « الا بركة موالاة الدولة القاهرة الامامية النبوية  
المقتفية » (٥٥) .

وفى مكاتبة أخرى قدمها الوطواط نيابة عن السلطنة الخوارزمية  
بين ضرورة الالتزام بطاعة أمير المؤمنين الا أن هناك بعض العوائق التي  
وقفت أمام الخوارزميين أهمها « ان خطة العبد لصيقة ببلاد الشرك من  
ديار الترك ، والعبد في أكثر أوقاته وأغلب حالاته مشغول بمحاربة أعداء  
الدين ومقارعة أحزاب الشياطين ، يذل صعابهم ، ويفل أنيابهم ويرد على  
بحبوحة الاسلام خيلهم وركابهم » (٥٦) .

ويؤكد الوطواط على أن الخوارزميين مع بعد ديارهم على ولاء تام

---

(٥٣) رشيد الدين ، نفسه ، ص ٦ - ٧ .

(٥٤) نفسه .

(٥٥) نفسه ، ص ١٢ - ١٣ .

(٥٦) « الوطواط ، ص ١٥ .



للخلافة العباسية ، وان حاكمها «مقبل على سرير الخلافة معتصم بولاء حرمها العاصم من المخافة» (٥٧) .

وقد اهتم الخوارزميون بضرورة الحصول على الخلع والتشريفات التى تصل من دار الخلافة اليهم ليكسبوا حكمهم صبغة شرعية وكانت لها أثر حسن عليهم ، ويؤكد «ان الخلع الحاصلة للعبد والتشريفات الواصلة اليه من المواقف المقدسة قدسها الله فقد هزت عطفه ، وشدت أزره واطلعت نجوم فخره» (٥٨) .

وقد ظلت العلاقة وطيدة بين الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة المقتدى لأمر الله سنة ٥٥٥ هـ ، وفى عهد الخليفة المستنجد بالله العباسى .

ويؤكد هذه العلاقة بن الوطواط فى مراسلاته الى الخليفة المستنجد حيث أوضح مدى قوة الخلافة فى عهده «فهى رفيعة البنيان منيعة الأركان ، والامامة راسية الأوتاد سامية الأطوار ، والملة مشدودة السواعد ، متسيدة القواعد» (٥٩) .

ويقول ابن الوطواط «فان ساعنا فقد الامام الذى مضى ، فقد سرنا عهد الامام الذى بقى وان فى بقاء مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، أدام الله جلاله ، ومد على الخافقين ظلاله ، لعوضا من كل ما يفوت ، وخلفا من كل من يموت» (٦٠) .

وبين رشيد الدين الوطواط للخليفة المستنجد أهمية خوارزم لأنها مجابهة لأراضى الأتراك الكفار «ولولا مواظبة العبد على حفظ خوارزم

---

(٥٧) الوطواط : نفسه .

(٥٨) الوطواط ، نفسه .

(٥٩) الوطواط ، ص ٢٥ .

(٦٠) نفسه ، ص ٢٦ .

التي هي خطة متصلة ببلاد الترك ملتصقة بديار الشرك يهجم عليها  
ان غاب البعد عنها أهل الكفر ، وينالونها لانالوا المنى بالناب  
والظفر» (٦١) •

وقد شارك حكام خوارزم الخلافة العباسية فى السراء والضراء  
فقد عقدوا مجالس للعزاء عند وفاة الخليفة المقتفى بأمر الله « مقيمين  
فيها رسم التعزية والتهنئة بنفسه لا قلمه » وحين وصل الخبر الى  
خوارزم أمر العبد جميع أهل الولاية بعقد مجلس العزاء والمبالغة فى عد  
تلك المناقب والآلاء ، فجلسوا ثلاثة أيام كأنها ثلاثة أعوام (٦٢) •

وأكد رشيد الدين الوطواط للخليفة المستتجد على أن الدولة  
الخوارزمية تستخدم رسوم الخلافة ، « فزينت الخطبة بميامن اسمه ،  
وحليت السكة بمحاسن رسمه » (٦٣) •

وما يهمنى الآن هو علاقة علاء الدين تكش بالخلافة العباسية وهو  
الحاكم « الشاه » الذى يحق لنا أن نطلق عليه لقب سلطان لأنه استولى  
على جميع الممتلكات الخوارزمية •

لقد رأينا موقف مؤيد الدين بن القصاب ، وسوء موقفه مع  
علاء الدين تكش ، وكيف أنه هرب الى الجبال عندما علم بقدوم  
علاء الدين اليه • والواقع أن هذا الموقف من جانب وزير الخلافة يدل  
على سوء التصرف والجهل • وربما أدى الى توتر العلاقات بين  
الطرفين ، هذه العلاقات التى حرص أسلافه على الاحتفاظ بها •

وقد بدأت ملامح العلاقة بين القوتين العباسية والخوارزمية  
تتضح عندما توطدت أركان الدولة الخوارزمية ، واستطاعت أن ترث

---

(٦١) الوطواط ، نفسه ، ص ٢٦ •

(٦٢) نفسه •

(٦٣) نفسه •

ممتلكات السلاجقة الذين حكموا هذه المناطق بما فيها دار الخلافة في بغداد ما يربو على المائة عام . بل انهم سلبوا الخلافة كثيرا من ممتلكاتها حتى أنها لم تتعدى ممتلكاتها الا العراق العربى وخوزستان<sup>(٦٤)</sup> .

لذلك تنفست الخلافة العباسية الصعداء عندما قتل السلطان السلجوقى طغرل الثالث سنة ٥٩٠ هـ على يد الخوارزميين ، فتصور أنه بذلك سيرث الممتلكات السلجوقية .

فقد ذكرت الأحداث التى أوردها ابن الأثير ، وكيف أن الخليفة أرسل لعلاء الدين خلعة الولاية مع مؤيد الدين بن القصاب ، وموقف ابن القصاب وسوء تصرفه مع علاء الدين<sup>(٦٥)</sup> .

وربما تكون هذه الخلع التى بعث بها الخليفة الناصر لدين الله الى علاء الدين ، الغرض منها ، اثبات الحق الشرعى للخلافة العباسية فى الأماكن التى يحكمها علاء الدين ، وان تعيينه على هذه المناطق من قبل الخلافة يجعل منه تابعا لها ، وولايته من ولايات الاستكفاء<sup>(٦٦)</sup> .

وقد كان الخليفة العباسى متخوفا من هذه القوة الخوارزمية الجديدة ، والتى شعر أنها لا تقل خطورة عن السلاجقة ، فقد كان طامعا فى منطقة العراق العجمى ، حتى لا يمتد نفوذ الخوارزميين الى بغداد .

ولو أن هناك رأيا آخر وهو أن تدخل الخليفة الناصر فى هذه المنطقة لم يكن بدافع سياسى لغرض التوسع لأن الخلافة العباسية لم تكن تملك أهم أسباب التوسع وهو القوة العسكرية ، ولتتمكن من توسيع رقعة أراضيها . ففى هذا الوقت ، لم تكن الخلافة العباسية تستطيع

---

(٦٤) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٧ .

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ، ص ٩ ، حوادث سنة ٥٩٠ هـ .

(٦٦) عن الولايات والامارة على البلاد . انظر :

المأوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٣١ .

( م ٦ — التاريخ السياسى )

أن تفرض الأمن والنظام وحياة الاستقرار داخل أراضيها نفسها ،  
أو أن تشجر بالأمن داخل حدودها ، لذلك نجد أن أهم ما كان يسعى  
اليه هذا الخليفة وأقصى ما يتمناه هو أن يشعر بالأمن داخل أراضيه<sup>(٦٧)</sup> .

ولقد رأينا أن خوارزم شاه علاء الدين تكش عندما أنهى موقفه  
مع وزير الخليفة مؤيد الدين بن القصاب توجه الى همذان وبعدها سلم  
حكمها وادارتها الى قتلغ اينانج « واقطع كثيرا منها لمالكيه وجعل المقدم  
عليها مياحق وعاد هو الى خوارزم »<sup>(٦٨)</sup> .

أما بالنسبة لمؤيد الدين بن القصاب فقد نجح في الاستيلاء على  
خوزستان وتسستر وبعدها توجه الى منطقة ميسان وهي تابعة  
لخوزستان<sup>(٦٩)</sup> . وفي هذه الفترة قدم عليه قتلغ اينانج ومعه بعض  
الأمراء ملتجئا اليه بعد أن اشتعلت الحرب بينه وبين قوات علاء الدين  
الخوارزمي .

ويرجع سبب الخلاف الذي حدث بين قتلغ اينانج وبين  
الخوارزميين ، الى الوقت الذي تم فيه تعيين قتلغ على همذان واصفهان  
وكان خاضعا في ادارته لابن علاء الدين تكش المدعو يونس خان والذي  
كان نائبا عن والده في حكم هذه المناطق . وكانت الري مقرا لادارة  
شئون المقاطعة الجديدة<sup>(٧٠)</sup> . فربما أن قتلغ اينانج وهو ممثل للاتبكة  
السابقين الذين كانوا لا يرغبون أن يكونوا تحت حكم الخوارزميين ولا أن  
يظلوا أتباعا ، بل أن يحكموا كحكام مستقلين لهذه البلاد ، التي اعتبروها  
حقا ذاتا لهم .

ويذكر ابن الأثير « أن قتلغ اينانج أشعل ثورته في همذان ، حيث

---

(٦٧) الفامدى : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٦٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣١ ، حوادث سنة ٩٥٩ هـ .

(٦٩) نفسه ، حوادث سنة ٥٩١ هـ .

(٧٠) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٧٥ — ٣٧٦ .

قامت معركة بينه وبين مقدم العسكر الخوارزمي مياجق عند منطقة زنجان<sup>(٧١)</sup> . الا أن قوات اينانج هزمت ، وانتصرت قوات الخوارزميين رغم عدم محبة أهل البلاد لهم . لذلك توجه اينانج — كما ذكرنا — الى قوات مؤيد الدين بن القصاب ، فأحسن استقبال اينانج واعطاه الخيل والخيام وغير ذلك » كما لزع عليه الخلع<sup>(٧٢)</sup> .

وبذلك تحالفت قوات الخليفة الناصر لدين الله الممثلة في مؤيد الدين ، مع قوات الأتابك قتلغ اينانج ، وتوجهوا سويا نحو همذان ليهاجموا القوات الخوارزمية هناك .

وتعتبر هذه المواجهة العسكرية الآن هي مواجهة بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية ممثلة في علاء الدين تكش ، حتى أن الراوندي يذكر لنا أن هذه القوة توجهت نحو همذان بناء على أوامر الخليفة الناصر لدين الله<sup>(٧٣)</sup> .

أخذت القوات المتحالفة طريقها الى كرمانشاه ، ومنها الى همذان حيث يونس خان بن تكش ، ومياجق — وما أن وصلت الى مسامعهم أخبار هذه القوة المتحالفة حتى تركوا همذان متوجهين الى الري . فقام ابن القصاب وزير الخليفة الناصر بالاستيلاء على همذان في شوال من هذا العام ، ومنها اتجه الى خراقان ومزدغان وسالوه وآووه حتى وصلوا الى الري ، فخرج منها الخوارزميون متجهين الى خوار الري ، وعندما لحقت بهم قوات الخلافة ، اتجهوا ناحية دامغان وبسطام وجرجان . وبعدها عادت قوات الخلافة الى الري<sup>(٧٤)</sup> .

---

(٧١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٢ ، حوادث سنة ٥٩١ هـ .

الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٧٧ .

(٧٢) نفسه .

(٧٣) الراوندي نفسه ، ص ٣٧٧ .

(٧٤) نفسه ، ابن الأثير ، حوادث سنة ٥٩١ هـ .

وهكذا تمكن الخليفة الناصر لدين الله من بسط نفوذه على ما كان بيد الخوارزميين من أملاك فى العراق العجمى والرى ، وساعده على ذلك أن ملك الخوارزميين لم يكن ثابتا فى تلك المناطق ، اضافة الى كراهية أهلها لهم •

ويهمنا الآن أن نرى مصير التحالف الذى تم بين قتلغ اينانج وابن القصاب ومثل الخلافة •

الحقيقة التى أوردها لنا ابن الأثير ، والراوندى وغيرهم من المؤرخين تؤكد على أن الخلاف ما لبث أن دب بين القوتين ، نظرا لاختلاف المطامع والأهواء • فقد ذكرت مسبقا أطماع قتلغ اينانج بن البهلوان الذى كان يعتبر نفسه الوريث الشرعى لحكم هذه المناطق من العراق العجمى • والخلافة العباسية كانت تريد أن تقضى على نفوذ الأتابكة والسلاجقة ، والنفوذ الخوارزمى المصاعد •

وقد رأينا سقوط السلاجقة ، واندحار الأتابكة ، ثم انتصار نائب الخليفة بن القصاب على الخوارزميين ، لذلك قاموا بفرض سيطرتهم على كل مدينة يفتحونها بدون النظر الى حليفهم اينانج ، فى الوقت الذى كان يرى فيه اينانج خروج القوات الخوارزمية من البلاد ، غارادوا أن يحلوا محلهم ، حتى أنهم رغبوا فى أن يستقلوا بالرى الا أن قوات ابن القصاب سيطرت على المدينة ونهبها عسكره ، وأساعوا السيرة فى أهلها مما دفع اينانج الى الخروج منها (٧٥) •

أمر ابن القصاب بالنداء فى جنوده بالكف عن النهب والسلب ، فى الوقت الذى أخذت قوات قتلغ اينانج طريقها نحو مدينة آوه ، وكان بها شحنة من الجيش تابعة للوزير بن القصاب فتصدوا لقتلغ وقواته ومنعوه من دخول المدينة فى الوقت الذى خرجت فيه قوات بن القصاب

---

(٧٥) ابن الانير ، نفسه ج ٩ ، ص ٢٣٢ ، حوادث سنة ٥٩١ هـ .

للتعقب قتلغ باعتباره خارج عن الطاعة ، وأخذوا طريقهم صوب همذان • وبينما هو فى الطريق وصلته الأخبار بأن قتلغ قد اتجه الى بلاد الكرج<sup>(٧٦)</sup> • وعند الدربند التقت القوتان ، واستقر القتال بينهما فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ، فى الوقت الذى تحركت فيه قوات الخلافة متجهة الى همذان<sup>(٧٧)</sup> التى أقام بها ما يقرب من ثلاثة أشهر •

ويذكر الراوندى ، والجوينى أن قتلغ اينانج عندما شعر بعجزه عن مقاومة جيش الخلافة توجه الى مياجق مقدم العسكر الخوارزمى وتصلح معه على أن تتعاون القوتان معا لمقاومة العسكر الخلقى ، لأنهما يتفقان الآن فى المطامع والأهداف • الا أن مياجق ما لبث أن غدر به وقتله وبعث برأسه الى السلطان تكش<sup>(٧٨)</sup> •

وفى نفس الوقت ، لم ترد هذه الحادثة عند ابن الأثير ، وانما يشير الى أن خوارزم شاه تكش ما أن سمع بما فعله الخليفة حتى أرسل رسوله الى الوزير مؤيد الدين بن القصاب منكرأ أخذ البلاد من الخوارزميين ، وطلب منه « اعادتها وتقدير قواعدها والصلح »<sup>(٧٩)</sup> •

رفض دؤيد الدين بن القصاب طلب علاء الدين تكش ، لذلك سارع خوارزم شاه بتجهيز قواته ، والاتجاه صوب همذان ، فاستولى على الرى ، ووصل الى همذان ، وبينما هو هناك حدثت مفاجأة ، وهى

---

(٧٦) عن الكرج واصالهم وتاريخهم السياسى • انظر :  
عفاف صبرة : دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية من ص ٢١ الى  
ص ٥١٥ •

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٣٢ ، حوادث سنة ٥٩١ هـ •  
الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٨٠ — ٣٨١ •

(٧٨) نفسه •

Juwaini «op. cit» vol I. p 307.

(٧٩) ابن الاثير : نفسه ، ص ٢٣٢ •

وفاة مؤيد الدين بن القصاب في أول شعبان ٥٩٢ هـ<sup>(٨٠)</sup> إلا أن المعركة ما لبثت أن نشبت — دون اعتبار لوفاة بن القصاب — بين قوات وزير الخلافة وبين علاء الدين الخوارزمي في منتصف شعبان، أسفرت عن هزيمة جند الخلافة، وانتصار الخوارزميين الذين غنموا غنائم كبيرة، ونجح علاء الدين تكش في الاستيلاء على همذان وقام بنبش قبر الوزير وقطع رأسه وحملها إلى عاصمته خوارزم « مدعيا أنه قتله في المعركة »<sup>(٨١)</sup> وبذلك عادت سيطرة الخوارزميين على همذان والري وأصفهان •

والحقيقة أنه لا بد لنا من وقفة هنا نحلل فيها هذا الموقف العدائي والشديد الذي سار عليه مؤيد الدين بن القصاب منذ أن أوغده الخليفة الناصر لدين الله حاملا الحلع إلى السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش بعد انتصاره على طغرل السلطان السلجوقي، وكيف أساء التصرف مع علاء الدين مما أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين، ثم علاقته بعد ذلك بقتلغ اينانج بعد أن اختلف مع الخوارزميين، وكيف ضمه إلى معسكره إلا أنه ما لبث أن غدر به، وكيف أساء السيرة مع أهالي البلاد وصادر ممتلكاتهم والأراضي الخاصة، وأعلنها ملكا خاصا للخليفة العباسي في بغداد<sup>(٨٢)</sup> كل هذه الأفعال أساءت إلى اسم الخلافة العباسية في البلاد، وأظهرتها على أنها قوذة طامعة، تسعى لافرض النفوذ دون النظر إلى مصالح أهل البلاد • وربما لم تكن هذه هي سياسة الخليفة، بل إن سوء التطبيق الذي أتبعه ابن القصاب هو الذي قادهم إلى ذلك •

ورغم كل ذلك إلا أن خوارزم شاه علاء الدين حاول أن يعيد

---

(٨٠) نفسه، الراوندي، ص ٣٨١ •

(٨١) نفسه •

(٨٢) الفارمدي : نفسه، ص ٩٤ •



التفاهم بينه وبين الخليفة ، وتظاهر بولائه له بعد هزيمة جيوشه على أيديهم<sup>(٨٣)</sup> .

وإذا كان السلطان خوارزم شاه قد فعل ذلك إلا أنه لم يراع حرمة أهل البلاد وأساء معاملتهم ، وبالنسبة جنده في نهب البلاد وسلبها ، لذلك كره أهل أصفهان والرى الحكم الخوارزمي ، ورغبوا في التخلص منه والعودة الى طاعة الخلافة العباسية — حتى أن أهل البلاد كانوا يتنكرون في زي الخوارزميين ، ويهاجمونهم بدعوى أنهم منهم ، مما اضطر خوارزم شاه أن يصدر أوامره بقتل كل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي<sup>(٨٤)</sup> ، وقام مياجق قائد الجيش الخوارزمي بالنهب والاغارة وامتدت غاراتهم الى كرمانشاه وحدود أبهر و زنجان ، وحملوا كل ما وجدوه من متاع ولم يتركوا شيئاً قط ، فصارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وتجاوز ظلمهم كل حد واسلموا الناس للنهم والنعم . . وان المظالم التي ارتكبتها جند مياجق لم تحدث على أيدي الكفار الأبخازيين<sup>(٨٥)</sup> ، والترك والخطائيين والصليبيين ، فقد نزع من قلوبهم رحمة الاسلام ، فكانوا يريقون دم الانسان كما يريقون الماء ، وكانوا يخلقون المدارس بصورة لا يجيز للمجوس والنصارى واليهود والوثنيين أن تصيب بيوت النار والكنائس ، ومعابد اليهود وبيوت الأصنام وسن هؤلاء الظالمون قانوناً في العراق بمصادرة المدارس والمساجد وأهوال العلماء<sup>(٨٦)</sup> .

---

(٨٣) الراوندي : نفسه ، ص ٣٨٣ .

(٨٤) العبود : الدولة الخوارزمية ، ص ٨٤ .

(٨٥) الأبخاريين نسبة الى بلاد الأبخاز في القوقاز . عن هذا الموضوع انظر :

عماد صبرة : الكرج والقوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، من ص ٤٢١ الى ص ٥١٥ .

(٨٦) الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٨٢ .

وعندما استاء الناس من هذه الأفعال قام رئيس السافعية بأصفهان صدر الدين الخجندی بمراسلة الديوان ببغداد<sup>(٨٧)</sup> ، « يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل من الديوان من المساکر »<sup>(٨٨)</sup> ، حيث أن الخجندی كانت له مكانة بارزة في البلاد ويعتبر الحاكم الرسمي عليها .

وقد ورد سبب آخر لاستدعاء قوات الخليفة الناصر لدين الله ، ولده شرف الدين محمد ، وقصد بغداد مستجيرا بالخليفة الناصر وهو قيام القوات الخوارزمية بقتل نقي ببلاد العجم عز الدين المرتضى القمي الذي « كان من أجاد العلماء وعظماء السادات » فلما قتله هرب لدين الله<sup>(٨٩)</sup> .

وعلى كل حال ومهما كانت اسباب فقد أسرع الخليفة الى تلبية نداء أهل اصفهان وخرجت قواته بزعامة سيف الدين طغرل « مقطع بلد اللحف من العراق »<sup>(٩٠)</sup> . وعندما وصلت الى حدود أصفهان خرجت منها قوات خوارزم شاه واتجهت الى خراسان .

وقد حدثت حركة تمرد أخرى ضد علاء الدين تكش في مدينة الري فقد اتفق مماليك ابن البهلوان ، ونصبوا عليهم أحد أعيانهم وهو نور الدين

---

(٨٧) عن الشيخ صدر الدين الخجندی انظر :

عفاف صبرة : المرجع السابق عن دور العلماء وفقهاء الدين في جهاد الصليبيين من ص ١٩ الى ص ١٠٤ ، اخطار الباطنية زمن الحروب الصليبية ص ١٠٧ — ٢٦١ .

(٨٨) ابن الاثير : الكامل ، ص ٢٣٤ ، حوادث سنة ٥٩٢ هـ .

(٨٩) العبود ، المرجع السابق ، نقلا عن الفخرى ، الاداب السلطانية ص ٢٦٠ — ٤٢٧ .

(٩٠) بلد اللحف موقع معروف من نواحي بغداد سمي بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهانند ، وتلك النواحي وهو دونها مما يلي العراق ، ومنه « البندنجيين » وفيه عدة قلاع حصينة .  
انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

على كوكجه ، وقاموا بالاستيلاء على الري وما جاورها من البلاد ومنها اتجهوا الى أصفهان لكي يطردوا الخوارزميين منها ، وعندما اقتربوا منها سمعوا بوصول قوات الخليفة الناصر لدين الله ، لذلك أرسل كوكجه الى سيف الدين طغرل قائد قوات الخلافة يعلن له الخضوع والاذعان « ويعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية »<sup>(٩١)</sup> وبين لطرل أن سبب قدومه الى أصفهان كان من أجل القضاء على القوات الخوارزمية وانه عندما علم أنهم تركوا اصفهان لحق بهم الا أنه لم يدركهم •

وقد قامت قوات الخلافة بالاتجاه صوب سمرقان ، أما كوكجه ، فإنه تتبع فلول الخوارزميين الى طبرس وهي احدى بلاد الاسماعيلية<sup>(٩٢)</sup> وبعدها عاد مرة أخرى الى أصفهان واستولى عليها ، وأرسل الى الخليفة الناصر لدين الله يطلب منه أن يعينه على الري ، وخوار الري وسواة وقم وقاجان وما حولها من حد مرذغان ، أما الخليفة فتكون له أصفهان وهمذان وزنجان وقزوين فوافق الخليفة على ذلك ، وأرسل اليه منشور التولية والخلع<sup>(٩٣)</sup> ، وبذلك دخلت هذه المنطقة من العراق العجمي تحت حكم أسرة بن البلهوان مرة أخرى مع السيادة الشكلية للخلافة العباسية •

وقد لاحت الفرصة للخلافة العباسية أن تتدخل مرة أخرى في شئون هذه المنطقة لوقف خطر الخوارزميين •

فقام الخليفة الناصر بالاستعانة بشخصية هامة من رجال البيت

---

(٩١) ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢٣٤ .

الراوندي : راحة الصدور ، ص ٣٨١ .

(٩٢) عن الاسماعيلية انظر : عفاف صبرة ، دراسات في تاريخ

الحروب الصليبية .

عن اخطار الباطنية زمن الحروب الصليبية من ص ١٠٧ — ٢٦١ .

(٩٣) ابن الاثير ، نفسه ، ص ٢٣٤ .

الأيوبي وهو أبو الهيجاء السمين<sup>(٩٥)</sup> ، وقد أمره الخليفة بأن يرأس الجيش العباسي ويتجه الى همذان حتى يتقابل هناك مع الأمير أوزبك ابن البهلوان وأمير علم وابنه وابن سطمش الذين أذعنوا لطاعة الخليفة العباسي ، ولكن ما أن وصل أبو الهيجاء الى هناك حتى أساء معاملته أوزبك واتباعه ، وعاملهم معاملة سيئة ، « فقبض على أوزبك وابن سطمش وابن قرا بموافقة من أمير علم »<sup>(٩٥)</sup> .

وصلت هذه الأخبار الى مسامع الخليفة الذي أنكر على قائد هذه الأعمال وأنبه على ذلك وأمر بالافراج عن المقبوض عليهم حتى أن الخليفة بعث اليهم الخلع من بغداد ليطيب نفوسهم ، الا أنهم لم يأمنوا جانب أبي الهيجاء ، فخافهم ، كما خاف أن يعود الى دار الخلافة في بغداد ، بل انه آثر أن يعود الى موطنه الأصلي مدينة اربل بالعراق .

#### ( ج ) الناصر لدين الله والغوريون :

فكر الخليفة الناصر لدين الله في وسيلة يستطيع بها أن يحد من نشاط علاء الدين تكش الخوارزمي ، الذي نجح في مهاجمة الري وهمذان وأصفهان وما بينهما من البلاد ، واستولى عليهم ، ودخل في مواجهة عسكرية مع جيش الخلافة ، وطالب بالسلطنة ، واعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه في عهد السلاجقة ، ويجيء الى بغداد ، ويكون الخليفة تحت يده ، فانزعج الخليفة من طلبه ، ورد رسوله بلا جواب ، وسخط أهل بغداد<sup>(٩٦)</sup> . لذلك قام الخليفة بالاتصال بغياث الدين ملك

(٩٤) كان من اكابر أمراء مصر ، وكان له اقتطاع بيت المقدس وغيره ، ولما ملك العزيز والعاقل . دمشق من الأفضل أخذوا منه القدس ، فخرج منها الى التمام وعبر الفرات الى الموصل ثم بغداد وعرف بالسمن لانه كان كثير السمن .

ابن الاثير : الكامل ، ص ٢٣٧ ، حوادث سنة ٥٩٣ هـ .

(٩٥) نفسه ، الراوندي ، ص ٣٨٩ — ٣٩١ .

(٩٦) العبود ، نفسه ، ص ٨٦ .

الغور وغزنة يأمره بمهاجمة أراضى علاء الدين تكش الخوارزمى ،  
ليبعده عن مهاجمة العراق العجمي<sup>(٩٧)</sup> فانتوز غياث الدين فرصة وعدة  
علاء الدين الخوارزمى الى مدينة خوارزم ، فبعث اليه ينكر عليه ما يفعله ،  
ويهدده بمهاجمة بلاده والاستيلاء عليها •

لذلك قام علاء الدين بمراسلة ملك الأتراك الخطا يشكو اليهم  
معاملة غياث الدين الغورى « وانه سيسئولى على جميع بلاده كما  
استولى منهم على بلخ ، وطلب منهم النجدة ، لذلك جهز ملك الخطا التركى  
جيشا كثيفا جعل على قيادته قائدهم المدعو بطانيكو ، فخرجوا نحو  
جيحون فى وقت كانت أحوال الغور غير ملائمة ، فقد انشغل شهاب الدين  
الغورى أحد أخوة غياث الدين ببلاد الهند ، بينما كان غياث الدين مريضا  
بالنقرس ولا يتمكن من الحركة • وفى هذه الظروف وصلت قوات ملك  
الخطا الى جيحون ، وقام علاء الدين شاه بالاتجاه ناحية طوس متجها  
الى هراة لمحاصرتها • ثم كان أن وصلت قوات الأتراك الى بلاد الغور  
فقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا »<sup>(٩٨)</sup> لذلك استتجد أهل هذه البلاد  
بملكهم غياث الدين الغورى حتى نجح الغوريون بفضل النجدة التى  
وصلتهم فى التصدى لهجوم الأتراك وهزيمتهم حتى قدر عدد قتلهم  
بأثنى عشر ألفا ولحق بهم الغوريون •

وعندما وصلت أنباء هزيمة جيش الخطا على يد الغوريين الى  
مسامع ملكهم بعث الى علاء الدين خوارزم يقول له « أنت قتلت رجالى  
وأريد عن كل قتيل عشرة آلاف دينار »<sup>(٩٩)</sup> الا أن علاء الدين عنفهم وبين

---

(٩٧) ابن الانير ، نفسه ، ص ٢٤١ ، حوادث سنة ٥٩٤ هـ .

Juwaini «op. cit» vol I. pp. 310—311.

الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٩٠ .

(٩٨) ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢٤١ .

(٩٩) نفسه .

لهم انهم انما أتوا لاستعادة مدينة بلخ من الغوريين لا لمساعدة خوارزم شاه ، فى الوقت الذى تصالح فيه علاء الدين خوارزم مع الغوريين الذين اشترطوا عليه على أن يتخلى عن أعماله العدائية ضد الخليفة<sup>(١٠٠)</sup> . ويشير ابن الأثير الى أن الخطا لم يتوقفوا عن العدوان على خوارزم بل جهزوا قواتهم لمهاجمة خوارزم شاه ، لكنه كان يهاجمهم يوميا حتى قتل منهم أعدادا كبيرة فرحلوا عن البلاد<sup>(١٠١)</sup> .

وقد كانت هذه الحروب أشبه بحروب العصابات ، نتج عنها قتل عدد كبير من الجنود الخطا الذين عبروا الأراضى الخوارزمية وتقهقر من بقى منهم الى بلاد تتبعهم الجيوش الخوارزمية المنتصرة سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م تريد انتزاع مدينة بخارى من أيديهم . ومن طريق ما يروى فى هذا الصدد أن أهالى مدينة بخارى كانوا يفضلون حكم الخطا على الخوارزميين لذلك شاركوا الخطا فى الدفاع عن المدينة . وفى أثناء حصار الخوارزميين لها أحضر الأهالى كلبا أعور وألبسوه قباء وقتلوا سنة وأخذوا يصيحون بقولهم « هذا خوارزم شاه » ، وكان تكش أعور وقد استمروا يطوفون بهذا الكلب على سور المدينة ، وأخيرا قذفوا به بواسطة منجنيق على الجنود الخوارزميين ، وهم يصيحون « هذا سلطانكم » ومع ذلك فان تكش لما استولى على هذه المدينة عفا عن أهلها وأحسن اليها<sup>(١٠٢)</sup> .

---

(١٠٠) كان علاء الدين تكش يرى ضرورة المحافظة على دولة الترخطائين الواقعة شرق بلاده ، وتعهدهم لهم بدفع جزية معينة ، ولم ينسى أن يوصى ابنه باتباع هذه السياسة بعد أن تبين له أن هذه الدولة بمثابة الحاجز بين الدولة الخوارزمية والقبائل الهمجية فى الشرق .

انظر : فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ٦٣ .

(١٠١) نفسه ، أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٩٣ حوادث سنة ٥٩٤ هـ .

(١٠٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

ويذكر الدكتور الغامدى رأيا آخر حول ما ذكر ابن الأثير فى موقف الخليفة الناصر لدين الله ، واستعانت به بالغوريين لمجابهة الخوارزميين ، أنه قد وجد آراء أخرى مخالفة فى مؤلف المؤرخ الفارسى منهاج الدين سراج المعروف بالجوزجاني والذي يعتبر معاصرا لهذه الأحداث ، والذي يعتبر حجة فى هذا بحكم كونه عاش فى كنف بلاط السلاطين الغوريين وفى هذا الخصوص يروى لنا الجوزجاني « أن الامام شمس الدين بن الربيع ، وابن الخطيب قدما الى بلاط السلاطين الغوريين كرسن من قبل الخليفة العباسى ببغداد يشكوان من تعدى تكش على أراضى الخليفة ويطلبان عوننا من الغوريين ضد السلطان الخوارزمى \* ومع هذا لم يذكر المؤرخ كيفية هذا العون الذى طلبه الخليفة الناصر لدين الله ، ولا فحوى رسالته الى الغوريين \* وقد افتدب السلطان الغورى غياث الدين ليحمل رسالته الجوابية الى الناصر والد المؤلف الغورى مولانا سراج الدين منهاج ليكون رسوله الى البلاط العباسى ببغداد ، وقد ذهب هذا الرسول فى معية وفد الخلافة العباسية أثناء عودتهم من البلاد الغورية الا أن رسول غياث الدين لم يمهله القدر لتأدية مهمته بتسليم رسالته الى الناصر ، حيث مات فى تخوم اقليم مقاطعة مكران وهو فى طريقه الى العاصمة العباسية (١٠٣) \* .

ويضيف الدكتور الغامدى تعليقا آخر فيرى أنه من الصعب أن نقول ان الغزو الغورى لاقليم خراسان كان نتيجة لتحريض الخليفة الناصر لهم ضد السلطان الخوارزمى ، لأنه يبدو أن السلطان شاه محمود وهو الأخ الأصغر للسلطان تكش كان قد هرب الى بلاط الغوريين فى مدينة غزنة منتجئا اليهم ، يطلب حمايتهم من أخيه السلطان ! ذلك نراهم يأخذون جانب الأمير الهارب ضد أخيه الذى طرده من الحكم ، وأخذ منه العرش الخوارزمى (١٠٤) \* .

---

(١٠٣) الغامدى : أوضاع الدول الاسلامية ، من ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(١٠٤) المرجع السابق .

ويفتى تبرأة ساحرة الخليفة الناصر من التهمة التي الصقت به ظلما فلم يكن له يد مباشرة أو غير مباشرة ، ولا من قريب ولا من بعيد فى الحرب التي وقعت بين الغوريين والخورزميين<sup>(١٠٥)</sup> .

وفى شهر ربيع الأول من عام ٥٩٥ هـ اتجه علاء الدين تكش الى الرى وبلاد الجبل ، وذلك بسبب الأخبار الى وصلته عن تمرد وخروج نائبه وقائد جيشه مياجق عليه ، واستقلاله بتلك المنطقة عن سلطة السلطان الخوارزمى . وعندما علم مياجق بقدوم السلطان تكش هرب ولحق به السلطان حتى تمكن جنود خوارزم شاه من القبض عليه وهو معتمم باحدى قلاع مازندران ، وأحضر بين يدى خوارزم شاه فأمر بحبسه ، بل أراد قتله<sup>(١٠٦)</sup> . وقد شفع فى مياجق أخاه أقجه الذى توسل الى السلطان أن يعفو عنه ، فوافق السلطان بخشمان أقجه لأخيه ، على أن يقضى سنة واحدة فى السجن ، وبعدها يتوجه لمحاربة أعداء الخوارزميين فى الجبهة الشرقية .

وسرعان ما تحسنت العلاقات بين الخليفة الناصر لدين الله وبين السلطان علاء الدين تكش ، الذى كان يعمل فى قرارة نفسه من أجل أن تكون علاقته طيبة بالخليفة العباسى ، لذلك ازدادت العلاقة وثوقا عند وصول ابن أخى خوارزم شاه الى بغداد فى المحرم سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م للطاعة واطهار العبودية والاعتذار عما طلبه عمه من الخطبة له ببغداد ، وتلقى بالموكب الشريف الديوانى ، ودخل وقبل العتبة الشريفة بباب النوبى المحروس وخلع عليه وأكرم مثواه<sup>(١٠٧)</sup> . وعند عودته ومعه الرسل المتقدمين من عمه كان قد شرف بالتشريفات اللائقة

---

(١٠٥) نفسه ، ص ١٠٩ .

(١٠٦) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢٤٨ حوادث سنة ٥٩٥ هـ .  
الراوندى : ص ٣٩٩ .

(١٠٧) العبود : الدولة الخوارزمية ، ص ٨٩ نقلا عن ابن السامى  
الجامع المختصر ج ٦ ، ص ١٩ .



وأعطى الكوسات والعلم وأذن له عمه فخرج متوجها ومات بخانقين فى  
أواخر محرم سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، وذبح له حصان كان يحبه وسلخ  
جلده وأدرج فيه وحمل الى عمه ودفن بمدينة خوارزم<sup>(١٠٨)</sup> .

وقد أرسل الخليفة الناصر الخلع والهدايا ومنشورا جديدا اعترافا  
من الخلافة بحقه فى ضم اقليم الجبل الى اراضى الدولة الخوارزمية ،  
بل انه خلع على ابنه قطب الدين محمد الخلع ، وقلده على ما بيده من  
البلاد<sup>(١٠٩)</sup> .

وقد انشغل السلطان علاء الدين تكش بعد ذلك بقتال الباطنية  
« الملاحدة » ، الذين قاموا بقتل وزيره نظام الملك مسعود بن على فى  
سنة ٥٩٣ هـ . لذلك أمر ابنه قطب الدين محمد بالاتجاه الى قلاعهم  
المختلفة ، ومجاهدتهم ، فانتجه أولا الى قلعة ترشيش ، فحاصرها حتى  
أذعنوا له ، وصالحوه على مائة ألف دينار ، وقد وافق قطب الدين محمد  
على هذا الصلح لأنه بلغه نبأ مرض أبيه علاء الدين تكش<sup>(١١٠)</sup> .

---

(١٠٨) المرجع السابق .

(١٠٩) ابن الأثير ، ص ٢٤٨ ، الراوندى : نفسه .

(١١٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٢٤٨ .

أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، ص ٩٨ ، حوادث سنة ٥٩٦ هـ .



## الفصل الرابع

### علاء الدين محمد خوارزمشاه وتوطيد أركان الدولة الخوارزمية

لعل الفترة الزمنية الطويلة التي حكمها محمد خوارزم شاه تحتاج منا الى تفصيل دقيق لكل دور من الأدوار التي لعبها هذا السلطان مع القوى المختلفة الاسلامية وغير الاسلامية ، وأثرها على تطور الأحداث في هذه الاونة . فقد ورث عن أبيه تركة محملة بالمصاعب ، فكان عليه أن يواجه أعداء في الخارج ، كما كان عليه أن يواجه الدولة الغورية والخلافة العباسية ، ويسيطر بقوة جيوشه على الأولى ويحاول على الأقل فرض نفوذه الأدبي على الثانية ، ووجد أن سياسة التحالف والمسالمة مع هاتين القوتين تتعارض تماما مع ما رسمه لنفسه من سياسة قوامها التوسع ما أمكن على حساب القوى المجاورة<sup>(١)</sup> .

#### أولا — علاء الدين محمد والأسرة الخوارزمية :

قام علاء الدين محمد بالاتصال بأخيه على شاه باصفهان يستدعيه للقدوم اليه بعد وفاة والدهما ، فقدم اليه وبعدها عينه رئيسا للجيش الموجه الى الحرب في خراسان ، وعينه على نيسابور ، أما ابن أخيه ناصر الدين ملكشاه المدعو هندوخان فقد خاف عمه علاء الدين محمد خوارزمشاه ، فهرب ونهب كثيرا من خزائن جده تكش لأنه كان موجودا معه عند وفاته<sup>(٢)</sup> وقد اتجه هندوخان الى مرو ، فأعد عمه علاء الدين

(1) Curtin «The mongols history». p 94.

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤٨ .

( م ٧ — التاريخ السياسي )

محمد جيشا لمحاربته بقيادة جقر التركي ، فلما سمع هندوخان بمسيرهم اليه هرب عن خراسان ، واتجه الى غياث الدين الغورى يستجده على عمه ، « فأكرم لقاءه وأنزله وأقطعته ووعدته النصره »<sup>(٣)</sup> . فى الوقت الذى وصلت فيه قوات جقر التركي الى مرو وقبضهم على والده هندوخان وأولاده أرسلهم معززين مكرمين الى السلطان علاء الدين محمد فى خوارزم .

وقد تحرك غياث الدين من أجل انجاد هندوخان ، فقام بالاتصال بمحمد بك جربك أمير الطالقان يأمره أن يقوم بتهديد جقر التركي قائد القوات الخوارزمية ، فلبى طلبه وخرج من الطالقان ، واستولى على مرو الروذ والخمس قرى وتسمى بالفارسية بنج ده ، وأرسل الى جقر يأمره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين الغورى أو يخرج من المدينة ، لكن جقر كاتب ابن جربك سرا ، وطلب منه أن يحصل على أمان له من غياث الدين ليحضر الى خدمته ، فوافق ابن جربك ، وكتب فى ذلك الى غياث الدين ، وعندما قرأ غياث الدين الغورى هذا المطلب تأكد من ضعف علاء الدين محمد الخوارزمى لأن قائده جقر انحاز الى غياث الدين فتشجع بذلك على تجهيز قواته الغورية للاتجاه صوب خراسان ، والاستيلاء على أملاك الشاه الخوارزمى<sup>(٤)</sup> .

### السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والغوريون :

وضح لنا من الاشارة السابقة أن أبناء البيت الخوارزمى عندما تنازعوا لم يجدوا أمامهم قوة بارزة غير قوة البيت الغورى المتمثل فى الأخوين غياث الدين وشهاب الدين الغورى ، وهما قطبى البيت الغورى ، والذان نجحا فى أن يثبتا دعائم هذا البيت فى بلاد الهند وافغانستان الحالية على ممتلكات الغزنويين ، ومن أهم الممتلكات هراة ، وغزنة ،

---

(٣) ابن الاثير ، نفسه ، ص ٢٥٠ حوادث سنة ٥٩٦ هـ .

(٤) نفسه .

وبلخ وكابل ، وسجستان وكرمان ، كما أنهما تغلبا على القسم الذى يقع شرقى خراسان<sup>(٥)</sup> .

وقد رأينا ما كان من التجاء هندوخان اليهم ، واستنجاده بهم على آله من البيت الخوارزمى .

وقد أرسل السلطان الخوارزمى محمد خوارزم نساء قائده جقر التركى لمواجهة القوة الغورية ، ومواجهة تمرد ابن أخيه ، الا أن غياث الدين الغورى استعان بأمير الطالقان بن جربك ، والذى استمال اليه جقر ، حتى خرج على سيده محمد خوارزم نساء ، فتشجع الغوريون على القيام بهجوم شامل على الأراضى الخوارزمية فى خراسان .

وقد كان جربك حاكم الطالقان قد نجح فى الاستيلاء على مدينة مرو الروذ ، وبعد اتصل غياث الدين الغورى بأخاه شهاب الدين يستدعيه بتجهيز جيش الى خراسان ، فخرج فى جيش كئيف من غزنة ، رغم تحذير الأمير عمر بن محمد المراغى حاكم هراة له بعدم الاتجاه الى خراسان ، لكنه لم يسمع رأيه وأبعده عنه<sup>(٦)</sup> وخرج شهاب الدين بجنوده حتى وصل الى قرية ميمنة وهى بين الطالقان وكرديان ، وهناك وصلت اليه رسالة من جقر التركى الخارج عن طاعة سيده محمد خوارزم نساء وكان موجودا فى مرو ، وكانت الرسالة تحوى تسليم مرو الى قوات شهاب الدين الغورى ، وحصل شهاب الدين على إذن بذلك من أخيه غياث الدين ، ووصل الى حدود مرو ، الا أن أهلها تكتلوا مع الجنود الخوارزميين وقاتلوهم ، لكن الجنود الغوريين انتصروا عليهم ، وطلب أهل البلاد الأمان فأمنوهم . عندئذ قدم جقر اليه ، وأسلمه المدينة ، ووفى بما وعد . كما قدم غياث الدين الى مرو بعد فتحها ، وأخذ جقر الى هراة مكرما ، ثم سلم مدينة مرو الى هندوخان بن ملك

---

(٥) عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ٦٣ — ٦٤ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ص ٢٥٣ ، حوادث سنة ٥٩٧ هـ .

شاه الخوارزمي<sup>(٧)</sup> . وتقد أوصاه بالاحسان الى أهلها ، وبعدها استولى غياث الدين على سرخس وعين عليها الأمير زنكى بن مسعود وهو من أولاد عم غياث الدين كما أضاف اليه نسا وأبيورد ، ثم اتجه الى طوس ، وطلب صاحبها الأمان ، وعندما استولى على المدينة أرسل الى على شاه ابن خوارزم شاه تكش — الذى سبق الاشارة اليه على أنه عين حاكما على نيسابور — يطلب منه ترك المدينة وفتح أبوابها للغوريين ، الا أن على شاه وعساكره من الخوارزميين اتفقوا على الامتناع عن التسليم ، وبدءوا تخريب المدينة حتى يجدها الغوريون خرابا وقد وصل غياث الدين الى ظاهر المدينة ، فتقدمت أولا عساكر أخيه شهاب الدين الى القتال ، لذلك تشجع غياث الدين لتسبق قواته قوات أخيه فى الوصول الى سور المدينة ، وتسابق الاثنان على أيهما يرفع علمه قبل الآخر على سور المدينة ، وسقطت المدينة ، ودخلها الغوريون وملكوها عنوة ، وتحصن الخوارزميون بمسجد المدينة ، فأخرجهم أهل البلد ، « فأخذهم الغوريين ، ونهبوا مالههم وأخذ على شاه بن خوارزم شاه وأحضر عند غياث الدين راجلا »<sup>(٨)</sup> . وعين غياث الدين على خراسان ابن عمه وولاه حرب خراسان وخراجها ، وتوجه الى هراة بينما سلم على شاه الخوارزمي الى أخيه شهاب الدين .

اتجه شهاب الدين الغورى ليستكمل الدور الذى بدعوه فى تصفية الأملاك الخوارزمية فى فارس ، فاتجه الى مدينة قهستان ، وهناك علم أن أهلها اسماعيليين ، فقاتلهم ونهب أموالهم ، ومنهاتجه الى كتا باد وهى اسماعيلية أيضا فحاصرها ، وطلب أهلها الأمان فأمنهم وأخرج الاسماعيليين منها وسلمت للقيادة الغورية ، ثم اتجه الى حصن اسماعيلى

---

(٧) ابن الاثير ، نفسه .

أبو الفدا : المختصر ج ٣ ، ص ١٠٠ ، حوادث سنة ٥٩٧ هـ .

(٨) ابن الاثير ج ٩ ، ص ٢٥٤ .

الحقيقة أن غياث الدين أحسن الى على شاه وأخذه من بده ، وأقعدده معه على السرير وطيب نفسه . وعامله معاملة اخوية كريمة .

آخر الا أن مبعوثا من قبل أخيه غياث الدين قدم اليه ومنعه من التعرض لهذه المناطق وأمره بالعودة الى الهند ؛ لذلك رحل » ولم يقيم بغزنة غضبا لما فعله أخوه معه<sup>(٩)</sup> .

بعد أن وصل شهاب الدين الى الهند أرسل مملوكه قطب الدين أيبك الى نهرواله ، فدخل في صراع كبير مع الهنود ، وتمكن من الاستيلاء على المدينة عنوة فهرب ملكها ، وقرر شهاب الدين أن يقدم بنفسه الى هذه المدن الا أنه لم يتمكن من ذلك فآثر أن يبقى عليها حاكما على أن يؤدي اليه الجزية<sup>(١٠)</sup> .

والحقيقة أن الغوريين لم يتمكنوا طويلا من الاحتفاظ بهذه الأراضي في العراق العجمي ، وانما نجد أن علاء الدين محمد خوارزمشاه عندما علم بعودة شهاب الدين الى بلاد الهند ، وابتعاد العساكر الغورية عن خراسان ، كتب الى غياث الدين معاتبا اياه بقوله « كنت اعتقد أن تخلف على بعد أبى وان تنصرنى على الخطا ، وتردهم عن بلادى ، فحيث لم تفعل ، فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادى والذي أريده أن تعيد ما أخذته منى والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك »<sup>(١١)</sup> . وقد بين له علاء الدين محمد أيضا ، أن السبب الذى هيا لهؤلاء الغوريين مهمة استيلائهم على هذه الممتلكات هو انشغال الشاه الخوارزمى بأمور العزاء فى وفاة والده علاء الدين تكش ، وتدبير أمور مملكته .

وقد حاول غياث الدين أن يتركأ فى الرد على الشاه الخوارزمى

---

(٩) ابن الاثير ، نفسه ج ٩ ، ص ٢٥٤ ، حوادث سنة ٥٩٧ هـ .

أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٠ حوادث سنة ٥٩٧ هـ .

وصلت بعثة من قبل الاسماعيلية الى غياث الدين يشكون اليه أعمال

أخاه شهاب الدين ضدهم ويقول له « ما الذى بدا منا حتى تحاصر بلادى » .

(١٠) ابن الاثير ، نفسه ج ٩ ، ص ٢٥٥ ، أبو الفدا : نفسه .

(١١) نفسه ، ص ٢٥٦ ، حوادث سنة ٥٩٨ هـ .

حتى يضيع وقت يستطيع فيه الاتصال بأخيه شهاب الدين في بلاد الهند حتى يتمكن من تجهيز العساكر والجيش للقاء علاء الدين محمد .

وفي نفس الوقت قام خوارزم شاه بالاتصال بالنائب الغوري على خراسان — المدعو علاء الدين الغوري — يأمره بالرحيل عن نيسابور ويهدده ان لم ينفذ طلبه ، فكتب النائب الغوري الى غياث الدين يعلمه بما حدث ، وبأن أهل البلاد كانوا يميلون الى الخوارزمية ، فحاول غياث الدين أن يقوى قلبه ويثبتته ، الا أن ذلك لم يمنع التناهي الخوارزمي من أن يتحرك بقواته صوب نيسابور في منتصف ذي الحجة سنة ٥٩٧ هـ ، وعندما اقترب من نسا وأبيورد هرب ابن أخيه هندوخان بن ملكشاه من مرو الى الغوريين ، فتمكن علاء الدين محمد الخوارزمي من دخول مرو ومنها اتجه الى نيسابور التي كان بها النائب الغوري علاء الدين . وقد انتظر علاء الدين في المدينة ، وظل صامدا أمام حصار منتظرا وصول امدادات اليه من قبل غياث الدين الغوري ، حتى مضى شهران ، لذلك اضطر الى التسليم فأمنه علاء الدين محمد (١٢) ، واعاده معززا مكرما « ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة » ، وطلب من النائب أن يتوسط له في الصلح مع السلطان الغوري غياث الدين ، فوافقه على ذلك ، الا أنه لم يذهب لمقابلة غياث الدين لأنه كان مستاءا منه لتأخره في ارسال الامدادات اليه (١٣) .

اتجه علاء الدين محمد بعد ذلك الى سرخس حيث الأمير زنكي — فحاصر المدينة أربعين يوما ، ونجح زنكي بالحيلة أن يصرف علاء الدين عن حصارها ، فرحل عنها تاركا بعضا من رجاله يحاصرونها الا أن قدوم

---

(١٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٢٥٧ حوادث سنة ٥٩٨ هـ .  
Juwaini «op. cit» vol I p. 380..

(١٣) نفسه .



قوات أمير الطالقان الغورى اليهم من أجل حصرهم جعلتهم يتركون حصار سرخس • وقد نجح أمير الطالقان محمد بن جبك فى الانتصار على القوات التى بعث بها محمد خوارزم شاه بقيادة خاله ، بل قتل حامل رايتهم ، فانهزموا « وركبهم الغورية قتلا وأسرا » (١٤) •

وعندما سمع خوارزمشاه ذلك رجع الى بلاده جرجانية فى خوارزم ، فأرسل الى غياث الدين الغورى طالبا الصلح ، فبعث اليه السلطان الغورى أحد رجاله المدعو الحسين بن محمد المرغنى بالرد على رسالته ، فقبض عليه علاء الدين محمد (١٥) ، وبعد أن قبض عليه توجه الى هراة لحاصرتها ، فكتب الحسين الى أخيه عمر المرغنى أمير هراة ، كى يستعد للملاقاة الخوارزمية ، ولكنه سلم مفاتيح أبواب المدينة الى اثنين من ثقافته ، كانا فى الأصل أبناء الخوارزم — لكن الحقيقة أنهما « كانا يدبران خوارزم شاه ويأمرانه بما يفعل » (١٦) • ووصلت الانباء بذلك الى الأمير عمر المرغنى فقبض عليهما واعتقلهما — وفى نفس الوقت وصلت قوات من قبل الغوريين تحت قيادة ألب غازى ابن أخت غياث الدين ، وعسكروا بالقرب من هراة ، وبدأ فى منع الميرة عن الوصول الى العسكر الخوارزمى ، لذلك اضطر خوارزم شاه أن يرسل مجموعة من جنده للاغارة على الطالقان عليها تحقق نصرا على الغوريين هناك ، الا أن الحسن بن جربك حاكمها كان سريع الخطا ، فظفر بهم فلم يفلت منهم أحد ، وذلك فى الوقت الذى قدمت فيه قوات غياث الدين الغورى من فيروزكوه الى هراة ، وعسكر بالقرب منها ، كل

---

(١٤) نفسه •

(١٥) نفسه ، ابو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ١٠٢ حوادث سنة ٥٩٨ هـ

(١٦) ابن الاثير ، ص ٢٥٨ حوادث ٥٩٨ هـ •

هذه الظروف المجتمعة أدت الى رحيل خوارزم شاه عن هراة ، فأرسل الى عمر المرغنى أمير هراة وصالحه على مال حملة اليه ورحل عنها (١٧) .

فى هذه الفترة وصلت قوات من الهند على رأسها شهاب الدين الغورى وكان قد وصلته الأنباء باستيلاء خوارزم شاه على خراسان فقرر محاربته وبعد قتال بينهما خسر فيه الفريقان أرواحا كثيرة رحل خوارزم شاه محمد شبه المنهزم ، وتوجه شهاب الدين الى طوس مقررًا ضرورة مهاجمة خوارزم نفسها . الا أن المنية وافت أخاه غياث الدين . فتوقف عن خطته واتجه الى مقر أخيه فى هراة تاركًا حكم مرو فى يد محمد بن جربك .

انتهر السلطان علاء الدين محمد الخوارزمى ، فرصة انشغال شهاب الدين الغورى بوفاة أخيه الى جانب ترتيب أمور المملكة فى الهند وغزنة ، فأعد حملة عسكرية خرجت الى مرو ، فتصدى لها الأمير محمد ابن جربك وقضى على معظمهم وأرسل رؤوس قتلاهم الى هراة . لذلك قرر شهاب الدين الغورى ضرورة مهاجمة خوارزم لتأديب حاكمها . فى الوقت الذى أرسل فيه خوارزم شاه قوة اضافية بقيادة برفور التركى لقتال محمد بن جربك ، وانتهت المعارك بهزيمة الغوريين ، وقيام القوات الخوارزمية بحصار بن جربك عند مرو حتى طلب منهم الأمان فأمنوه الا أنهم غدروا به وقتلوه (١٨) .

لذلك ساءت العلاقة أكثر بين الخوارزميين والغوريين ، وعن شهاب الدين ابن أخيه ألب غازى على هراة وملك الملك على فيروزكوة ، وقرر هو أن يوليه الحرب فى خراسان .

---

(١٧) نفسه ، ص ٢٥٨ .

Juwaini «op. cit» vol I. p. 383.

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٥٩ ، حوادث سنة ٥٩٩ هـ .

Juwaini «op. cit» vol II. p. 54.

أما عن خوارزم شاه محمد ، فقد وصل الى مدينة هراة وحاصرها  
وبها ألب غازى — المشار اليه — فى الوقت الذى توجه فيه شهاب  
الدين الى لهاوور للحرب فى بلاد الهند . واستمر القتال طويلا بين  
الخوارزميين داخل هراة .

وقد حدثت خدعة عسكرية للجند الخوارزمى ، نفذها فيهم الحسين  
ابن حزميل حاكم كرزيان . فقد بعث الى علاء الدين محمد يطلب منه  
أن يرسل اليه مجموعة من جنوده ليسلم اليهم الفيلة وخزانة  
شهاب الدين الغورى ، فبعث اليهم بألف فارس من أعيان عسكره ، الا  
أنه غدر بهم ، وانساحوا فيهم قتلا ، لذلك قرر خوارزم شاه الانتقام ،  
واتجه الى سرخس (١٩) .

عندما علم شهاب الدين الغورى بحصار الخوارزميين لمدينة هراة ،  
وموت نائبه بها ألب غازى ، قرر العودة الى خراسان الا أنه وهو فى  
الطريق رأى أن يتجه مباشرة صوب جرجانية فى خوارزم ، وحاول  
خوارزم شاه محمد أن يصدّه عن عزمه الا أنه أصر ، لذلك ترك خوارزم  
شاه سرخس ، واتجه الى مرو ، وأصبح كلا منهما خوارزم شاه ،  
وشهاب الدين يتسابق للوصول الى خوارزم . وقد نجح علاء الدين  
محمد فى الوصول أولا ، وقام بقطع الطريق ، وأجرى فيه المياه حتى  
يعوق حركة شهاب الدين ويمنعه من الوصول الى البلاد ، ولذلك تأخر  
شهاب الدين فى الوصول الى المدينة ، الا أنه نجح بعد جهد فى الوصول  
اليها ، وتلاقى الجيشان الغورى والخوارزمى فى معركة عند سوقرا  
« أى الماء الاسود » كبدت الجيشان خسائر فادحة ، مما أضطر خوارزم  
شاه ، الى الاتصال بالأتراك الخطا الكفار (٢٠) .

---

(١٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦١ ، حوادث سنة ٦٠٠ هـ .

(٢٠) ابن الاثير : نفسه ، حوادث سنة ٦٠٠ هـ .

تم الاتصال بين علاء الدين محمد وبين الأتراك والخطا ، وكان اتصاله بهم أولا لأنهم يجاورون مملكته ، وكان الخوارزميون دائما ومنذ أيام آتسز يتجنبونهم ويخشون الاحتكاك بهم ، وقبل آتسز من الماضي أن يدفع لهم جزية سنوية مقدارها ٣٠٠٠٠ دينار من الذهب ، فظل هذا الأمر متبعا حتى عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٢١) .

كما أن علاء الدين تكش بعد أن أعياء الحرب مع الخطا قرر أن يقوى علاقته بها ، ويعمل على المحافظة على هذه الدولة في شرق البلاد رغم عداوته لها ، فاستمر على دفع الجزية ، وأوصى ابنه محمد باتباع هذه السياسة بعد أن تبين له أن دولة الخطا كانت بمثابة حصن قوى بين الدولة الخوارزمية والقبائل الهمجية في الشرق (٢٢) لذلك لبى الخطا نداء علاء الدين محمد واتجهوا بقواتهم صوب بلاد الغور ، وعندما علم شهاب الدين بذلك ترك حصار خوارزم ، وعند مروره بصحراء آندخوى في أول صفر سنة ٦٠١ هـ التقى بقوات الغور ، فاشتبك معهم ، وأسفر الاشتباك عن قتل وأسر عدد كبير منهم . وفي اليوم التالي هاجمته مجموعة كبيرة من الأتراك مما أدى الى هزيمة قوات شهاب الدين الغورية ، وبقي معه عدد قليل من رجاله ، وفر الى آندخوى حيث حاصره الخطا بعد ذلك ، لكنهم صالحوه على أن يعطيهم فيلا آخر غير الفيلين اللذين استولوا عليهما (٢٣) .

وقد تدخل في انقاذ الغوريين السلطان عثمان حاكم سمرقند المسلم والتابع للغوريين ، حيث اتفق معهم على خطة يغرون بها بالخطا وهي أنه قام بالاتصال بقائد جيش الأتراك ، وبين لهم أن قائد الغوريين

---

(٢١) فرّاد عبد المعطى الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٦٦ .

(22) Betschneider «Medieval Researches from eastern Asiatic Sources». vol 1. p. 229.

(٢٣) ابن الاثير : نفسه ، ص ٢٦٢ ، حوادث سنة ٦٠١ هـ .

مختبىء فى مفازة ، وأتت اليه الأمداد من كل مكان والأفضل الصلح معه ، فى حين اتصل سرا بشهاب الدين وطلب منه أن يتظاهر بالامتناع عن الصلح حتى يلحوا عليه فى ذلك ، وبهذا تم الصلح بين الطرفين ، على أن الخطا لا يعبرون النهر الى بلاد الغور ، ولا يعبر هو الى بلادهم<sup>(٢٤)</sup> .

وافق شهاب الدين على طلبهم واتجه الى الطالقان وليس معه من رجاله غير سبعة أنفار ، حتى أن الحسين بن خرميل حاكم الطالقان أخرج له الخيام لايوائه ، وبعدها توجه الى غزنة .

كانت الاخبار قد وصلت الى غزنة بمقتل شهاب الدين الغورى على يد الأتراك لذلك انتهز أحد مماليكه المدعو تاج الدين الدز الفرصة وصعد الى قلعة المدينة الا أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها لكنه أساء كثيرا فى البلاد ، وقطع الطريق على الناس ، وقتل الكثير ، لذلك أراد شهاب الدين عند وصوله الى غزنة أن يقتل الدز ، لكن المماليك سفحوا وقام شهاب الدين باصلاح جميع ما أفسده مملوكه فى البلاد .

وقد حدث موقف مماثل فى بلاد الهند جراء انتشار شائعة مقتل شهاب فقد خرج عليه مملوك له هناك يدعى أييك بال تر ، فقام بدخول المللكان وقتل نائب السلطان الغورى بها ، وأعلن نفسه سلطانا ، لذلك قدم شهاب الدين الى الهند للقضاء على حركة التمرد هذه<sup>(٢٥)</sup> .

---

(٢٤) ابن الاثير ، نفسه .

Juwaini «op. cit» vol 1. pp. 321—324.

رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٥ — ٢٩٧ .  
وهناك اشارات الى أن هناك رسائل كثيرة متبادلة كانت تصل من قبل عثمان خان تحض محمد خوارزمشاه على محاربة القراخانيين على أن يكون حليفا مخلصا لخوارزمشاه .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ ، حوادث سنة ٦٠١ هـ .

بعد أن انتهى شهاب الدين من القضاء على هذه الحركة دعى داعى  
الجهاد بالتجهز لمحاربة الأتراك الخطا حلفاء خوارزم شاه للاخذ بالتأثر  
مما نال الغوريين من مهانة على يد هؤلاء الكفار •

والحقيقة التى بين أيدينا عن هذا الموقف هى أن هؤلاء الخطا كانوا  
يحاولون حماية السلطان خوارزم شاه محمد ، خوفا على مصالحهم فى  
بلادهم ، وحتى يخلد السلطان محمد الخوارزمى يدفع لهم الضريبة السنوية  
المقررة عليهم • فهم يدافعون عن مصالحهم الخاصة ، ومن ناحية أخرى  
فإنه لو انتصر الغوريون على الخوارزميين فسيكونون خطرا دائما على  
أراضى القراخطائيين وممتلكاتهم فيما وراء النهر حيث أن خوارزم  
كانت تعتبر بمثابة مفتاح لتلك البقاع ، وهكذا كاد الغوريون أن ينجحوا  
فى تطويق أراضى القراخطائيين من الناحية الشمالية ، كما كانوا قد  
نجحوا فى تكوين مركز لهم قوى من الناحية الجنوبية ، هدد ممتلكات  
خصومهم من هذه الجهة ، فقد كان الغوريون قد احتلوا جميع الأراضى  
الجنوبية قرب منابع نهر جيحون ، والأراضى الواقعة الى الشمال من  
اقلیم الطاليقان<sup>(٢٦)</sup> •

وقد اضطر شهاب الدين أن يبيت الأمن فى بلاده ، حيث أن نبأ مقتله  
قد تطاير تطاير الرياح ، وكل من حدثته نفسه بالخروج عليه وجدها  
فرصة سانحة ، وقد بينا كيف قضى على بعض الحركات المناوئة فى الهند  
وغيرها •

وقد ظهر بن دانيال صاحب جبل الجودى ، وكذلك بنى كوكر الذين  
كانوا يسيطرون المنطقة بين لهاوور والملتان ، وكانوا يدفعون له الخراج ،  
فعندما علموا نبأ مقتله تمردوا وارتدوا عن الاسلام ، وانضم اليهم  
صاحب جبل الجودى وغيرهم وقطعوا الطرق الموصلة الى غزنة •

وقد طلب شهاب الدين من نائبه على لاهور أن يرسل اليه الأموال المقررة على البلاد حتى عام ٦٠١ هـ ، الا أنه امتنع ، وأخبره بأن بنى كوكر قد تمردوا لذلك أمر شهاب الدين مقدم عسكره بالهند أيبك بأن يدعو بنى كوكر الى الطاعة الا أن بنى كوكر أتعبوا مبعوث شهاب الدين ، وأكدوا على وفاته لذلك أمره شهاب الدين يقتلهم ، فى الوقت الذى كثر فيه شغبهم واعتداءاتهم وكان شهاب الدين يستعد فى هذه الاونة لقتال الخطا الا أنه بعد وصول أخبار بنى كوكر اليه « غير قصده عن الخطا ، وتوجه وجنوده لقتال بنى كوكر وانتصروا عليهم وقتلوا بكل مكان » (٢٧) .

وبعد انتهاء القتال توجه الى لاهور ومنها الى غزنة وأرسل الى بهاء الدين سام الغورى صاحب باميان للاسعداد للاتجاه نحو سمرقند لقتال الأتراك .

#### مقتل شهاب الدين الغورى :

لعل ما قام به شهاب الدين الغورى مع الكوكرية كان سببا أودى بحياته ، فقد قام مجموعة من الكوكرية بالتربص له وهو مقيم بخيمته يستعد لتجهيز الجيوش لقتال الأتراك الخطا ، فطعنوه اثنتين وعشرين طعنة قاتلة (٢٨) .

وقد اختلفت الأقوال والآراء فى عملية اغتيال السلطان شهاب الدين الغورى فبينما أورد لنا ابن اثير الرأى السابق الا أنه ألحقه بخبر آخر وهو أن الاسماعيليه هم الذين قتلوه لأنهم خافوا خروجه الى خراسان ، وانه كان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم (٢٩) .

---

(٢٧) ابن الاثير ، نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٧١ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٢٨) نفسه ، ص ٢٧٢ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٢٩) نفسه .

أما الجويني: «عطا ملك» فينسب قتله الى اثنين أو ثلاثة رجال من الهنود الذين ظهروا من ماء نهر مجاور لسرادق شهاب الدين ، ودخلوا مخيمه دون أن يراهم أحد فاغتالوه<sup>(٣٠)</sup> .

أما النسوى مؤرخ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي فقد أورد رأيا ضمن رسالة من الاسماعيلية موجهة الى جلال الدين منكبرتي بعد خمس وعشرين عاما من قتل شهاب الدين الغوري ، يعددون فيها خدماتهم للخوارزميين « بقولهم » فى أى زمان كنا مخالفين ، ولهذه الدولة غير موالين ولا مضافين وقد جربنا السلطان على حالتى السراء والضراء ، وتارتى الشدة والرخاء ، ألم يخدم السلطان أصحابنا بالهند وهو على أضعف أحواله بعد عبوره ماء السند ولما سمع السلطان ذلك ، اعترف بخدمتهم له فى ذلك الوقت ؟ أو لسنا قتلنا شهاب الدين الغوري على ولاء السلطان الكبير ومحبته ؟ «<sup>(٣١)</sup> .

ونعتبر أن رواية النسوى أصدق ، ويجب أن نأخذ بها لأن فيها اعتراف من قبل الاسماعيلية أنفسهم بقيامهم بهذا العمل ، فهى تأكيد عليه وليس ترجيحاً لرأى على آخر ويبين أيضا أن عملية القتل هذه تمت بتحريض من قبل السلطان الخوارزمى محمد ، ويدل عليها جملة « على ولاء السلطان الكبير ومحبته » .

### النشاط الخوارزمى فى الأراضى الغورية :

لعل وفاة السلطان الغورى شهاب الدين كان له أكبر الأثر فى انقلاب ميزان القوى فى هذه الجبهة الشرقية ، وبداية الصراع الأسرى الذى تمثل فى غياث الدين محمود بن غياث الدين الغورى . وبهاء الدين

---

(30) Juwaini «op. cit» vol I. p. 326.

(٣١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٤١ ، تحقيق حمدي حافظ .



صاحب باميان وهو ابن أخت شهاب الدين ، وتدخل مماليتهم ووزرائهم  
فى هذا الصراع أمثال أذر أكبر ممالك السلطان شهاب الدين • وما كان  
من موت بهاء الدين قيام أبناؤه علاء الدين وجلال الدين من بعده بالتدخل  
فى هذا الصراع •

وهذا وان دل على شىء فانما يدل على الفوضى والاضطراب الذى  
بدأ يدب فى كيان الدولة الغورية<sup>(٣٢)</sup> •

وقد استتب الأمر فى السلطنة لغياث الدين محمود بن غياث الدين  
محمد ، لكن مع ذلك فالأمر لم يستقر بل وضح العد التنازلى للدولة  
الغورية •

فقد انتهز السلطان الخوارزمى علاء الدين محمد هذه الظروف  
لصالحه ، وبدأ أولا بمدينة هراة التى كان عليها الحسين بن خرمل •  
فقد انتهز هذا الوالى ما آل اليه الأمر عند الغوريين ، واتصل بالسلطان  
محمد على أساس الانتماء اليه والطاعة له ، « وخداعه لغياث الدين  
الغورى ، ومغالطته له بالخطبة »<sup>(٣٣)</sup> وقد ظل يخدع رسل غياث الدين  
فى اقامته الخطبة للسلطان الغورى حتى وصلت قوات خوارزمشاه على  
حدود المدينة ، عندئذ استقبلهم على أبوابها الا أن خوارزمشاه انشغل  
عنهم بمدينة بلخ التى نجح فى مقاتلة حاكمها أربعين يوما ، واستولى  
عليها ، واتجه بعدها الى ترمذ التى كان يحاصرها علاء الدين محمد من  
من جانب والأتراك الخطا من جانب آخر ، وأخيرا سلم صاحبها المدينة  
الى الخوارزميين ، لكنه ما لبث أن تنازل عن هذه المدينة للخطا ، فكان

---

(٣٢) ابن الاثير ، نفسه ج ٩ ، من ص ٢٧٢ الى ص ٢٧٧ •

(٣٣) نفسه ، ص ٢٧٨ •

ذلك سبة في جبينه الا أنه ثبت بعد ذلك أنه سلمها لهم لكي يتمكن من ملك خراسان ثم يعود بعد ذلك للاستيلاء عليها<sup>(٣٤)</sup> .

وقد اتجه خوارزم شاه بعد ذلك الى ميهنة واندخوى وكاتب سونج أمير الشكار نائب غياث الدين بالطالقان ، وحاول استمالته اليه الا أنه لم ينجح بل قام سونج بمحاربة القوات الخوارزمية ، لكنه هزم على أيديهم ، واستولى خوارزمشاه محمد على الطالقان واستمر في زحفه فاستولى على قلاع كالوين ، الا أنه رجع بعد ذلك الى هراة<sup>(٣٥)</sup> .

وقد قام ابن خرميل الذي أصبح تحت طاعة الخوارزميين بالاتجاه صوب سجستان وعليها حرب بن محمد ، ونجح في ضمها الى الخوارزميين<sup>(٣٦)</sup> .

وبذلك سقطت معظم الأراضي الغورية ، واستطاع علاء الدين محمد خوارزمشاه أن يحقق أهدافه في غضون فترة قصيرة من وفاة شهاب الدين الغوري . وقد حدث أن احتدم الخلاف بين غياث الدين الغوري ومملوكه الدز ، ففكر لغياث الدين في مصالحة خوارزم شاه ، بل ان خوارزم شاه فكر في مصاهرة غياث الدين ، على أن يمدد غياث الدين بقوة يغزو بها غزنة ، ويقضى على نفوذ الدز بها ، ويقسم المال الموجود بها أثلاثا ثلثا لخوارزم شاه ، وثلثا لغياث الدين ، وثلثا للعسكر ، فوافق غياث الدين على هذا الصلح ، وبقي أن ينفذ<sup>(٣٧)</sup> .

---

(٣٤) نفسه ، ص ٢٨٢ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

Curtin «The Mongols history» p. 94.

(٣٥) نفسه ، ص ٢٨٥ ، حوادث سنة ٦٠٣ هـ .

(٣٦) نفسه ، ص ٢٨٦ .

(٣٧) ابن الاثير : نفسه ، حوادث ٦٠٣ ، ص ٢٨٦ .

وفى هذه الآونة وصلت أخبار الى خوارزم شاه تفيد موت حاكم مازندران الفارسية ، فترك مدينة هراة متجها الى مرو ، فى الوقت الذى سمع فيه ألدز خبر الصلح بين الغوريين والخوارزميين . فجزع جزعا شديدا ، واتصل بغياث الدين يسأله عن سبب مصالحته مع خوارزم شاه ، فأخبره أن عصيانه كان سببا رئيسيا لذلك جن جنون ألدز ، وبدأ يستولى على مناطق كثيرة تابعة للغوريين مثل تكياباز ، وبست وقطع عنها الخطبة لغياث الدين الغورى (٣٨) .

لم يكتف ألدز بذلك بل حاول تحريض حاكمى سجستان وهراة حتى يخرجها عن طاعة خوارزم شاه ، كما بدأ فى تحريض شخصيات من البيت الغورى ليقوموا على غياث الدين .

#### سقوط بقية البلدان الغورية فى أيدي الخوارزميين :

ذكرنا من قبل أن بن خرميل حاكم هراة دخل فى طاعة علاء الدين محمد خوارزمشاه ، الا أننا فوجئنا أن بن خرميل أنتهز فرصة خروج خوارزمشاه لمحاربة الأتراك الخطا فيما وراء النهر ، ويخرج عن طاعة الخوارزميين ، لكن خوارزمشاه نجح فى ارسال قائد يدعى عز الدين جلدك استطاع أن يحاصر هراة ، وطالب ابن جلدك بتسليم المدينة الا أن الوزير الموجود بالمدينة أعلن علانية تبعيته للسلطان الغورى ، وقاموا بقتل بن خرميل . وبذلك استبد الوزير بالسلطة فى هراة ، وبالتبعية للسلطة الغورية .

لذلك كتب بن جلدك الى خوارزم شاه يطلب النجدة ، فأرسل اليه قوات من نيسابور ، وزوزن ، اجتمعوا جميعا تحت الراية الخوارزمية لحصار هراة (٣٩) .

---

(٣٨) نفسه ، ص ٢٨٧ .

(٣٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٢ .

( م ٨ — التاريخ السياسى )

وقد تعرضت الجبهة الخوارزمية لمشاكل فى هذه الفترة حيث تم أسر خوارزم شاه محمد على يد الخطا ، فكانت ضربة قاصمة للقوة الخوارزمية . الا أن سقوط هراة لم يتم الا بعد عودة خوارزمشاه من أسره وقدمه بنفسه الى خراسان ، فدخل نيسابور ، ثم اتجه الى هراة ، وانضم الى مجموع الجنود المحاصرين لها ، واتصل بالوزير القائم بها ، والذي كان قد عرض على الجنود ألا يسلمهم المدينة ، وانما سنمها الى خوارزم شاه ، الا أن الوزير رجع فى قوله ، وقرر أنه لن يسلم هراة الا للغوريين ، فغضب خوارزم شاه ، وقرر تشديد الهجوم على المدينة فى الوقت الذى استاء أهلها من طوال فترة الحصار وحدثت فتنة داخلية استغلها خوارزم شاه محمد لاقتحام المدينة التى سلمت للخوارزميين سنة ٦٠٥ هـ (٤٠) وعين عليه علاء الدين محمد خاله أمير ملك .

بعد سقوط هراة ، أصبح الدور على فيروزكوه ، وغزنة . أما الأولى فقد أمر علاء الدين محمد خاله أمير ملك أن يتوجه اليها ، وأن يقوم بالقبض على حاكمها غياث الدين الغورى ، وأن يقبض أيضا على أخاه الهارب على شاه الخوارزمى الذى انتهاز فرصة الشائعات التى انتشرت عن مقتل خوارزمشاه ، وانشق عليه وانضم الى غياث الدين فى فيروزكوه . لذلك خرجت قوات أمير ملك متجهة الى هذه المدينة ، وعندما حاصرتها القوات الخوارزمية طلب غياث الدين وعلى شاه الأمان ، فأمنهما ، الا أنه غدر بهما بناء على أوامر علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وقام بقتلهما ، وبذلك دانت كل خراسان لخوارزم شاه (٤١) .

ويذكر الدكتور الغامدى رواية أخرى نقلا عن الجوزجاني « طبقات ناصرى » يقول فيها أن السلطان محمد ، عندما علم بهروب أخيه ولجؤه الى البلاط الغورى ، أرسل وفدا من لدنه الى غياث الدين ، وقد حثه

---

(٤٠) نفسه ، ص ٢٩٤ حوادث سنة ٦٠٥ هـ .

(٤١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ حوادث سنة ٦٠٥ هـ .

على أن يلتقى القبض على على شاه ، لهذا أقدم غياث الدين على اللقاء القبض على على شاه ، وسجنه فى القصر بمدينة فيروزكوه — الا أنه مع ذلك نجح خدم وأصحاب على شاه فى مخططهم الذى تأمروا بموجبه على حياة السلطان الغورى \* اذ أنهم قرروا أن يقتلوه بعد أن فشلت جميع محاولاتهم مع غياث الدين فى سبيل اطلاق سراح سيدهم والعفو عنه فقتلوا الحاكم الغورى ، كان فى هذه الأثناء قد سار اليهم جيش السلطان محمد ، وأخذ تهديده لهم يلوح فى الأفق \* وبعد أخذ وعطاء ومداولات بين كبار رجال وأعيان فيروزكوه ، وافقوا على اطلاق سراح على شاه من سجنه وتنصيبه حاكما عليهم ، وذلك ليقوم بمساعدتهم فى الدفاع عن أراضيهم ضد أمين ملك أو ملك أمين كما يسميه الجوزجاني الذى قدم على رأس جيش الخوارزميين \*

ومع ذلك فانه فى يوم جمعة فى منتصف شهر جمادى الأولى فى عام ٦٠٧ هـ استسلمت مدينة فيروزكوه الى القوات الخوارزمية ، وهكذا انقرضت أسرة محمد سام ...» (٤٢) \*

### الاسنيلاء على غزنة وانتهاه الملك الغورى نهائيا :

لقد ذكرت كيف نجح تاج الدين أيلدز فى السيطرة على غزنة وما حولها ، وخلصوا طاعة الغوريين ، واستقلوا بأنفسهم \* وقد كانت وفاة غياث الدين سببا رئيسيا فى تأكيد استقلال تاج الدين أيلدز بغزنة \*

ولكن لم يهنأ أيلدز بهذا الاستقلال طويلا ، اذ ما لبث النساء الخوارزمى أن رنا ببصره اليها ليستكمل جمع الممتلكات الغورية تحت سلطانه ، فبعد أن استولى على خراسان ، وباسيان ، أرسل الى ايلدز يطلب منه « أن يخطب له وينضرب السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا

---

(٤٢) الغامدى : اوضاع الدول الاسلامية فى الشرق الاسلامى ، ص ١٧٩ نقلا عن الجوزجاني : طبقات ناصرى ، ج ١ ، ص ٣٧٧ — ٣٧٩ .

ليصلحه» (٤٣) وقد وعده بأنه سيتركه فى منصبه حاكما على غزنة من قبل السلطان الخوارزمى •

لذلك اجتمع ايلدز بكبار أمراء وأعيان دولته وشاورهم فى الأمر ، فأشار عليه أحد كبار دولته ويدعى قتلغ تكين بالموافقة ، وبذلك أصبحت غزنة اسميا تحت الحكم الخوارزمى •

وقد انتهاز قتلغ تكين فرصة خروج ايلدز للصيد ، فاتصل سرا بعلاء الدين محمد خوارزمشاه يطلبه ليسلم اليه غزنة ، فأسرع علاء الدين محمد الى غزنة ، فسلمها اليه قتلغ ، فقام خوارزمشاه بقتل من بها من الجند الغورى ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع ايلدز هرب ومن معه الى لهاور بالهند (٤٤) •

أما عن قتلغ تكين فقد قام محمد خوارزمشاه بقتله ، وذلك بعد أن اجتمع به وابنه على صنيعه مع صاحبه قائلا « اذا كنت لا ترعى لرفيقتك ومن أحسن اليك صحبتته واحسانه ، فكيف يكون حالى أنا معك ، وما الذى تصنع مع ولدى اذا تركته عندك » (٤٥) • وبعد قتله عين على غزنة ولده جلال الدين « منكبرى » •

أما عن مصير ايلدز ، فقد توجه كما ذكرنا الى لهاور ودخل فى قتال مع صاحبها ناصر الدين قباچه وهو من مماليك شهاب الدين الغورى وانتصر عليه وملك المدينة ثم اتجه الى دلهى « دهلى » حيث كان يحكمها مملوك آخر لشهاب الدين يدعى شمس الدين آيتلمش • الا أن ايلدز هزم على يديه • وبذلك انتهى دوره الى الأبد (٤٦) •

---

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ حوادث سنة ٦١٢ هـ ، ص ٣١٠ •

(٤٤) نفسه •

(٤٥) نفسه اخلفت الأقوال فى سنة الاستيلاء عليها ما بين سنة ٦١٢ هـ ،

سنة ٦١٣ هـ •

(٤٦) نفسه •

أما الجوزجاني فذكر انه بعد سقوط فيروزكوه في يد السلطان علاء الدين محمد سار على شاه « أخو السلطان » الى غزنة، وأعلن نفسه الحاكم عليها ، وبعد مضي وقت من الزمن قويت رغبة السلطان محمد في امتلاكها ، لذلك أرسل وفدا سياسيا من طرفه الى أخيه لمحاولة اصلاح الشقاق بين الأخوين ، ولكن أولئك الرسل في نهاية الأمر قاموا بقتل على شاه ، فسلمت البلدة الى أخيه في سنة ٦٠٩ هـ وهكذا بقيت غزنة وأراضيها تحت نفوذ السلطات الخوارزمية<sup>(٤٧)</sup> .

#### **الخوارزميون والقرائطيون على عهد علاء الدين محمد خوارزمشاه :**

وضح أن السياسة التي أبداها علاء الدين محمد من أجل التوسع وفرض السيطرة اضطرتته أن يغير النهج الذي رسمه له أبوه علاء الدين تكس في علاقته بدولة الأتراك الخطا .

وجد خوارزم شاه محمد نفسه مضطرا الى استخدام القوة خاصة وان الالتزامات المالية التي فرضت عليه لدولة الخطا أرهقته ماديا الى جانب رغبته في استعادة الاقاليم الاسلامية التي استولى عليها الأتراك واعادتها الى الراية الخوارزمية .

ويرى ابن الأثير أن الفرصة لاحت لعلاء الدين محمد عندما بعث اليه سلطان سمرقند وبخارى الملقب « خان خانان » أي سلطان السلاطين يشكو اليه ما يعانونه « من أنف وضجر في تحكم الكفار على المسلمين »<sup>(٤٨)</sup> لأنهم ثقلت وطلأتهم على أهل البلاد حيث كان لهم في كل مدينة نائب يجبي لهم الأموال .

---

(٤٧) الغامدي : نفسه ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ نقلا عن الجوزجاني :

طبقات ناصري ، ج ١ ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .

(٤٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩١ حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

وقد عرض السلطان التركي عثمان خان على علاء الدين محمد أن ينفذ بلاد المسلمين من الكفار ، ويخلصهم من تحكمهم في ائقذارهم واموالهم ، ووعد به بالمساعدة على محاربتهم على أساس « أن يحمل اليك ما نحملة اليهم ويذكر اسمك في الخطبة والسكة » (٤٩) .

وهناك رأى آخر وهو أن السلطان عثمان حاكم سمرقند تقدم الى سيده الحاكم كورخان وطلب منه يده ابنته ، الا أن كورخان رفض على أساس عدم التكافؤ بينهما ، فثارت ثائره صاحب سمرقند وأراد أن يثير المشاكل ضده انتقاما منه (٥٠) .

لذلك وافق علاء الدين محمد الا أنه أبدى تخوفه من عدم تنفيذ السلطان لوعده ، مما أدى الى قيام سلطان بخارى بارسال وفد من قبله من وجوه أهل بخارى وسمرقند ليكونوا رهينة عنده بعد أن « حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا منه الصدق والثبات على ما بذل » (٥١) . وبعد أن استوثق علاء الدين محمد من أمر سلطان بخارى ، ووضع الرهائن تحت سيطرته ، وقرر أن يرتب أمور بلاده قبل أن يتوجه لمحاربة الخطا ، فعين أخاه على على طبرستان ، وعين الأمير كزلك خان على نيسابور ، والأمير جلدك على مدينة الخام والأمير أمين الدين أبا بكر على مدينة زوزن والأمير الحسن على هراة ، واستتاب في مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا ، وبعدها جهز جيشا توجه نحو نهر جيحون حيث وصل الى سمرقند ، فاجتمع هناك مع سلطانها لتدبير الأمور (٥٢) .

---

(٤٩) نفسه .

(50) Juwaini «op - cit» vol I, p. 340.

(٥١) ابن الاثير : نفسه ، ص ٢٦١ حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٥٢) نفسه .



وصلت أخبار الجيش الخوارزمي الى مسامع الملك الخطائي لذلك استعد استعدادا كبيرا لمواجهة هذا الجيش الذي ضم اليه حلفاءه من سمرقند ، واستمر القتال بينهما طويلاً مما أدى الى هزيمة القوات الخوارزمية المتحالفة ، ووقوع معظم الجنود أسرى في أيدي الخطا حتى أن علاء الدين محمد وقع هو الآخر أسيراً في أيديهم ومعه أمير يدعى فلان بن شهاب الدين مسعود<sup>(٥٣)</sup> .

ولعل انتشار خبر أسر السلطان الخوارزمي ووصوله الى مسامع ولاته أكبر الأثر في اضطراب الأحوال داخل الدولة الخوارزمية مما سنبحثه فيما بعد .

أما عن مصير علاء الدين محمد ، فقد استمع الى رأى الأمير فلان ابن شهاب الدين الذي عرض عليه أن يشتركا معا فى حيلة ، وهى أن يدعى خوارزمشاه أنه خادم لابن شهاب الدين « فشرع يخدم ابن مسعود ويقدم له الطعام ويخلعه ثيابه وخفة ويعظمه » .

وقد استطاع هذا الأمير أن يقنع الحارس التابع للخطا بأنه أمير عظيم ، وبدأ الأمير يتحايل على الحارس ، ويفهمه أنه يخف انه بعد عودة القوات المنهزمة ، وعندما يجده الناس معهم يظنون انه قد مات ويستولون على أمواله ، وافهمه بأنه يريد أن يمنحه كمية من هذا المال دون علم السلطات لذلك قرر الحارس على الأمير كمية من المال ، وطلب منه الأمير أن يبعث برجل عاقل الى بلاده ليحضر المال المطلوب ، وذكر له أن الخطا لا يعرفون أهله وانه لا يثق الا فى غلامه « المدعو » علاء الدين محمد واثق به ويصدق أهلى<sup>(٥٤)</sup> ، لذلك وافق الحارس على أن يرسل علاء الدين ، وبذلك نجح خوارزم شاه فى العودة سالماً الى بلاده .

---

(٥٣) نفسه ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٥٤) ابن الأثير ، نفسه .

Juwaini «op - cit» vol I, pp. 345—349,

Barthold «op - cit» pp. 355—356

ويعود ابن اثير فيذكر انه بعد عودة خوارزم شاه بفترة أخبر شهاب الدين مسعود الحارس حقيقة شخصية علاء الدين محمد فما كان منه الا أن قال له « لم لا عرفتني حتى كنت أخدمه وأسير بين يديه الى مملكته »<sup>(٥٥)</sup> بل ان الحارس قرر أن يسير مع شهاب الدين لمقابلة خوارزم شاه في بلاده حيث أكرم وفادته .

الا أن علاقة خوارزم شاه بدولة الخطا لم تتأثر بالهزيمة التي منى بها على أيديهم ، فنراه يكرر الكرة مرة أخرى للهجوم على بلادهم .

وبعد أن نظم أمور خراسان بعد الفوضى التي سادت فيها عندما شاع خبر أسره وقتله على يد الخطا ، خرج خوارزم شاه عابرا نهر جيحون سنة ٦٠٥ هـ فاستعد الخطا لمهاجمته ، فجمعوا جيشا كبيرا جعلوا على قيادته قائداهم العجوز « بطانيكوه » الا أن الخطا تعرضوا للهزيمة الساحقة على أيدي الخوارزميين ، فقتل منهم « وأسر عدد كبير منهم طابينكوه نفسه ومقدمهم » حيث جرى بهم الى خوارزمشاه « فأكرمه وأجلسه على سريرته وسيره الى خوارزم »<sup>(٥٦)</sup> .

انساحت القوات الخوارزمية في قلب بلاد ما وراء النهر « فملكوها مدينة مدينة ، وناحية ناحية » حتى وصلوا الى وزكند فعين بها نواب له ، ورجع الى خوارزم مصطحبا معه سلطان سمرقند حيث

---

(٥٥) ابن الاثير ، نفسه .

(٥٦) ابن الانير : نفسه . ويخالف الدكتور الفامدى رأى ابن الاثير اذ يقول أن طابينكو أعدم في جرجانية ، وأمر السلطان بالقائه مينا في نهر جيحون .

الفامدى : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

نمت المصاهرة بينهما ، فتزوج السلطان السمرقندي ابنة علاء الدين محمد (٥٧) .

عاد سلطان سمرقند الى بلاده محملاً بالهدايا ومعه شحنة « جنود عسكريون » تابعة للسلطان الخوارزمي على رأسها ثرت أبه وهو من أقرباء والده ، وظل مقيماً ببلاده ما يقرب من عام لاحظ خلالها سوء سلوك الخوارزميين مع أهل البلاد ومع حكامها وعدم احترامهم لشعور المواطنين ، لذلك قرر السمرقندي العدول عن محالفة الخوارزميين ، والاتصال بالخطا ، حيث عرض عليهم القدوم لتسلم البلاد من الخوارزميين بل دفع لهم الجزية وتصاهر معهم وتزوج ابنة الملك الخطائي كورخان واهان ابنة خوارزم شاه « وأمر بقتل كل من غي سمرقند من الخوارزمية ممن يسكنها قديماً وحديثاً ، وأخذ أصحاب خوارزم شاه ، فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الأسواق كما يعلق القصاب اللحم » حتى انه وصل به الأمر الى محاولته قتل زوجته ابنة خوارزم شاه الا أنها « أغلقت الأبواب ووقفت بجوارها تمنعه » (٥٨) .

عندما وصلت هذه الأخبار الى خوارزم شاه ثارت ثائثرته « وقرر قتل كل من بخوارزم من الغرباء » (٥٩) الا أن أمه نهته عن هذه الأفعال ، لذلك قرر التجهز للخروج الى بلاد ما وراء النهر .

---

(٥٧) هناك رأى آخر يذكر ان تركان خاتون أم السلطان محمد بما لها من نفوذ أوعزت الى ابنها بابقاء السلطان عثمان بخوارزم ، وعدم عودته الى بلاده بعد زواجه من ابنته وذلك اما رغبة في ضم أراضيهم اليهم واما رغبة في تكريمه طبقاً لعاداتهم وتقاليدهم التركية .

عن ذلك انظر :

Juwaini «op - cit» vol II, p. 344.

(٥٨) ابن الاثير ، نفسه .

عبر علاء الدين محمد بجيوش ضخمة نهر جيحون متوجها أولا نحو سمرقند ووجه نداءه الى حاكمها قائلا « قد فعلت ما لم يفعله مسلم ، واستحللت دماء المسلمين » ومع ذلك سامحه على شرط أن يترك البلاد الى حيث يشاء ، فرفض سلطان سمرقند متحديا ، عندئذ أمر علاء الدين محمد قواته بالهجوم على المدينة حتى نجحوا في اسقاطها « وأذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من أهل سمرقند » فاستباحوها ثلاثة أيام بعدها زحفوا على قلعتها ، وقبضوا على صاحبها الذي طلب العفو من خوارزم شاه فرفض وأمر بقتله ، وقام بترتيب ولاياتها ، وعين عليها نوابا من قبله «<sup>(٦٠)</sup> واتخذ السلطان محمد من سمرقند عاصمة له حتى مجيء المغول » .

وفى هذه الآونة نذكر أن أقاليم آسيا الشرقية فى هذه الفترة من التاريخ كانت أشبه ما تكون بخلية النحل من حيث تعدد قبائلها وكثرة حركاتها وانتقالاتها من مكان الى آخر سعيا وراء غنم سياسى أو ثروة مادية على حساب بعضها البعض ، ولم يكن هناك من طريقة لانهاء هذه الفوضى الا على يد زعيم قوى يظهر من بين هذه القبائل فيستطيع أن يلم شملها ، ولم يكن هذا الزعيم الا « تيموجين » جنكيزخان فيما بعد الذى ركز جهوده لتوحيد هذه القوى المتعادية المتنافرة التى تخضع للسلطان<sup>(٦١)</sup> .

### سقوط دولة القراخانيين نهائيا :

لعل سقوط سمرقند فى يد خوارزم شاه ، ووقوعها فى يد السلطان علاء الدين أكبر الأثر فى بداية النهاية للقراخانيين الذين بدأ العد التنازلى لدولتهم .

---

(٥٩) نفسه ، ص ٢٩٥ .

(٦٠) نفسه .

(٦١) حافظ حمدى : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

وقد أوضحت أن هناك قوه جديدة بدأت تظهر على الحدود الخوارزمية سيكون لها وزنها فى تاريخ آسيا الوسطى ، وسنعمى تفصيليا بدراستها ولسنا فى حاجة الى ذكرها الآن وهى قبيلة المغول الذين تمكن زعيمهم جنكيزخان « تيموجين » من بسط سيطرته على جميع القبائل المغولية مثل الكرايت والنايمان وكون منها حكومة واحدة ، وحارب حكام امبراطورية كين فى الصين الشمالية سنة ٦٠٨ هـ حتى سنة ٦١٢ هـ (٦٣) .

وبهمنا الآن بعد أن هزم جنكيزخان قبائل الناييمان ، وقضى على تايانك خان فر ابنه كوشلو خان فى جمع من اتباعه وقد تعرض أثناء فراره وجولاته لمقاعب عديدة ، ووقع فى الضيق والعوز ، وتفرق الجمع الذى كان يصاحبه ، ويقال ان الجنود القراخطائين اعتقلوه وحملوه الى ملكهم كورخان ، وتقول رواية أخرى أن كوشلو لجأ الى كورخان ، وصار محتجزا عنده مدة من الزمن (٦٣) .

وعندما حدث الخلاف بين الخوارزميين والخطا قام كوشلوخان بالايغاز الى كورخان بأنه يستطيع أن يجمع اتباعه المشتتين فى فواحي ايمبل وقيالينغ وبيش بالينغ ويكون جيشا كبيرا يقف الى جانب كورخان ضد مطامع خوارزم شاه .

اقتنع كورخان بهذه الفكرة ، فقام الزعيم الفار بجمع جنوده واتباعه حتى كون عصبية قوية ، وحاول أن يظهر لكورخان انه تابع مخلص له ، الا أنه عندما شعر بضعفه صمم على الغدر به (٦٤) .

---

(٦٢) عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(٦٣) نفسه .

(٦٤) نفسه .

Lamb : Genghis Khan. p. 110.

D'ohsson «Histoire des mongols» T. I, p 169.

وقد قام بتدبير خطة يستطيع عن طريقها الوصول الى العرش ، فبدأ أولاً بانتهاز فرصة الخلاف بين الخطا والخوارزميين ، فعرض نحالفه على علاء الدين محمد ، متفقاً معه على ازالة هذه الدولة واقتسامها بينهما ، وقد أرسل اليه رسالة يقول فيها « ان هؤلاء الخطا أعداؤك ، وأعداء آبائك واعدائنا فساعدنا عليهم ، ونحلف اننا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضح التي ينزلونها » (٦٥) .

وفى نفس الوقت قام هلك الخطا بالاتصال بخوارزم شاه مزبنا له فكرة التحالف معهم ضد كشلوخان وقال له « أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فاعفو عنه وقد أتى من هذا العدو ما لا قبل لنا به وانهم وان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة أن تسير الينا بعساكرك ، وتنصرنا على قتالهم ، ونحن نحلف لك اننا اذا ظفرنا بهم لا نتعرض الى ما أخذت من البلاد ونقنع بما فى أيدينا » (٦٦) .

لذلك انتهز علاء الدين خوارزم شاه حاجة كل من الفريقين اليه فعمل على أن يظهر لكلاهما أنه معه ، وسارت القوتان المتعاديتان بعد ذلك كل لمحاربة الأخرى ، وكل منهما يظن أن الجيوش الخوارزمية فى جانبه ، أما علاء الدين خوارزمشاه فقد وقف بين هاتين القوتين موقف المتفرج ينتظر رجحان كفة احدهما على الأخرى لينضم الى القوة المنتصرة (٦٧) . وكلاهما يظن أن الجيوش الخوارزمية جاءت لتواءزره (٦٨) .

اشتعلت الحرب بين الخطا والتتر ، وأسفرت عن هزيمة ساحقة لكورخان وجنوده الخطا ، وانتصار كشلوخان التترى الهارب ، لذلك

---

(٦٥) ابن الانبر ، نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٩٥ .

(٦٦) نفسه .

(٦٧) Lamb . «op - cit» p. 110 — 111.

(٦٨) الذهبى : العبر فى خبر من فبر ، ج ٥ ، ص ١٦ .

انضم علاء الدين محمد الى جانب كشلو « وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم ، الا طائفة يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحي الترك » (٦٩) .

وبذلك نجح كشلوخان فى اعتلاء عرش دولة \* الخطا \* وان الآثار الهامة التى نتجت عن تدمير القراخانيين كانت غاية فى الأهمية بالنسبة للعالم الاسلامى ، وذات ابعاد خطيره على مستقبل الدولة الخوارزمية والشرق الاسلامى عامة \* وذلك لأن أملاك كشلوخان جاورت أملاك الخوارزميين مما جعل السلطان علاء الدين محمد فى موقف لا يحسد عليه ، فان كشلوخان فار من وجه جنكيزخان ، ولا بد أن تنتشب معركة مصيرية ، فوجهت انظار جنكيزخان نحو الاقاليم القريبة من آسيا حيث دولة كشلوخان عدوه القديم (٧٠) . ولذلك قام كشلوخان بتوسيع دولته على حساب القوى المجاورة ، فاخضع كثيرا من القبائل المجاورة ، ومد سلطانه من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية ، دون أن يعوقه عائق (٧١) .

لم يحترم كشلوخان الشعور الدينى للسكان فى دولته ، اذ حاولت زوجته المسيحية نشر دينها ، كما أخذ هو يعمل على نشر الديانة البوذية التى كان يعتنقها على حساب الأهالى من المسلمين ، فلا عجب اذا جلبت هذه السياسة عداوتهم (٧٢) .

---

(٦٩) ابن الاثر ، نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٩٥ ،  
Lamb «op - cit» p. 110.

(٧٠) مرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٦٩ — ٧١ .  
(٧١) Juwaini «ip - cit» vol II, p. 370

(٧٢) حافظ حمدى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

كان السكان فى كاشغر خوثان من بلاد الخطائين قد تمردوا عليه فأرسل جيوشه أولا الى كاشغر فى وقت حصاد الغلات فكان الجنود يستولون على المحصول ويأكلون ويحرقون وينهبون فارتفعت أثمان الحاجيات وتعذرت الأقوات ، وحدثت هجاعة هلك بسببها كثير من الأهالى ، ولكن الغاصب المحتل كان يصدق على السكان البوذيين ويعطيهم كل ما يطلبون ، ولا يستطيع أحد أن يمنع من هذا الظلم الصارخ ، والتفرقة غير المشروعة فى المعاملة — ولعل ما حدث فى خوثان كان من أبشع ما تصفه الاقلام حيث أمر الناس بالارتداد عن الاسلام ، اما للمسيحية أو للبوذية أو أن يتزوا بزى الخطائين ، فكان المسلمون يرتضون الحل الأخير مضطرين (٧٣) .

أما من موقف علاء الدين خوارزم شاه الذى قدم يد المساعدة للخطا ، فقد بعث الى كشلوخان يبين له أن النصر الذى أحرزه الخطا كان بفضل الخوارزميين ، فأيده على ذلك كشلو الا أن علاء الدين ما لبث أن كرر مراسلته لكشلو وطلب منه مقاسمته لنصف أملاك دولة الخطا وقال له « اننا اتفقنا على ابادتهم وينبغى أن نقسم بلادهم » (٧٤) .

لذلك رفض كشلوخان وهدده بالحرب حتى انه تجهز فعلا للملاقاة علاء الدين محمد الخوارزمى . وخرج الى حدوده . لذلك تأكد علاء الدين « أنه لا طاقة له به » (٧٥) لذا اقتصرته عملياته ضده على شن هجمات خاصة على أرض الخطا ، تلك الهجمات التى لا تتعدى السلب والنهب حتى أن كشلو خان أرسل اليه يقول « ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص » (٧٦) .

---

(٧٣) الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ٥٦ .

(٧٤) ابن الاثير : نفسه ، ص ٢٩٥ .

(٧٥) نفسه ، ص ٢٩٦ .

(٧٦) نفسه ، ص ٢٩٦ .



وقد أفرد النسوى رواية تبين أن السلطان الخوارزمى أرسل أيضا لكشلوخان يطلب منه أن يسلمه كورخان خان الخطا المهزوم ، وذلك لأنه كانت هناك اتفاقية من قبل بين علاء الدين محمد وكورخان على أن يزوجه ابنته طوغاج خاتون، كما أنه رفض أن يقع كورخان أسيرا فى يد كشلوخان ومن قوله « أحين أصبح كسيرا يؤخذ أسيرا ، فان أردت السلامة فى نفسك وذويك ، فشأنك أن تسره الى ببنته وخزائنه ، وأمواله وأشياعه ، والا قد جئتكم بما لا يغنبه منه الا حد حسام وئبات المقام » (٧٧) .

وقد رد كشلوخان على السلطان الخوارزمى ردا لطيفا رفض فيه تسليم كورخان لأن الأخير تذلل وتضرع اليه ألا يسلمه لعلاء الدين محمد بحجة أن الخوارزميين كانوا طوال التاريخ يدفعون الجزية والأموال للدولة الخطائية ، وكانو يرهبون جانبها ، وانه عندما قوى شأن علاء الدين محمد، وبدأ فى منازلة الخطا ، تنازل كورخان فى هذه الفترة ووافق على أن يزوج ابنته من علاء الدين محمد ، وحيث أنه قد هزم فعلا ، لذلك استعطف كشلوخان على ألا يسلم ابنته ولا يسلمه هو شخصيا الى السلطان الخوارزمى (٧٨) ، وقد بعث علاء الدين رسله الى كشلو مجددا مطلبه ومشددا فيه حتى قام كشلو بالقبض عليه وتقييده (٧٩) .

لذلك احتدم الصراع بين الخوارزميين وكشلوخان حتى أن الأخير هددهم بغزو أراضيهم ، وفعلا تجهز لذلك . الا أنه لم يتمكن من تحقيق غرضه لوصول القوات المغولية الى حدود بلاده ، وهذا ما سنوضحه تفصيلا فيما بعد .

---

(٧٧) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٤٠ .

(٧٨) النسوى ، المصدر نفسه .

(٧٩) النسوى ، المصدر نفسه .

## النزاع بين السلطان علاء الدين محمد

### والخلافة العباسية حول العراق العجمي :

حاولت الخلافة العباسية كما رأينا فى عهد هؤلاء السلاطين المغزنويين أن تفرض نفوذها على منطقة العراق العجمي ، خاصة بعد سقوط قوة السلاجقة الأتراك ، وقد بذل الخليفة الناصر لدين الله جهودا مكثفة فى سبيل استعادة النفوذ الروحي للخلافة العباسية •

ولقد تصدى علاء الدين محمد خوارزمشاه لمحاولات الخلافة العباسية الاستيلاء على بلاد الجبل ، وأراد أن يستعيد نفوذه القديم عليها وأن يقضى على نفوذ الأتابكة التابعين لبيت البهلوان الذين كانوا يتظاهرون بولايتهم للخلافة العباسية الا انهم كانوا يعملون فى الظاهر للاستقلال •

وقد ذكرنا أن نور الدين كوكجة كان حاكما على الرى وهمدان وبلاد الجبل ، وقد استمر حاكما حتى سنة ٦٠٠ هـ (٨٠) •

وقد قام كوكجه بالاستعانة بأحد مماليك ابن البهلوان ويدعى أيتغمش « فقدمه وأحسن اليه ووثق به » الا أن أيتغمش لم يحفظ له الجميل بل خرج عليه وحاربه وقتل كوكجة على يديه •

واستولى أيتغمش بعدها على أملاك كوكجه وأقره بن البهلوان على ما استولى عليه •

وقد لاحت الظروف لأيتغمش لأن تتسع ممتلكاته وذلك حينما تحالف علاء الدين صاحب مراغة ، ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل من أجل الاستيلاء على أفريجان من الأتابك أبى بكر بن البهلوان « لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر فى أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا » (٨١) •

---

(٨٠) ابن الاثر : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٥ ، حوادث سنة ٦٠٠ هـ .

(٨١) نفسه ، ص ٢٨٢ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

وقد استعان ابو بكر البهلوان بأيتغمش الذى تصدى لهؤلاء ونجح  
فى أن يستولى على أقاليم من أملاكها •

كما نجح أيتغمش أيضا فى مهاجمة قلأع الاسماعيلية المجاورة لقزوين  
« فقتل منهم مقتلة ، ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع  
وصمم العزم على حصر الموت » (٨٢) •

ولم يتوان أيتغمش على صد هجمات قام بها الخوارزميون على  
منطقة زنكان فكانت جيوشهم تقدر بحوالى عشرة آلاف فارس الا ان  
أيتغمش هزمهم « وأخذهم بالسيف فقتل منهم وأسر خلق كثير » (٨٣) •

وبذلك ارتفع نجم أيتغمش ، وذاع صيته حتى عام ستمائة وثمانين،  
الا انه تعرض فى هذا العام لقيام أحد المماليك المدعو ناصر الدين منكلى  
وهو من أتابكة محمد بن البهلوان ، لذلك هرب أيتغمش الى بغداد  
فاستقبله الخليفة استقبالا طيبا ، وبقي فى بغداد حتى العام التالى  
حيث وصل الى بغداد محمد بن منكلى مبعوثا من قبل أبيه من بلاد الجبل،  
من أجل أن يتأكد من موقف الخليفة الناصر مع أيتغمش ومحاولة مساعدته  
للعودة الى بلاد الجبل واستردادها من متوليها منكلى (٨٤) •

ومن ناحية أخرى حاول منكلى أن يبعث ابنه الى الخليفة ليبين له  
حقيقة موقفه من الخلافة ، ويشرح له أسباب طرده لايتغمش واستيلائه  
على هذه البلاد •

---

(٨٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٨٢ حوادث سنة ٦٠٢ هـ •

الموت : كلمة ديلمىة معناها المكان الذى أرشد عليه العقاب •

محمد اقبال : تاريخ ايران ، حاشية ١٦٥ • وتعتبر الموت هى مركز  
لشبخ الجبل زعيم الباطنية فى فارس وتقع بجوار مدينة الطالقان •

(٨٣) ابن الاثير ، نفسه . ؟

(٨٤) نفسه ، ص ٣٠٦ حوادث سنة ٦٠٩ هـ •

( م ٩ — التاريخ السياسى )

وقد ظل هذا الوفد مقيما ببغداد حتى مقتل أيتغمش فى سنة ٦١٠ هـ  
أى أنه بقى فى بغداد من المحرم سنة ٦٠٩ هـ الى مقتل أيتغمش فى سنة  
٦١٠ هـ وربما أن الخليفة الناصر محمد قد ترك هذا الوفد مقيما ببغداد  
حتى يرى ما ستسفر عنه الأحداث فيما بعد •

فقد كان الخليفة قد أمر أيتغمش بالتوجه صوب همذان ، ويتضح  
مما ذكره ابن الأثير أن الخليفة قد « أنعم عايه وشرفه بالخلق » ووعد  
بارسال نجدة عسكرية اليه لمساعدته ، لذلك انتظر أيتغمش فى بلاد  
ابن ترخم زعيم التركمان الايوانية بالعراق فترة حتى تصله الامدادات •  
الا أن الظروف السياسية تغيرت • حيث قام الخليفة الناصر بعزل سليمان  
ابن ترخم عن ولاية التركمان الايوانية وولى بدلا منه أخاه الأصغر لذلك  
قام سليمان بالاتصال بمنكلى ، وبين له وضع أيتغمش وأنه موجود  
طرفهم ، لذلك دبر أمر مقتله مع التركمان فقتلوه وحملوا رأسه الى  
منكلى<sup>(٨٥)</sup> ، الذى قويت شوكته وأصبح مسيطرا على ما بيديه من بلاد  
فى الوقت الذى أساء هذا العمل الى الخليفة الناصر لدين الله •

لم ينعم منكلى بالسلطة طويلا ، فلم يلبث فيها الا أقل من عامين  
حيث تحالف الخليفة العباسى ضده مع أربك ابن البهلوان حاكم أذربيجان  
كما تحالف مع جلال الدين حسن شيخ الجبل الباطنى<sup>(٨٦)</sup> ومظفر الدين

---

(٨٥) ابن الأثير : نفسه ، حوادث سنة ٦١٠ ، ص ٢٠٧ .

(٨٦) نتعجب من تحالف الخلافة العباسية السنية مع شيخ الجبل  
الباطنى الا أنه خلال هذه الفترة حاول الباطنية فى فارس اقناع الخلافة  
العباسية بأنهم قد أبطلوا المذهب الشيعى فى قلعة الموت ، والواضح أن  
هذه حيلة ومحاولة ابتدعوها لى يصرفوا الخلافة العباسية عن محالفة  
الزعامة الاسلامية ، وكذلك ربما أن هذه حيلة ابتدعوها لم نصل الى مكنونها  
وحقيقتها .

ولقد أرسلوا الى دار الخلافة رسالة من الكا جلال الدين حسن صاحب

كوكبرى بن زين الدين على جوجك حاكم اربل وشهرزور الذى جند اليه كثيرا من المرتقة من الموصل وديار بكر وحلب وجعل القيادة لملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وقبل المعركة اتفق الحلفاء على أساس « أن يكون للخليفة « بعض البلاد » لأوزبك وبعضها يعطى لجلال الدين » (٨٧) .

وقد أشار الجوينى فى تاريخ « جهانكشاي » عن سفارة جلال الدين حسن الى الخليفة العباسى ، فقد طلب من الخليفة المساعدة العسكرية ضد منكلى ، وطالب أعضاء الوفد الخلافة سرعة التدخل فى شئون منطقة الجبل الداخلية ، خاصة بعد قيام منكلى بالاعتداء على أراضيهم (٨٨) .

وقد أسهب ابن الأثير فى شرح الظروف التى نجح بها الحلفاء فى القضاء على منكلى ، وتمكنهم من قتله ، وقاموا بتولية أغلمش الذى كان مقيما طرف علاء الدين محمد خوارزم شاه ، الا أنه ترك بلاده ، وخرج لمخالفة الخلافة (٨٩) .

---

آلوت يخبره بأنهم تبرعوا من الباطنية وقاموا ببناء المساجد وأقاموا صلوات الجمعة والجماعة هناك حتى أنهم صلوا صلاة التراويح فى رمضان .  
عفاف صبرة : دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢١٦  
حتى أن الخليفة سر بذلك لأن والده جلال الدين حسن وصلت الى دار الخلافة منوجهة الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج فعاملتها الخلافة معاملة نليق بها .  
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢١٠ حوادث سنة ٦٠٨ هـ .  
أبو المحاسن : المنجوم ، ج ٦ ، ص ٢٠٣ حوادث سنة ٦٠٧ هـ .

(٨٧) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٠٩ حوادث سنة ٦١٢ هـ .

(88) Boyle. J. A. «Studies on the Tarikh Jahan. Gush of Juvayri» p. 701.

(٨٩) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، تحقيق حافظ حمدى ،

ون هنا يبدأ ظهور القوة الخوارزمية على مسرح الأحداث مرة أخرى لتبرز بعد ذلك حتى تمكنتها من الاستيلاء على بلاد الجبل •

ولقد تطورت الأحداث حتى أن أغلمش رفض الطاعة لأزبك البهلوان ، وقرر أن يعلن طاعته للسلطان محمد خوارزمشاه صاحب نعمته الأول • وظل كذلك الى أن أغتيل •

ويرجع النسوى سبب اغتياله الى أنه كان يجلس للقاء الحجاج القادمين من أداء الحج ، فقفزوا عليه في زى الحاج وانقضت حينئذ خطبة السلطان بالعراق » (٩٠) ، وينسب قتله الى أحد الاسماعيلية الباطنية الذين كانوا حلفاء للخليفة العباسي في هذه الآونة كما ذكرنا •

والحقيقة أن علاء الدين محمد الخوارزمي اتخذ من هذا الحادث سببا في فرض سلطانه الرسمي على بلاد الجبل ، بل والوقوف أمام الخلافة العباسية ، ومحاولة الاجهاز عليها في عقر دارها حتى يخطب لعلاء الدين على منابر بغداد (٩١) •

وكان أن بدأ الأمر من جانب أزبك البهلوان صاحب أذربيجان ، وسعد بن زكلا صاحب فارس اللذان انتهزا فرصة مقتل أغلمش وقررا الاغارة على العراق العجمي فنهضا من جهتيهما اغتاما لفرصة خلوها عن يحميها ويقيم كلمة الدعوة فيها » (٩٢) •

كان السلطان محمد الخوارزمي قد انتهى في هذه الآونة من محاربة الأتراك الخطا والغوريون ، ولذلك وجه كل همة نحو جبهة العراق العجمي والعربي أي الى الخلافة العباسية ذاتها ، وأسفر عن وجهته تجاهها •

---

(٩٣) النسوى : سيرة السلطان ، ص ٥٢ •

(٩١) النسوى : ص ٥١ ، ابن الأثير : ص ٣١٣ حوادث سنة ٦١٤هـ .

(٩٢) نفسه ، ص ٥٣

وقد بدأ أذربك بالاتجاه الى أصفهان « على مواطأة من أهلها ، وتوجه سعد الى الري ومنها الى قزوین وخوار (٩٣) ، وسمنان (٩٤) .

فى هذه الاونة كان السلطان محمد خوارزمشاه مازال فى سمرقند . وما أن وصلت هذه الأخبار حتى جهز جيوشا جرارة تريو على مائة ألف فارس كان معظمهم من الفرس — العلويين الذين رعو فى ذلك فرصة للوصول للحكم (٩٥) . وتوجه ناحية قومس ، وهناك وصلت قلائع الجيوش ناحية الري ، وتم التحامها مع قوات سعد ، وانتصروا عليهم انتصارا ساحقا وتم تسليم سعد الى السلطان محمد خوارزمشاه ، « فأكرمه ووعد الاحسان والجميل وأمنه على نفسه » (٩٦) على أساس أن يسلم البلاد الى خوارزمشاه .

اتجه خوارزمشاه بعد ذلك الى قزوین وزنجان وأبهر ، ومنهم الى همدان حيث بلغه « وهو على مسيرة يوم من همدان أن السلطان بها يرتقب أخباره » لذلك استشار أصحابه فأشاروا عليه بالعودة الى أصفهان أو أذربيجان أو قلعة تبريز . وأخيرا قرر أذربك الاتجاه الى أذربيجان ، وبعث الى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه يعتذر له « عن دنس العصيان ، وتخيل ما صدر منه على وساوس الشيطان » (٩٧) وبذلك تم

---

(٩٣) خوار مدينة بالقرب من الري .

ياقوت : ج ٣ ، ص ٤٧٣ .

(٩٤) سمنان بين الري ودامغان ، ج ٥ ، ص ١٢٩ .

(٩٥) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٥٤ .

ابن الاثير : ج ٩ ، ص ٣١٣ حوادث سنة ٦١٤ هـ .

D'ohsson. op. cit., p. 109.

(96) Minorsky «The Turcs, Iran and Cau cacus in the middle ages». p. 36.

(٩٧) النسوى ، ص ٥٥ .

الاتفاق بين السلطان خوارزمشاه وبين أذربك البهلران على « أن يخطب له أذربك في بلاده ويدخل في طاعته » (٩٨) •

وقد أكد النسوى وابن الأثير والجوينى على أن السلطان خوارزمشاه لم يف بعهدده مع سعد بن دكلا • • وبعد أن أعطاه الأمان كما رأينا زوجه من امرأة من أهل بيت والدته تركان خاتون وشرط عليه أن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية من بلاده ثلث الخراج (٩٩) إلى أنه حين وصل إلى قاعدة ملكه منعه ابنه أبو بكر ، ورفض أن يسلم الملك إليه ، وجمع جنوده وجابه أباه عسكريا ، إلا أن الجنود انحازوا إلى أبيه سعد « وتركوا ابنه في خصاصته » (١٠٠) لذلك هزم الابن ودخل سعد البلاد وامتلكها ، ومع ذلك فإن علاء الدين خوارزمشاه ما لبث أن غدر بالأمير سعد وقتله •

#### السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخليفة الفاضل لدين الله •

حكم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ما يقرب من نيف وعشرين سنة ٥٩٦ — ٦١٧ هـ / ١١٩٩ — ١٢٢٠ م • وكانت علاقته بالخلافة العباسية خلال النصف الأول من مدة حكمه حسنة على وجه العموم • ولعل السبب في ذلك يعود إلى انشغاله بمشاكله الكثيرة داخل دولته وحروبه مع الغوريين والخطا ، فلم يرغب الدخول في عداء سافر مع الخلافة العباسية بل على العكس من ذلك نجد أن الجانبين تبادلوا الرسل بهدف تحسين علاقتهما (١٠١) •

فمن الرسل الذين قدموا من عند خوارزم شاه علاء الدين محمد إلى الخلافة العباسية مرارا وزيره ابن الاصباغى المتوفى في ذى الحجة

---

(٩٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣١٣ حوادث سنة ٦١٤ هـ .

(٩٩) النسوى ، ص ٦٢ •

(١٠٠) ابن الأثير ، نفسه حوادث سنة ٦١٤ هـ •

(١٠١) العمود : الدولة الخوارزمية ، ص ٩١ •



سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ، « وكان يحترم ويبالغ في الانعام عليه لما كان يعلمه من فضله وموالاته للدولة العباسية » (١٠٢) .

كما أنفذ الخليفة العباس الناصر لدين الله سنة ٥٧٥/٦٢٢ هـ — ١١٧٩/١٢٢٠ م من جانبه الى خوارزم شاه علاء الدين محمد في المحرم من سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م فخر الدين ابن الشيخ مجد الدين يحيى ابن الربيع مدرس المدرسة النظامية كما أرسل الخليفة الناصر لدين الله الى خوارزم شاه رسولا آخر هو نصر بن أسعد الخراقي المعروف بابن الاصيل المتوفى سنة ٦٠٣ هـ الذي كان قد تولى ديوان العرض في رسائل الى خوارزم مرارا (١٠٣) .

وفى رمضان سنة ٦٠٢ هـ وصل الى بغداد نظام الدين محمد عبد الكريم السمعاني رسولا من خوارزم شاه علاء الدين محمد وتلقى بموكب الديوان العزيز ولكنه « أنزل بباب النوبى الشريف ، ليقتبل العتبة فامتنع عن ذلك ، فأهين وألزم بتقبيلها مكرها » (١٠٤) .

وقد بقى نظام الدين المذكور في بغداد وطلب في العشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة أن يؤذن له بالجلوس للوعظ بباب بدر الشريف فأذن له فجلس وحضره الخلق الكثير وأحسن الكلام وأجاد الوعظ وبالع في الثناء على البيت الشريف العباسي ، وأكثر من الدعاء للخدمة الشريفة الناصرية » (١٠٥) .

---

(١٠٢) نفسه ، نقلا عن ابن الساعى : الجامع المختصر ، ج ٩ ، ص ١٣٩ .

(١٠٣) نفسه ، ص ١٤٣ .

العبود ، ص ٩١ .

(١٠٤) العبود : نقلا عن الجامع المختصر ، ج ٩ ، ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(١٠٥) نفسه .

كما أرسل الخليفة الناصر لدين الله في سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م. العماد جبريل المصرى الى خوارزم شاه وعاد الى بغداد في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٦٠٥ هـ (١٠٦) .

وفى نفس السنة سنة ٦٠٥ هـ وصل رسول من خوارزمشاه الى بغداد « وتلقاه الموكب الشريف الديوانى ، وفى نانى جمادى الأولى جلس نائب الوزارة ابن أمسينا بالديوان العزيز ، وأحضر الرسول المذكور فأدى رسالته وعرض ما صحبه وسأل قبوله فقبل منه ، وأنزل بالمدرسة الثقيبية بباب الأزج ، وفى عاشره خلع عليه واذن له فى العودة الى مرسله » (١٠٧) .

الا أن هذه العلاقة الطيبة لم تلبث أن تبدلت وتغيرت بتغير الأهداف والأطماع .

وان نظرة تاريخية دقيقة الى الوراء لتبين لنا حقيقة هامة وهى أن الخوارزميين قد وسعوا بلادهم على حساب الدولة السلجوقية فى فارس حتى اذا ما قدر لهم أن يزيلوا عرشهم ويؤسسوا لأنفسهم دولة على أنقاضهم أخذوا بعد ذلك يوسعون سلطانهم على حساب القوى المجاورة لهم وهى دولة الخطا فى الشرق والدولة الغورية فى الجنوب والدولة العباسية فى الغرب (١٠٨) .

ولابد أن تتضح لنا حقيقة أخرى وهى أن أطماع الخوارزميين فى الحصول محل السلاجقة فى بغداد لم يكن وليد عصر علاء الدين خوارزمشاه محمد ، وانما اتضح منذ عهد أبيه علاء الدين تكش . فقد ادعوا أحقيتهم فى هذه البلاد وطلبوا السيطرة على بغداد واحلال

---

(١٠٦) نفسه ، ص ٢٦٢

(١٠٧) نفسه .

(١٠٨) حافظ محدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٠ .

اسمهم محل أسلافهم السلاجقة فى خطبة الجمعة ، ونقش اسمهم الى جوار اسم الخليفة على السكة ، وطلب تكش من الخليفة الناصر أن يعيد دار السلطنة فى بغداد الى ما كانت عليه أيام السلاجقة ، حتى اذا ما حضر الى بغداد وخلعت عليه السلطنة ، أقام فى هذه الدار ، وأصبح « الخليفة من تحت يده » (١٠٩) .

والواقع أن علاء الدين محمد خوارزمشاه سار على نفس هذه السياسة بعد أن أظهر الود كما رأينا فى بادىء الأمر ، لكنه أسفر عن وجهه الحقيقى ، وعن سياسة أسلافه التوسعية ازاء الخلافة العباسية .

وقد بدأ تنفيذ سياسته هذه بعد قيامه بالاستيلاء على أراضى الغوريين ، والخطا والعراق العجمى كما ذكرنا آنفا .

ولابد أن نعلل الاسباب الظاهرية التى ابداهها السلطان علاء الدين محمد لمهاجمة الخلافة .

أولا : أراد علاء الدين محمد خوارزمشاه أن يحقق سياسة آبائه واجداده وهى اقامة الخطية للخوارزميين على منابر بغداد ، لذلك لا نعجب اذا علمنا أن علاء الدين أرسل أحد رجاله المقربين وهو القاضى مجد الدين عمر بن سعد الخوارزمى الى بغداد غير مرة يطالب بحق الخوارزميين فى اقامة الخطبة لهم ببغداد ، وكتب الى الخليفة العباسى يقول « كن معى كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية كآلب أرسلان وملكشاه ، واقربهم لنا عهدا السلطان سنجر فيكون أمر بغداد والعراق لى ، ولا يكون لك الا الخطبة » (١١٠) فأبى العباسيون ذلك وانكروه ، وقالوا أن الظروف هى التى أدت الى تحكم السلاجقة فى بغداد

---

(١٠٩). السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠٢ .

(١١٠) السبكى : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

وقت أن كانت الخلافة فى حاجة الى مساعدتهم ، وأعلنوا أن الخلافة لن تقبل أن يتحكم فيها المتحكمون<sup>(١١١)</sup> لعلمهم بما بين يديه من الشواغل بما وراء النهر وبلاد الترك<sup>(١١٢)</sup> .

وقد صلب مجد الدين الخوارزمى عند عودته الشيخ شهاب الدين السهروردى « رسولا مدافعا ، وواعظا وازعا عما كان يلتصقه السلطان »<sup>(١١٣)</sup> الا أن سفارته لم تفلح فى اقناع خوارزمشاه خاصة وان الخليفة العباسى استهان بالسبيل الذى كان للسلطان حسن شيخ الجبل الباطنى<sup>(١١٤)</sup> .

كما أن السلطان الخوارزمى أبلغ الشيخ السهروردى أنه لم يؤذ أحدا من بنى العباس ، ومع ذلك فقد علم أن الخليفة العباسى قد أودع عددا كبيرا من الأتراك فى الحبس ، فأساءه ذلك لأنه تركى ورد على الشيخ السهروردى بأن عليه أن يذكر حديثه لأمر المؤمنين عله يكون أولى وأنفع ، وقد حاول السهروردى الدفاع عن الخليفة وتبرير تصرفاته<sup>(١١٥)</sup> .

وقد وصف السهروردى مقابلته لعلاء الدين بقوله « استدعانى فأتيت الى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر فى الدنيا مثله وفى » الدهليز

(١١١) حافظ حمدى : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(١١٢) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٤٩ .

(١١٣) نفسه ، ص ٥١ .

(١١٣) نفسه ، ص ٥١ .

(١١٤) نفسه ، ص ٥١ والسبيل هو القافلة ، والحجاج النابيين .

لحاكم ما يكون مسخوبة بعلم وأمر ولوازم ما يحتاج اليه الحجاج الى بيت الله الحرام بن طعام وشراب وزكاة وأموال للنفقة فى سبيل الله فى الأراضى المقدسة .

انظر الفارادى ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

ملوك العجم على اختلاف طبقاتهم صاحب همذان واصبهان والرى وغيرهم  
فدخلنا الى خيمة أخرى وفى دهليز ملوك خراسان « مرو » « دهليزها  
كذلك ثلاث خيام ثم استطرد شهاب الدين فى وصف علاء الدين فقال :  
هو صبي له شعرات قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخارى يساوى  
خمسة دراهم وعلى رأسه قلعة من جلد تساوى درهما فسلمت عليه  
 فلم يرد ولا أمرنى بالجلوس فشرعت فخطبت خطبة بليغة ذكرت فيها  
فضل بنى العباس ووصفت الخليفة بالزهد والورع والتقوى والدين  
والترجمان يعيد عليه قولى فلما فرغت قال للترجمان : قل له هذا الذى  
وصفته ما هو فى بغداد ؟ قلت : نعم ، قال : أنا أجىء واقيم خليفة يكون  
بهذه الأوصاف ، ثم ردنا بغير جواب « (١١٦) » .

والواقع أنه بالنسبة لتقديم الخليفة الناصر لدين الله لسبيل  
جلال الدين حسن ، فيبدو أنه من قبيل الدعاية والتشجيع لصاحب  
الاسماعيلية ، وذلك بمعاملته معاملة خاصة اكراما وتقديرا له ولأتباعه  
لأنهم نبذوا لأول مرة فى تاريخ هذه الطائفة معتقداتهم الدينية الى  
المذهب السنى ، فاذا قام الخليفة العباسى بتقديم قافلته على أصحاب  
السلطان الخوارزمى ، فان ذلك لأن الناصر أراد أن يجعل اعتناهم  
للمذهب السنى مشهورا ومعلوما على نطاق واسع بين الناس . هذا من  
ناحية ومن ناحية أخرى ، فقد كانت قافلة صاحب الاسماعيلية ضمن  
حجاج أهل العراق أى ضمن قافلة الخليفة نفسه (١١٧) .

**ثانيا : حاول السلطان علاء الدين محمد أن يخلق الأسباب لمعاداة  
الخليفة العباسية ، ومنها أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد خطب  
لولده الظاهر بأمر الله بولاية العهد فى صفر سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ،  
لكنه أسقط الخطبة له فى جمادى الآخرة سنة ٦٠١ هـ بحجة عجزه عن**

---

« (١١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

« (١١٧) الغامدى : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

القيام بولاية العهد ، فلما اسقطت خطبته فى سائر الافاق رفض خوارزم شاه اسقاطها ، وقال « قد صح عندى توليته ، ولم يثبت عندى موجب عزله وجعل ذلك حجة لطروق العراق بالعساكر ليرد خطبته » (١١٨) .

**ثالثا :** قام علاء الدين محمد بتأييد بعض حركات التمرد والعصيان ضد الخلافة العباسية ، فعندما عصى بعض مماليك الديوان « ديوان الخلافة » فى سنة ٦٠٨ هـ واستجاروا به اعانهم على عصيانهم ولكن الخليفة الناصر لدين الله أرسل الى مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل يعرفه ذلك واستنجد بعسكر الملك الأشرف وغيره فتمكن من قمع ذلك التمرد (١١٩) .

**رابعا :** اكتشف علاء الدين خوارزمشاه محمد وثائق فى دار محفوظات مدينة غزنة ، وبعد انتصاره على الغوريين سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م تفيد وجود مراسلات بين الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الغورية يحرضهم فيها على ضرورة مهاجمة الخوارزميين ، لذلك لى الغوريون نداءه وحاربوا خوارزمشاه كما سبق أن ذكرنا (١٢٠) .

**خامسا :** وجد خوارزمشاه رسائل أخرى فيها تحريض من الخليفة الناصر لدين الله الى الأتراك الخطا يحرضهم على مهاجمة الخوارزميين بل ويعدهم بتأييد سلطانهم على البلاد الاسلامية التى يقتطعونها لأنفسهم من البلاد الخوارزمية ، كما أرسل اليهم الهدايا والخلق عربونا لصدائقته وليس أدل على ذلك من الكتاب الذى أرسله جلال الدين منكبرتى بن

---

(١١٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ حوادث سنة ٦٠١ هـ .

(١١٩) العيود : نفسه ، ص ٩٦ نقلا عن الحموي : التازيخ المظفرى ، ص ٢٧١ .

(120) D'ohsson. «Histoire des mongols» vol I, p. 185

Juwaini «op - cit» p. 97.

خواندمير : حبيب السبر ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ .

علاء الدين خوارزم شاه الى المعظم عيسى صاحب دمشق يحرضه فيه على غزو أملاك الخلافة ، فقد جاء فى هذا الكتاب ما يلى :

« تحضر أنت ومن عاهدنى فنتفق حتى نقصد الخليفة ، انه كان السبب فى هلاك المسلمين وفى هلاك أبى وفى مجيء الكفار الى البلاد ، ووجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعى لهم بالبلاد والخلع والخيال » (١٢١) •

**سادسا :** اعتقد خوارزم شاه محمد بأن الخليفة الناصر كان هو المحرض الأول لسعد بن دكا أنابك فارس واوزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان على الاستيلاء على العراق العجمى لذلك رأينا جهود علاء الدين محمد فى سبيل استعادة هذه المنطقة وضمها الى نفوذه قبل أن يتوجه للاقامة الخلافة فى عقر دارها

**سابعا :** ارسال الخليفة الناصر لبعض فدائى الاسماعيليين الى مكة المكرمة لقتل شريف مكة ، بسبب خلاف كبير بينه وبين الخليفة ، لكن الاسماعيليين أخطأوا وقتلوا أخاه بمنى» (١٢٢) •

ويعلق ابن الأثير على هذا الحادث بقوله « أن قتادة حاكم مكة لما سمع بما فعله الباطنية فى آل بيته » جمع الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكة ، وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموه بالحجارة والنبل » (١٢٣) •

لذلك ساء حال حجاج المسلمين ، خاصة قافلة العراق التى كان

---

(١٢١) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٧ •

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ •

Juwaini «op - cit» vol II, p. 491. (122)

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٠٥ حوادث سنة ٦٠٨ هـ •

بها أهل العراق ، وحجاج الباطنية الذين اعتنقوا مذهب السنة على يد جلال الدين حسن ، ومعهم أم شيخ الجبل ، فما كان من هؤلاء الحجاج الا أن انتابهم الخوف والقلق وقرروا أن يلجأوا الى « منزلة حجاج الشام » فحملوا أغراضهم على جمالهم ، ومن نجا منهم توجه الى حجاج الشام ، ومع ذلك عادت هذه القافلة بأسوأ حال الى بغداد •

الا أن قتادة أرسل بعدها وفدا على رأسه ابن له وجماعة من رجاله الى بغداد ليقدّموا الاعتذار للخليفة « فدخلوها ومعهم السيوف مساولة والأكفان ، فقبلوا العتبة ، واعتذروا عما جرى على الحجاج » (١٣٤) •

لذلك اتخذ خوارزم شاه من هذه الحادثة سببا أيضا لتوجيه ضربته للخلافة العباسية ، الا انه لا يعلم لماذا يتحرك خوارزم شاه من أقاصى بلاده ليحارب الخلافة من أجل أخو شريف مكة •

بل ان خوارزم اتخذ موقفا ايجابيا بأن قرر عزل الخليفة العباسي ، وأشار الى أن بنى العباس اغتصبوا الخلافة من العلويين وتقاعسوا عن القيام بواجبهم الجهادي ، بل انه « أمر الخطيب بنيسابور بترك الخطبة للخليفة • وقال انه قد مات ، ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارى وسرخس » (١٣٥) معنى ذلك أنها لم تقطع بخوارزم •

نأمنّا : بعد قيام علاء الدين بعزل الخليفة ووقف الخطبة له في بلاده عزم على اعتناق المذهب الشيعي ، وتنصيب خليفة علوي في بغداد وجمع رجاله وعلماء الدين في بلاده ، من أجل أن يكسب عمله صفة شرعية وليحملهم على الاعتراف بأن العباسيين ليسوا أصحاب الحق الشرعي في

---

(١٢٤) نفسه ، ص ٢٠٦ •

(١٢٥) ابن الاثير ، نفسه ، ص ٣١٣ حوادث سنة ٦١٤ هـ •

C Barthold : «Turkestan down to the mongol invasion» p. 375.



الخلافة ، وانهم اغتصبوها من العلويين أصحاب الحق الشرعى فيها<sup>(١٢٦)</sup> . وانهم أهملوا واجبههم الدينى فى دفع الخطر عن ديار الاسلام ، واهملوا اهم واجباتهم<sup>(١٢٧)</sup> .

والحقيقة أن هذا الرأى الذى أورده المؤرخون الفرس حول تحول السلطان محمد الى المذهب الشيعى ، يعتبر رأيا عربيا. إذ أن الخوارزميين من الأتراك ، وهم من أشد الناس تمسكا بالمذهب السنى ، ولا يميلون مطلقا الى المذاهب الشيعية ، وربما أن المؤرخين الفرس قد وضعوا عليه هذه الأتوايل .

وقد ذكر المؤرخون الفرس أن خوارزم شاه قد عين شخصا علويا فى منصب الخليفة من مدينة ترمذ يدعى علاء الدين الترمذى سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م<sup>(١٢٨)</sup> .

ويرى الدكتور الغامدى أنه لا الجوينى ولا واحدا من أولئك الذين نقلوا روايته قد ذكر أى معلومات اضافية عن علاء الملك الترمذى ذلك الخليفة الشيعى المزعوم ، فلا نجد معلومات عن تعيينه ولا عن مكان تعيينه ولا عن مكان وجوده فيما بعد كخليفة<sup>(١٢٩)</sup> .

ومع ذلك فيذكر الدكتور حافظ حمدى أنه قد خطب لهذا الخليفة العلوى على منابر الدولة الخوارزمية ، وصك اسمه على السكة بعد أن قطع الخطبة للخليفة الناصر فى أنحاء الدولة الخوارزمية ، وقد سرر الشيعيون فى بلاد فارس أيما سرور بهذا النصر المبين الذى أحرزوه ، وظنوا أن الوقت قد حان لقلب الخلافة السنية ، وأقامة خلافة علوية

---

(126) D'ohsson «Histoire des mangosa» T. I, p. 189.

(127) Juwaini «op - cit» p. 391.

(128) Barthold : «op - cit».

بعد ستة قرون من وفاة الرسول ، قضوها فى جهاد مستمر ومحاولات  
يائسة لتحقيق هذا الغرض (١٣٠) •

وقد عرضت مسبقا لدور علاء الدين محمد فى الاستيلاء على العراق  
العجمى ، وبذلك نرى أن سلطان الشاه الخوارزمى أصبح واسعا حيث  
شمل أراضى الغور ، والخطا وبعضا من قلاع الاسماعيلية والعراق  
العجمى وفارس ، لذلك أصبح على السلطان قوى الشكيمة ولا يقل عن  
بقية العناصر الأخرى التى نجحت فى الماضى فى الوصول الى قلب بغداد ،  
بعد أن استولى على نفس المناطق التى استولى عليها من قبل البويهيين  
والسلاجقة •

وللأسباب السابقة مجتمعه سواء أصبحت جميع عناصرها أم أن  
هناك بعض منها قد دس على الخليفة الناصر لدين الله ، فقد قرر السلطان  
علاء الدين محمد ضرورة مهاجمة بغداد عاصمة الخلافة العباسية •

### الترتيبات التى أعدها السلطان الخوارزمى قبل غزو العراق :

انفرد المؤرخ النسوى فى سيرته للسلطان جلال الدين منكبرى  
فى كلامه عن الاستعدادات والترتيبات التى بدأ بها السلطان علاء الدين  
محمد قبل خروجه الى العراق •

**أولا :** قرر السلطان أن يضرب له على باب نوبة ذى القرنين  
بدلا من النوب الخمس التى كانت تدق فى أوقات الصلوات الخمس  
أسوة بسائر السلاطين (١٣١) • وقرر هذه النوب الخمس الى أولاده  
السلاطين •

---

(١٣٠) حافظ حمدى : المرجع السابق ، ص ٣٨ •

(١٣١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٦٥ •

وكانت نوبة ذى القرنين تنضرب فى وقت طلوع الشمس وغروبها  
فاستعمل سبعة وعشرين دبدبة من الذهب رصعت مضاربها بأنواع  
الجواهر (١٣٢) .

وقام بتنظيم أحوال بلاد ما وراء النهر وهى التى نجح فى  
الاستيلاء على مدنها من الأتراك الخطا ، فأقر الملك تاج الدين بلكاخان  
صاحب أترار فى مدينة نسا ليقوم بها (١٣٣) .

وعين على خوارزم الخطيب برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز  
البخارى المعروف بصدر جهان رئيس الحنفية ببخارا وخطيبها (١٣٤) .

كما وجه الى شيوخ الاسلام بسمرقند جلال الدين وابنه شمس الدين  
وأخاه أوحى الدين الى نسا تحرزا من قيامهم واطفاء لعذابهم وكانوا  
سادات الأرض آدابا بارعة وأقداما لاعلام العلوم قارعة (١٣٥) .

كما قرر علاء الدين محمد خوارزمشاه تقسيم ملك بلاده بين أولاده  
قبل خروجه الى العراق ، فعوض خراسان وخوارزم ومازندران الى  
ولى عهده قطب الدين أزلاغ شاه ، وسبب تفضيله على اخوته الكبار  
جلال الدين منكبرتى وركن الدين غورشايجى « اتباع السلطان رأى  
والدته ترکان خاتون ، وتحرية مرضاتها » (١٣٦) .

---

(١٣٢) النسوى : نفسه .

(١٣٣) نفسه ، ص ٦٦ .

(١٣٤) نفسه ، ص ٨ .

(١٣٥) نفسه ، ص ٧٠ .

(١٣٦) نفسه ، ص ٧١ عاد علاء الدين محمد خوارزمشاه فعزل عن  
وصيته وهو على فراش الموت سنة ٦١٢ هـ / ١٢٢٠ م وأوصى بولاية العهد  
لابنه جلال الدين منكبرتى من بعده لثقتة فى شجاعته من جهة ولأن أمه  
ترکان خاتون قد وقعت أسيرة فى أيدي المغول من جهة أخرى .

( م ١٠ — التاريخ السياسى )

وقد عين ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي على ملك غزنة وباميان والغور وبست وتكياباد وزمين داور وما يليها من الهند • ولكن جلال الدين استناب عنه كربور ملك فنهض بها وضبطها •

قد ظل هذا النائب مقيما بها حتى عودة جلال الدين الى الهند عند غزو التتار لبلاده • وقام بتعيين ابنه غياث الدين بيرشاه على كرمان وكيش ومكران واستوزر له الصدر تاج الدين بن كريم الشرف النيسابوري • وعين على العراق العجمي ابنه ركن الدين غورشايجي واستوزر له عماد الملك محمد بن الشديد الساوي (١٣٧) •

وقد اتجه علاء الدين محمد خوارزم شاه بعد كل هذه الترتيبات وبعد أن دانت له كما أوضحنا بلاد الغور وأراضى الخطا وبعض قلاع الاسماعيلية ، والعراق العجمي خاصة فارس وأذربيجان • واتجه صوب العراق العربي أى ناحية الخلافة العباسية فى بغداد •

ويؤكد النسوى أن السلطان علاء الدين محمد « سير أمامه من العساكر ما غصت به البيداء ، وضاقَتْ برحبها عن ضمها الفلا » (١٣٨) •

وتقدم الجيش فى المسير حتى وصل الى قلعة سد أباز ، وهناك حدثت مفاجأة مناخية ، حيث كانوا فى بداية فصل الشتاء فهبت عليهم الأمطار والثلوج التى شلت حركة الجيش « فطمت الأباطح والاعلام ، وغطت الحزاكى والخيام » (١٣٩) ، وقد استمرت الأمطار والثلوج ثلاثة أيام متوالية لم تتوقف •

---

(١٣٧) النسوى : المصدر السابق ، ص ٧٢ — ٧٣ •

(١٣٨) النسوى ، ص ٦٤ •

(١٣٩) نفس ه ، ص ٦٤ •

أما السيوطى فيقول ان بعض خواص علاء الدين خوارزم شاه قالوا فى هذه المناسبة أى حين هلت به الهزيمة « ان ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة » . السيوطى . تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٨ •

ويذكر النسوى تعليقا شعريا على هذا الموقف الصعب جاء على لسان الشاعر الشاشى يقول :

نثر السحاب من السماء دراهما وكسا الجبال من الحواصل ملبسا  
والرياح باردة الهبوب كأنها أنفاس من عشق الحسان وأفلسا

وقد عملت الامطار والثلوج على هلاك معظم رجال خوارزمتياه  
علاء الدين محمد ، ودوابه ، « وصارت الأرض كأنها ببياضها سوداء ،  
وشمل الهلاك خلقا كثيرا من الرجال ، ولم ينج شئ من الجمال » (١٤٠) .

لذلك اضطر علاء الدين محمد الى العودة الى بلاده ومعه البقية  
الباقية من جيشه ، ويؤكد النسوى مؤرخنا الثقة فى هذا الموضوع على  
أن علاء الدين محمد قد ندم على فعلته هذه فى حق خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حتى أنه اضطر لمقابلة الشيخ السهروردى وبعث  
به الى دار الخلافة « مستشفعا بالله منذرا ، وعن البغى محذرا » (١٤١) .

وقد اتفق رأى النسوى مع رأى بن الأنير فى أن من يتجراً على  
حرمة الخلافة يخسر الدنيا والاخرة لان بيت الخلافة « يؤيده الله  
بملائكة سمائه وله سر فى ادامته وبقائه » (١٤٢) .

ويعارض المؤرخ بارتولد هذا الرأى ، معتقدا أن ما فعله السلطان  
الخوارزمى لم يكن الا تحت وطأة الهزيمة ، ومحاولة لارضاء أهل البلاد ،  
الا أنه كان يضمّر فى نفسه غير ما يظهر (١٤٣) . ولكننا نرى أن الرأى

---

(١٤٠) النسوى ، نفسه .

(١٤١) نفسه .

(١٤٢) نفسه ، ابن الأنير حيث يقول أن البيت العباسى لم يقصده  
أحد بأذى الا لقيه فعله ، وخبث نيته . ج ٩ ، ص ٣١٣ حوادث سنة ٦١٤ هـ

(143) Barthold : «op - cit» p. 375.

الاول هو الرأى الارجح ، وذلك لان هبة الخلافة كانت ولا زالت تملأ قلوب الناس ، وخاصة جيوش خوارزم شاه الذين كان جلهم من الاثراك المتعصبين للمذهب السننى الحنفى ، أما بقية الجيش من الشيعة ، فقد كانوا وبلا شك يتمنون زوال الخلافة العباسية وعلو نجم المذهب الشيعى .

ولعل عودة السلطان علاء الدين محمد فى هذه الصورة الى نيسابور جعلته يقرر تنظيم الامور ، فكان أول خبر وصله عند وصوله الى نيسابور هو موت والى كرمان مؤيد الملك قوام الدين ، لذلك قام بتعيين ابنه غياث الدين بيرشاه على كرمان وكيش ومكران (١٤٤) .

ومما يدل على عظم الخسائر التى منى بها علاء الدين محمد أنه قد فتت معظم جماله بالعراق ، لذلك فقد قدم له نيسابور « أربعة آلاف من النجاشى التركيات » (١٤٥) .

وقام السلطان الخوارزمى بعد عودته أيضا بعزل نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح عن الوزارة لما عرفه عنه من سوء الافعال والأعمال .

### السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والسلطنة الأيوبية

نحن ما زلنا نجول فى الدور الذى لعبه خوارزم شاه مع جميع القوى المحيطة به .

ومن أهم القوى الدولية التى لها وزنها فى العالم الاسلامى هى قوى الأيوبيين فى مصر والشام .

---

(١٤٤) النسوى ، ص ٧٤ .

(١٤٥) نفسه ، ص ٧٥ .

فقد نجح صلاح الدين الأيوبي — الذى ظهر فى فترة هامة من تاريخ العالم الاسلامى فى توحيد العالم الاسلامى فى جبهة متحدة تمتد من الفرات الى النيل • فقام بالقضاء على الخلافة الفاطمية فى مصر وأعاد الديار الاسلامية الى حوزة الخلافة العباسية السنية فى بغداد سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م<sup>(١٤٦)</sup> • فحقق بذلك للعالم الاسلامى وحدته المذهبية • ووضع الوجود الصليبي الذى كان يسيطر على أجزاء من بلاد الشام بين شقى الرحى وقضى على كل اطماعهم التوسعية وكانت بداية النهاية للوجود الصليبي فى بلاد الشام<sup>(١٤٧)</sup> •

والثابت تاريخيا أن الدولة الأيوبية التى أجهد صلاح الدين الأيوبي نفسه فى اقامتها تعرضت للكثير من المشاكل سببها أفراد البيت الأيوبي من الأبناء والاخوة حتى تمكن أخاه الملك العادل ٥٨٩ — ٦١٥ هـ من السيطرة على مصر والشام ، وتقسمت بقية المملكة الى سبعة أقسام رئيسية استقل بعضها استقلالاً تاماً عن مصر وخضع لها البعض الآخر خضوعاً اسمياً<sup>(١٤٨)</sup> •

وقد عاصر السلطان الملك العادل الأيوبي السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه السلطان الخوارزمي الذى نجحت الدولة الخوارزمية فى عهده فى السيطرة على بلاد ما وراء النهر وإيران والعراق العجمي ، ويبدو أن الملك العادل الأيوبي أدرك قوة خوارزم شاه علاء الدين فرغب فى اقامة علاقة ود وصداقة معه ، كما أن خوارزم شاه نفسه كان

---

(١٤٦) من ذلك انظر ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٥٦ •

أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٣ •

ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ، ص ٢٠٠ •

(١٤٧) عن جهاد صلاح الدين للصليبيين انظر ما سبق •

ابن ابيك : الدرا المطلب •

المقربى : السلوك ج ١ قسم ١ •

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ق ١ •

(١٤٨) العبود : ص ١٥١ •

يرغب فى مصادقة الملك العادل ، وكسبه كحليف له بعد فشله فى غزو بغداد سنة ٦١٤ هـ / ١١٢٧ م (١٤٩) .

ويمكن القول ان بداية العلاقات السياسية بين الدولتين الخوارزمية والايوبية بدأت سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م قبل وفاة العادل فقد وصل رسول خوارزم شاه محمد الى الملك العادل وهو بمرج الصفر (١٥٠) ، ولم تذكر المصادر عن الغاية التى قدم بها هذا الرسول ومن الراجح أن تكون غايته إقامة علاقة ودية بين الجانبين لأن الملك العادل بعث بالجواب الى خوارزمشاه فأوفد اليه جمال الدين محمد الدولعى الشافعى خطيب دمشق ، ونجم الدين خليل بن على الحنفى قاضى العسكر ، وكان خوارزم شاه انذاك فى همذان ، وعندما وصل الرسولان لم يلتقيا به بسبب مغادرته المدينة الى بخارى لمجابهة الخطا والمغول ، ومع ذلك فانهما اجتمعا بولده جلال الدين منكبرتى الذى أبلغهما بوفاة الملك العادل فرجعا الى دمشق دون أن تتحقق مهمة لقاءهما بخوارزم شاه علاء الدين محمد (١٥١) .

وهكذا شاعت الظروف أن يموت الملك العادل سنة ٦٦٥ هـ / ١٢١٨ م فشغل خوارزم شاه بمشاكله وفى مقدمتها الغزو المغولى وكان لذلك أثره فى عدم تطور العلاقات بين الخوارزميين والأيوبيين خلال عهد علاء الدين محمد .

---

(١٤٩) العبود ، ص ١٥١ .

(١٥٠) نفسه ، نقلا عن أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(١٥١) نفسه ، ص ١١٠ .



## المغول

المغول شعب بدوى ينقسم الى عدد من الطوائف والقبائل العديدة تسكن اقليم منغوليا الذى هو جزء من هضبة آسيا المركزية والشرقية وكانت هذه القبائل البدوية لا تعرف معنى الحضارة ، بل كانت قبائل نصف وحشية ، ولم تكن لهم سابقة بمدنية أو حضارة ، ولشدة بداوتهم كانت كل قبيلة من تلك القبائل تكون وحدة متماسكة من ناحية الجنس واللغة ويرأسها رئيس يحمل لقب نويان تطيعه وتأنثر بأمره ، ولذلك كانت حياتهم فطرية بدائية بسيطة لا يتسرب اليها التعقيد ، وكانوا يقضون معظم أوقاتهم فى المنازعات القبلية وفى البحث عن منابت العشب والكلأ (١٥٢) .

لابد لنا أن نعرف أن الظروف الجغرافية فى هذا الإقليم قد جعلت منه اقليما قفرا ، فان الجبال المحيطة بهذه الهضبة تمنع عنها الرياح الدافئة الممطرة فى فصل الصيف ، وأما فى فصل الشتاء فنرى مناخها شديد البرودة وكان من أثر ذلك أن انعدمت الزراعة فى أكثر جهاتها ، بحيث لم تشاهد الا فى أماكن متفرقة . وهكذا نرى أن ظروف البيئة تملى على سكان هذه البلاد أن يعيشوا عيشة رعوية ، وأن ينتقلوا من مكان الى آخر سعيا وراء الرزق (١٥٣) .

وقد عاش المغول هذه الحياة المناخية القاسية ، حيث كانوا يحتلون المنطقة الواقعة بين بحيرة بيكال فى الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا فى الشرق (١٥٤) . ولذلك استدعت حياتهم الصعبة ضرورة الاغارة على الممالك المتمدنية فى الصين وما وراء النهر وايران .

---

(١٥٢) عبد السلام فهى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، ص ٩ .

(١٥٣) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ، ص ١٠٨ .

العرينى : المغول .

(154) Lamb «Genghis Khan». p. 25.

Haworth «History of the Mongal's» vol IV. p. 14—27.

ويذكر رشيد الدين أن مجموع أقوام الأتراك والمغول لم يكن لهم مطلقا ملك قهار جبار يستطيع أن يحكم هذه الطوائف ، فكان أفرادها يتنازعون ، ويتصارعون ويحارب بعضهم بعضا ، وبالرغم من أنه كان لكل قبيلة ملك أو أمير ، فإن أفراد هذه القبيلة كانوا لا يخضعون له ولا يأترون بأمره .

ولما كان أهل الخطا يجاورون هذه القبائل ، ويتعرضون من آن لآخر لخاراتهم كانوا يعيشون دائما في فزع منهم ، ويبذلون من الجهود والاحتياطات ما يدرأون به شر هذه القبائل المتبربرة ، فأقاموا سدا مثل سد الاسكندر يفصل بين ولاية الخطا وبين تلك الأقوام (١٥٥) .

وليس من المعقول أن يستقر الكيان السياسى فى هذه البلاد وهى على هذه الحال من الفوضى السياسية ، والاضطراب الاجتماعى وكانت الحالة هناك تستلزم ظهور شخصية قوية توحد القبائل المغولية أولا وتسيطر على سائر القبائل المبعثرة هنا وهناك ثانيا . ولم تكن هذه الشخصية الا شخصية شاب مغولى مات أبوه وهو فى الحادية عشرة من عمره ، وكان من أثر وفاة أبيه وهو فى هذه السن المبكرة أن انفضت من جولة القبائل المغولية التى كانت خاضعة لحكم أبيه وظل هذا الفتى شريدا تتلقفه أيدي من يشفق عليه من اصدقاء أبيه حتى اذا ما بلغ السابعة عشرة بدأ نجمه يلمع اذ استطاع بفضل ذكائه وحنكته أن يجتذب اليه كبار رجال المغول من أتباع أبيه حتى اذا ما اتنع أفراد عشيرته بالانضواء تحت لوائه عول على اخضاع القبائل المنتشرة فى صحراء جوبى (١٥٦) .

وقد كان اسمه أول الأمر تموجين وهو أكبر أولاد أبيه وأكبرهم وأفضلهم وعندما صار ملكا على المغول سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م وبلغت

(١٥٥) رشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(١٥٦) حافظ حمدى ، ص ١٠٩ .

سنه الواحدة والخمسين، وقتل ملك النايمن ، لقبه بلقب جنكيزخان (١٥٧) .  
أى أعظم الحكام أو امبراطور البشر واتخذ بعد ذلك مدينة قوة قورم  
عاصمة لملكه .

والحقيقة أن التلقبات التى صادفها جنكيزخان فى شبابه وانتصاراته  
والحن التى مر بها فى حياته ، ومقاومته للمناخ القاسى وما فيه من  
برد قارس وحرارة خانقة ، ومقدرته على تحمل آلام الجوع والحرمان  
لعدة أيام وعدم اهتمامه بما يصيبه من جروح وآلام أو بسوء معاملته  
فى أوقات الضعف والهزيمة كل ذلك قد أكسبه قوة على تحمل الشدائد  
والصعوبات وصنع منه رجلاً صلباً حديدياً أدهش العالم (١٥٨) .

وفى ظل هذه الحياة القاسية ، بدأ يظهر جبروت جنكيزخان ويطشع ،  
ولقد أجاد فن الرماية ومهر فى الصيد واشترك فى حلبات سباق الخيل  
واتقن المصارعة وتفوق على أقرانه (١٥٩) .

وقد نجح جنكيزخان فى الاستيلاء على الأراضى الصينية وضم  
قبائل الكرايت والنايمن . وبعدها قرر جنكيزخان ضرورة القضاء على  
عدوه القويم كسلو خان الذى فر من أمامه من قبل ، فبعد أن وطد سلطانه  
فى شرق آسيا لاختضاع القبائل المتمردة التى دخلت فى طاعة دولته  
كسلو خان أرسل قائده سوبوتاي Suboutai لاختضاع قبائل المركيت التى  
انضمت الى بلاد كسلو خان ، كما أرسل قائده شى Chépe أو شى نويان  
للبحث عنه واحتضاره حياً أو ميتاً (١٦٠) .

(١٥٧) فؤاد الصياد : المغول ، ص ٤٠ .

(١٥٨) نفسه .

(١٥٩) نفسه ، ص ٤٥ .

(١٦٠) مير خواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

ولفظ نوين No'yen كما ورد فى المرجع الصينى المعروف باسم  
Yuashi لقب معناه أمير أو سيد أو قائد ، انظر تفسير ذلك فى :  
Bretschneider: op - cit vol I, p. 233 note 592,  
Howorth «op - cit» p. III, p. 88.

سبع الأعشى ج ٤ ، ص ٤٢٥ .

« ويجب أن نعرف أن جنكيزخان لم يكن غافلا عن عدوه اللدود كشلو فيتركه يقوى ويشتد ساعده ليعود ويهاجمه للاخذ بثأر أبيه ، واذا كان قد صبر عليه بعض الوقت ، فما ذلك الا لأنه كان مشغولا بحروبه في الصين •

تمكن سوبوتاي من هزيمة قبائل المركيت ، وأبادهها عن آخرها ، أما شبي نويان فإنه سار الى كاشغر واستولى عليها بسهولة ، وفر كشلوخان ولم يحاول مواجهة المغول في معركة حاسمة ، وصار يتنقل من مكان لآخر والمغول يتعقبونه وانتهت دولته وتحطمت آماله وصار جبه نويان سيد المنطقة ، وحاكمها ، وكان أول ما فعله الحاكم المغولي جبه نويان أن أطلق الحرية الدينية لجميع السكان ، فتنفس المسلمون الصعداء واستقبلوا المغول كمحررين لبلادهم ، أما كشلوخان فإنه هام على وجه فرار من المغول الذين جدوا في طلبه ، وتمكن بعض الصيادين من اعتقاله وسلموه الى المغول فقتلوه على الفور ، وبعثوا برأسه الى جنكيزخان في قره قورم ، ثم أعملوا السيف في كل من وجدوه من طائفة النايماح حتى قضى عليهم جميعا سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (١٦١) • وعلى حد قول النسوي « تركهم جزرا للسيوف القواطع وطمعا للنسور الجوامع » (١٦٢) •

وتتمت سيطرة المغول بعد مقتل كشلوخان على جميع القبائل التركية التي كانت تخضع للقره خطائيين ، واحتلوا مناطق أخرى كان كشلوخان قد ضمها الى دولته ، وكان لانتصار المغول على غريمهم كشلوخان نتائج هامة وسريعة أهمها على الاطلاق دخول جميع القبائل

---

(١٦١) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٥٥ •

Bretschinder «op - cit vol I, p.233.

وقد اخطأ النسوي في اسم القائد فذكره على أنه دوشى خان ما يعرف باسم جوجى بن جنكيزخان لأن قائد الحملة هو شبي نويان •

عبد السلام فهمى : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٤٦ •

(162) Cam. Med. Hist. vol IV. p. 633—643.

التركية تحت السيطرة المغولية ، وكذلك مجاوزة جنكيزخان بهذه القوة  
النامية الرهيبة أملاك الدولة الخوارزمية فأصبح الاصطدام متوقعا بين  
الطرفين فى كل لحظة مادامت أسبابه ودوافعه متوفرة عندهما والمتمثلة  
فى مطامع جنكيزخان ورغبته فى التوسع<sup>(١٦٣)</sup> .

### المغول والخوارزميون

لقد أوضحنا الآن أن أملاك الخوارزميين جاورت ممتلكات المغول ،  
هذا فى الوقت الذى كانت فيه القوة غير متكافئة والظروف التى تعيشها  
الدولتين مختلفة .

فقد خرج جنكيزخان بالفتح بعد أن نظم دولته وحدد قوانينها  
وعرفها فى الوقت الذى كانت فيه قوى السلطان علاء الدين محمد  
خوارزمشاه مشتتة فى اتجاهات كثيرة ، فقد كان هذا السلطان الخوارزمي  
ميالا للسلطة والسيطرة وإضافة الممتلكات ، وتأسيس امبراطورية على  
حساب القوى الاسلامية وغير الاسلامية .

وقد حاول بعض المؤرخين القدامى والمحدثين صب اللوم على  
ال خليفة العباسى الناصر لدين الله ، على أنه هو الذى حرّض المغول  
على غزو الأراضى الخوارزمية ورأى أن جنكيزخان الذى ذاع صيته فى  
شرق آسيا وغربها هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يرد السلطان الثائر  
الى صوابه ، فلم يتردد فى أن يستعين به على عدوه الخوارزمي<sup>(١٦٤)</sup> .

وقد أيد بن الأثير هذه الرواية بقوله « وقيل فى سبب خروجهم الى

---

(١٦٣) النسوى ، ص ٤٦ .

(164) Curtin « The mongols history » p. 99.

بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر فى بطون الدفاتر ، فكان مما نسيت  
أذكره فظن خير ولا تسأل عن الخبر » (١٦٥) .

وهناك من المؤرخين من فسروا القول أيضا باتهام الخليفة الناصر  
ومنهم ابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ فى تاريخ الدول والملوك . ونسج  
ميرخوند المؤرخ الفارسى الذى عاش بعد ابن الفرات بقرن من الزمن  
نسج على هذا الاتهام ورتب طريقة اتصال الخليفة بالمغول بواسطة رسول  
خلق رأسه وكتبت عليه الرسالة ثم أرسل بعد نمو شعره (١٦٦) .

وقد أيد أبو الفدا هذه الرواية أيضا (١٦٧) كما أيدها المقرئى بقوله  
« وفى خلافته » الناصر « خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا الى  
همدان . وكان هو السبب فى ذلك ، فانه كتب اليهم بالعبور الى البلاد  
خوفا من السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه لما هم بالاستيلاء على  
بغداد وأن يجعلها دار ملكه كما كانت السلجوقية » (١٦٨) .

وهناك من المؤرخين المحدثين من يؤيد فكرة استدعاء الخليفة  
الناصر لدين الله للمغول ومنهم من يرفض هذه الفكرة مطلقا .

فمن من المؤرخين المسلمين يقف الاستاذ حافظ حمدى مؤيدا لفكرة  
استدعاء الخليفة للمغول فيقول « ولا يسعنا الا أن نصدق فكرة استدعاء

---

(١٦٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٢٩ — ٣٣٠ ووصف هذه  
الحرب بالكارثة التى لم يصب العالم الاسلامى بمثلها حتى أنه تردد فى ذكرها  
لأنه كما يقول كان ينعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك  
فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . حوادث  
سنة ٦١٧ هـ .

(١٦٦) محمد صالح القزاز : الحياة السياسية فى العراق ، ص ٢٨ .

(١٦٧) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .

(١٦٨) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

الخليفة للمغول بعد أن علمنا أن سلطان الخليفة كان قباب قوسين أو أدنى من الفزول وإن الخليفة لم يجد طريقاً يوصله إلى الحد من نفوذ الخوارزميين إلا سلكه ، فحاك حولهم الدسائس والفتن ، وألب عليهم أعداءهم من العناصر المحيطة بدولتهم وأثار كل ذلك متاعب جمّة للخوارزميين ، ولولا انشغال علاء الدين خوارزم شأه بتلك المتاعب لاستطاع الخوارزميون حتماً أن يسقطوا الخلافة العباسية» (١٦٩) .

ويؤكد أيضاً على أن فكرة استعانة الخلافة العباسية بالعناصر الخارجية لتثبيت أقدامها فكرة نهج عليها الخلفاء العباسيون في ظروفه كثيرة ، فقد استدعى الخلفاء بنى بوية ليخلصوهم من استبداد الأتراك واستجدوا بطغرل بك السلجوقي على البساسيري ، بل استعانوا الخوارزميين في القضاء على سلاجقة العراق (١٧٠) .

كما أيد هذه الرواية أيضاً بعض المؤرخين الأوروبيين مثل دوسون وهورث وبراون وكيرتن ، وميور وجرينار وهارولد لام على أن الأخير انفرد بذكر الحقيقة التالية وهي أن الخليفة عرض على جنكيزخان استعداده لمهاجمة الدولة الخوارزمية من الغرب إذا هو هاجمها من الشرق (١٧١) .

أما الدكتور القزاز فيرفض هذه الفكرة ويقول « انى لا أتفق مع الذين ذهبوا في تفسيره إلى اتهام الخليفة الناصر لدين الله باتصاله بالمغول ودعوته لهم بمهاجمة الخوارزميين ويرى » أن هذا الاتهام ينصرف إلى تقصير الخليفة الواضح وعدم تقديره لمسئوليّاته كخليفة

(١٦٩) حافظ جهدى : الدولة الخوارزمية ، ص ٤١ .

(١٧٠) نفسه ، ص ٤٢ .

(١٧١) نفسه ، ص ٤١ .

للمسلمين وتقاعده المتعمد عن الخطر الذي هدد البلاد بعد أن أعماه الحقد على خوارزمشاه فسهل بذلك على المغول القضاء على هذه الامارة الاسلامية مع استحالة اتصاله بالمغول في ذلك الوقت (١٧٢) .

وسواء أصح الرأي الأول أم الثاني الا أن الحقيقة تثبت أن هناك قوى بدأت تلفت نظر المغول الى القوة الكبيرة التي تجاور حدودهم وهي قوى الخوارزمية .

ولعل البداية الأولى للقاء المغولي الخوارزمي كانت قد تمت بمحض الصدفة وذلك لأن السلطان محمد كان يقيم في بخارى وسمرقند وبعدها تحرك ناحية صحراء القرغيز حيث تسكن قبائل القبجاق الواقعة الى الشمال الشرقي من حدود سلطنته ، وهو في طريق عودته تقابل مع فرقة من الجيش المغولي بقيادة جوجي بن جنكيزخان .

وقد ذكر الجويني أن السلطان محمد عزز جيشه بقوات اضافية بلغت ما يقرب من ستين ألفا في حين كان الجيش المغولي حوالي عشرين ألفا وكان غرض السلطان محمد من مواجهة المغول على حد قول الجويني « بأنه سوف يصطاد فريستين بسهم واحد » (١٧٣) .

والثابت تاريخيا أن جوجي بن جنكيزخان كان يقوم بمحاربة المركيت رغبة في القضاء عليهم ، وفعلاً نجح في ذلك ، وأثناء عودته لاحقته قوات السلطان الخوارزمي (١٧٤) .

وكانت الأوامر التي كان قد تلقاها جوجي من الخاقان الأعظم في قراقورم هي ألا يدخل في حرب مع المسلمين ، لذلك بعث برسالة الى

---

(١٧٢) القزاز ، ص ٢٨ .

(173) Juwaini « op. - cit ». vol II, p. 370.

(174) Juwaini « Ibid ».



السلطان علاء الدين محمد يقول فيها : « انه يقبل الأرض وينهى أنه لم  
لم يتعد الى هذه الجهة متعديا طوره بل خدمة للسلطان » ومن جملة  
ما ذكر أيضا « أن أباه أوصاه بسلوك مسلك الأدب ان صادف عسكريا  
من العساكر السلطانية في وجهته تلك وحذره أن يبدو منه ما يرفع ستر  
الاحتشام وينافي مذهب الاعظام » (١٧٥) \* الا أن السلطان  
الخوارزمي رد على جوجي برسالة يقول فيها « بأن جنكيزخان  
ان كان أمرك ألا تقتلني ، فألله تعالى أمرني أن أقاتلك ،  
ووعد لي على قتالك الحسنى ، فلا فرق عندي بينك وبين كورخان  
وكشلوخان لاشتراككم في الشرك فأذن بحرب تتقصد فيها الرماح  
وتتخطم فيها الصنابج » (١٧٦) \*

عندئذ اضطر جوجي الى الدخول في معركة مع السلطان الخوارزمي  
الا أن نتائج هذه المعركة لم تكن حاسمة ، اذ هزم الجناح الأيمن لكل  
من الجيشين الجناح الأيسر لجيش العدو ، وكان الجناح الأيمن لجيش  
المسلمين تحت قيادة جلال الدين منكبرتي الابن الأكبر لخوارزم شاه  
وهو الذي انقذت شجاعته المسلمين من الهزيمة (١٧٧) \* خاصة لأن المغول  
كانت لديهم أساليب في القتال جديدة وشجاعة فائقة وجرأة نادرة أظهرت  
قدرتهم القتالية \*

وقد كانت نية الفريقين متجهة لاستئناف القتال في اليوم التالي  
الا أنه في صبيحة ذلك اليوم ، وجد السلطان محمد وقواته أن الجيش  
المغولي كان قد هجر أرض المعركة وذهب الى بلاده تحت ستار الليلة  
الماضية (١٧٨) \*

---

(١٧٥) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٤٧ .

(١٧٦) نفسه ، ص ٤٨ .

(177) Juwaini « op. - cit. » vol II, p. 377.

ورشيد الدين : جامع التواريخ ، ج ١ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

(178) Juwaini « Ibid ».

وقد شعر السلطان الخوارزمي بقوة المغول ، وبدأ يحضطاط منهم حتى أن المؤرخ النسوي الذي كان قد اعتاد أن يبرز بطولات الخوارزمية نراه يقول « وتمكن من قلب السلطان من الرعب والاعتقاد ببسالتهم ما إذا ذكروا في مجلسه يقول : لم يبر رجالهم اقداما وثباتا على مضى الحرب وخبرة بقوانين الطعن والضرب » (١٧٩) .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الاشتباك لم يؤثر في الصلات القائمة بين الدولتين ، ولعل كلا الفريقين قد عد هذا القتال نتيجة خطأ يؤسف له وإن جنكيزخان نفسه عندما جاور الدولة الخوارزمية لم يشأ أن يجاهر سلطانها بالعداء ، بل حرص أول الأمر على أنه يسالمة ويكون معه على وفاق ووئام ، وكان يهدف الى أن يبرم معه معاهدة تجارية ويتبادل معه الرسل والسفراء (١٨٠) .

وكان السلطان علاء الدين محمد منذ فترة ينتبج أخبار جنكيزخان وهو في بلاد الصين ، بل وفكر في تسخير جزء من الصين أسوة بما فعل جنكيزخان وزين له قواده هذا العمل ، وبدأ هو نفسه يغتر بقوته وقيامته وما أطلقه عليه أتباعه من ألقاب كان أهمها « ظل الله » والاسكندر الثاني وسنجر الثاني ، وما أن وصلت اليه أنباء استيلاء جنكيزخان على مدينة بكين عاصمة دولة الصين الشمالية أراد أن يستوضح الأمر ، فأرسل وفدا من كبار دولته برئاسة « السيد الأجل بهاء الدين الرازي » الى الصين يحمل رسالة الخوارزمشاه الى جنكيزخان (١٨١) .

ويذكر الجوزجاني في طبقات ناصري « أن السيد الأجل بهاء الدين الرازي وصحبه عندما وصلوا الى حدود طمغاج واقتربوا من عاصمة

---

(١٧٩) النسوي ، ص ٤٨ .

(١٨٠) الصياد : المقول ، ص ٩٧ .

(١٨١) عبد السلام فهمي ، ص ٤٨ .

D, ohsoon «Histoire des Mongols» vol I. pp. 202—203.

« التون خان » بدت لهم على مسافة بعيدة أكمة عالية بيضاء ظنوها جبلا تكسوه الثلوج ، فسألوا المرشدين وأهالى المنطقة عن سر هذا المكان ، فأخبروهم أنها عظام الناس الذين قتلهم المغول ، ولما تقدموا مرحلة أخرى ، وجدوا الأرض لزجة سوداء بسبب ما اختلط بها من دماء الآدميين ، وهكذا وصلوا السير حتى قضدوا أرضا جافة حيث صادفهم الكثيرون ممن لحقهم المرض أو هلكوا بسبب عفونة الهواء الذى نتج عن كثرة القتلى وعندما انتهى بهم المطاف عند طمغاج شاهدوا أسفل برج القلعة عظاما كثيرة قيل ان المدينة عندما سقطت فى أيدي المغول ألقى المحاصرون فى القلعة بعشرين ألف فتاة عذراء متعمدين قتلهن حتى لا يقعن أسرى فى أيدي المغول ، فهذه العظام الملقاة على الأرض هى رفات تلك الفتيات (١٨٢) .

وعندما وصل هؤلاء الرسل الى معسكر جنكيزخان استقبلهم الغازى المغولى بأبلغ مظاهر الحفاوة والتكريم وحملهم رسالة ليبلغوها الى السلطان مؤداهما أن جنكيزخان كما يعتبر نفسه ملك الشرق ، فان خوارزمشاه يعتبر أيضا ملك الغرب ، وأن جنكيزخان يميل الى أن تكون العلاقة بين الطرفين علاقة صلح ووفاء وأن تستمر قوافل التجار تروح وتجيء بين ممالك خوارزمشاه وجنكيزخان وهى تحمل الأمتعة والبضائع ليتبادلها الطرفان فى حرية وأمن (١٨٣) .

ولا شك أن أفعال جنكيزخان لا توضح حسن نيته أو جنوحه للسلم والصفاء مع أى زعيم دولة جاورته ، كذلك خطته لا تتسیر الا لروح عدوانية ، لذلك لم يشأ أن تكون علاقته بجيرانه الخوارزميين

---

(١٨٢) الصياد ، ص ٩٧ — ٩٨ نقلا عن الجوزجاني فى كتاب طبقات ناصري .

(١٨٣) نفسه .

مستندة الى حق السيف وحده وبخاصة أن مشاكله فى شرق آسيا واضطراره الى توطيد نفوذه فى الأقاليم الصينية يمنعه من أن يشغل جيوشه فى البلاد الخوارزمية أيضاً ، فهداه تفكيره الى عقد معاهدة تجارية مع الدولة الخوارزمية تكون الصلة بينه وبين الأتراك الخوارزميين ويستطيع من خلالها معرفة أحوالها ويكون على صلة برجالها ، ويميلها على الخوارزميين وتضمن بعض نصوصها معانى التبعية لدولة المغول (١٨٤) .

وحدث أن استقبل علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م — بعد عودته من العراق ، وبعد أن حلت به الهزيمة وهو يحاول إخضاع الخلافة العباسية — استقبل ثلاثة من التجار هم رسل جنكيزخان وهم « محمود الخوارزمى ، وعلى خواجه البخارى ويوسف كنج الأترارى » (١٨٥) مصحوبين بمجلوبات الترك من نقر (١٨٦) المعادن ونصب الحنو ونوافج المسك واحجار اليشب والثياب التى تسمى طرقوا (١٨٧) .

وقد حمل هؤلاء التجار معهم رسالة من جنكيزخان موجهة الى علاء الدين محمد يقول فيها « ان الخان الكبير يسلم عليك ويقول ليس يخفى على عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ، ولقد علمت بسطة ملكك وانفاذ حكمك فى أكثر أقاليم الأرض ، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندى مثل أعز أولادى وغير خاف عليك أيضا أننى ملكت

---

(١٨٤) فهمى ، ص ٤٨ .

(١٨٥) ينتسب هؤلاء الرسل الى مدن خوارزم وبخارى واثرار على التوالى .

(١٨٦) النقر جمع نقرة وهى القطعة المضروبة من الذهب أو الفضة

(١٨٧) كانت تؤخذ من صوف الحمل الأبيض يباع الثوب منها بخمسين دينارا .

انظر النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٨٣ .

الصين ، وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لى قبائلهم وأنت أخبر  
الناس بأن بلادى مئارات العساكر ومعادن الفضة ، وان منها لغنية عن  
طلب غيرها ، فان رأيت أن تفتح للتجار فى الجهتين سبيل التردد ، عمت  
المنافع ، وشملت الفوائد « (١٨٨) .

وبعد أن قرأ السلطان علاء الدين محمد هذه الرسالة غضب غضبا  
شديدا رغم ما يبدو فى هذه الرسالة من ود ظاهر الا أنها تحمل بين طياتها  
طابع التهديد والوعيد ، اذ أن جنكيزخان قد أهانه حين اعتبره فى منزلة  
الابن ، ومعناها التبعية للخان المغولى فمن المعروف أن العلاقة بين  
الابن وأبيه وبين الأخ الصغير والأخ الكبير وبين العم وابن الأخ ، إنما  
تدل على أنواع مختلفة من التبعية كانت تكتب فى المعاهدات بين أمراء  
آسيا الذين كانوا لا يعرفون معنى للعلاقات السياسية التى تقوم على  
المساواة بين الطرفين المتحالفين (١٨٩) .

وليس بخاف على أن جنكيزخان أراد أن يخبر السلطان الخوارزمى  
أنه فتح الصين وأخضع كافة الطوائف التركية ويعتبرهم رعاياه ، فاعتبر  
السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه — وهو تركى الأصل وان هذا  
القول يحمل معنى التهديد والوعيد (١٩٠) .

---

(١٨٨) نفسه ، ص ٨٤ ويذكر د. الغامدى عن أبو الغازى بهادر  
المؤرخ المغولى أن هذا الوفد الذى وصل الى السلطان محمد لم يكونوا نجارا  
وانما كانوا — على الأقل وقت قيامهم بسفارتهم هذه — بل انهم كانوا  
موظفين فى البلاط المغولى .

الغامدى : أوضاع الدول الاسلامية ، ص ٢٥٣ عن أبو الغازى بهادر :  
التاريخ العام .

(189) Do Ohsson « Histoire des Mongols » vol I, pp. 202 - 203.

(190) Ibid. p 204.

عندئذ ، ونتيجة لثورته النفسية قرر السلطان علاء الدين محمد اجضار التاجر الأول محمود الخوارزمي وقال له « انك رجل خوارزمي ولا بد لك من مولاة فيناوميل ، ووعدته بالاحسان ان صدقه فيما يسأله وأعطاه من معضدته جوهرة نفيسة علامة للوفاء بما وعده ، وشرط عليه أن يكون عينا له على جنكيزخان » (١٩١) .

ويوضح النسوي أن موافقة التاجر محمود الخوارزمي على القيام بهذه المهمة لم يكن الا رغبة ورهبة . ثم بدأ السلطان محمد يسأل التاجر عن حقيقة ملك جنكيزخان للاراضي الصينية واستيلائه على مدينة طمناج فاجابه بالاثبات . وبدأ يظهر غضبه للتاجر ، ويوضح له مدى اتساع ملك الخوارزمية ، وكثرة جيوشهم ، فكيف يتجرأ جنكيزخان على مخاطبته بالولد حتى أن محمود الخوارزمي شعر بمقدار غضب السلطان محمد ، لذا أثر ألا يقوم بالنصيحة ، وانما « مال الى الاسترحام » حتى أنه بدأ يحقر له في عدد جيش جنكيزخان اذا قيس بجيش الخوارزميين (١٩٢) .

وهكذا نرى أن التاجر الخوارزمي نجح في امتصاص غضب السلطان محمد ، حتى أنه هون له من أمر المغول ، وحتى قبل للسلطان أن يبرم معاهدة تحالف وصداقة مع جنكيزخان ، وعاد الرسل الى البلاط المغولي وبدأ التبادل التجاري بين الدولتين ، ونشطت جموع التجار من المسلمين والصينيين ، في التعامل التجاري (١٩٣) .

يقول بارتولد : « انه من المشكوك فيه كثيرا أن يكون جنكيزخان قد دبر ذلك — كما يقول — لاسخاط خوارزمشاه بحيث يجعل الحرب

---

(١٩١) النسوي ، نفسه ، ص ٨٤ .

(١٩٢) النسوي ، نفسه ، ص ٨٥ .

D'ohsson «op - cit» p. 204.

(١٩٣) ١ لصياد : المغول ، ص ١٠١ .

بينهما أمرا لا مفر منه ومهما يكن من شيء فان القطيعة بين هذين الحاكمين لم تكن بسبب هذا الحادث ويقال أن محمدا خوارزمشاه كظم غيظه خلال مقابلته للوفد الذي أرسله الخان ، ولم يبح بذلك الا في الليلة التالية ، لرسول من الرسل ، وقد يلقي منه تفسيراً مرضياً لهذا الأمر ، ثم صرف الرسل بعد أن رد عليهم رداً حسناً » (١٩٤) .

ولم يمض وقت قصير على توقيع المعاهدة التجارية بين الدولتين حتى قام جنكيزخان بعمل اعتبره السلطان الخوارزمي عملاً عدوانياً واستهانة بحقوقه . ذلك أن جنكيزخان قام باخضاع القبائل التركية وغيرها المنتشرة في أواسط آسيا بحجة تأمين الطرق التجارية ، والضرب على أيدي المعتدين من اللصوص وقطاع الطرق ، حتى تكون التجارة في مأمن من شروبرهم وعبثهم وزود الطرق الرئيسية بحراس من قبله وكلفهم أن يرافقوا كل تاجر أجنبي بحمل تجارة إلى معسكرات المغول ، وكان هؤلاء الحراس يسمون قراقجية أي مستحفظين (١٩٥) .

وفي هذه الآونة وفي أثناء فترة السلام هذه حدثت جاذبة أثرت على العلاقات بين القوتين فقد خرج ثلاثة من التجار الخوارزميين إلى أقصى الشرق حيث معسكرات المغول وبلاط جنكيزخان يحملون معهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس (١٩٦) وغير ذلك . وقد خيفهم حراس الطرق ، « المستحفظون » وقيامهم إلى بلاط جنكيزخان بعد أن وقفوا على ما معهم من السلع ، وعرفوا أن مع أحدهم ويدعى أحمد من الثياب ما يليق بمقام جنكيزخان نفسه ، فلما مثل هذا الرجل بين يدي الخان طلب أثماناً باهظة لبضاعته ، فحنق عليه واغتصب بضاعته وجعلها لأفراد

---

(١٩٤) فهمي : ص ٥٠ ، حافظ حمدي ، ص ٦٩ .

(١٩٥) Juwaini « p - cip » vol. p. 69 .

(١٩٦) الكرباس : لفظ فارسي معرب ومعناه الثوب الخشن .

انظر حافظ حمدي ، ص ٦٩ .

حاشيته ثم قبض على التاجر الشره ، ولما مثل التاجران الآخران أمام جنكيزخان لم يجرؤ أحدهما على طلب ثمن البضاعة وتظاهرا بأنهما انمة جاء بها هدية وأخيرا أمطر جنكيزخان هذين التاجرين بالذهب والفضة وأخذته الشفقة بالتاجر الثالث فعفا عنه (١٩٧) . واعطاه ثمنها مجزيا لما كان يحمله ، ولم يقف عند هذا الحد بل أعز التاجر الثلاثة وأكرمهم (١٩٨) .

أقام التجار في أراضي الدولة المغولية ، وعوملوا معاملة طيبة وعندما قرروا مغادرة البلاد ، قرر جنكيزخان أن يختار كل أمير مغولي وكل قائد من قواده ، واحدا أو اثنين من أتباعه لتكوين قافلة تحمل الأمتعة المختلفة ، وتصحب هؤلاء التجار الخوارزميين الى ممالك السلطان لتبادل التجارة هناك ، وبهذا تكون وفد مغولي كمين بلغ عدد أفراده ٤٥٠ رجلا كانوا كلهم مسلمين (١٩٩) ، وهؤلاء التجار كانوا يحملون أصنافا كثيرة وأمتعة فاخرة من الذهب والفضة والحريير والأقمشة القيمة والمسك والأحجار الكريمة ، ولا بد أن ما معهم كان شيئا كثيرا ، إذ كانت القافلة تتكون من خمسمائة من الابل ، وقد كلف جنكيزخان أحد هؤلاء التجار بحمل رسالة خاصة الى السلطان قال فيها « ان التجار وصلوا الينا ، وقد أعدناهم الى مأماتهم سلمين غانمين ، وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحضنوا من طرائف تلك الأطراف ، فينبغي أن يعودوا الينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين ، وتنحسم مواد النفاق من ذات البين » (٢٠٠) .

١٠٠١. الا أن مؤرخنا النسوي يرى أن هؤلاء التجار كانوا أربعة فقط

---

(١٩٧) نفسه ، نقلا عن ابن العبري ، ص ٤٠٠ .

(198) Juwaini p. 71.

(١٩٩) يفكر ابن العبري أن عددهم بلغ مائة وخمسين شخصا فقط من جميع الأديان دون تفريق . ابن العبري ، ص ٢٣٠ .

(٢٠٠) الصياد ، ص ١٠٣ .



هم عمر خواجه الأترارى ، والحمال المراغى ، وفخر الدين الدنمركى البخارى، وأمين الدين الهروى (٢٠١) .

وصلت هذه القافلة التجارية الى مدينة أوترار على نهر سيجون، مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها ، وكان يحكم هذه المدينة نبال خان ابن خال السلطان فى عشرين ألف فارس ينوب عن السلطان بها (٢٠٢) .

ويرى النسوى الذى تحامل كثيرا على النائب نبال خان أن نفسه قد سرهت الى أموال أولئك التجار ، لذلك كتب الى السلطان الخوارزمى يبلغه بأن هؤلاء القوم الذين قدموا الى اترار فى زى التجار ليسوا تجارا بل جواسيس « أصحاب أخبار » وبدأ يلفق لهم التهم فى أنهم كانوا اا اختلوا بأحد العامة يهددونه بقولهم « انكم لفى غفلة مما وراءكم وسيأتىكم ما لا قبل لكم به » (٢٠٣) .

لذلك أمره السلطان أن يحتاط عليهم حتى يقرر أمره منهم الا أن الحاكم صادر أموالهم وقتل جميع أفراد القافلة .

ويرى بن الأثير أن حاكم أوترار قد أرسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ، ويذكر له ما معهم من الأموال ، فبعث اليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم ، وأخذ ما معهم من الأموال ، وانفاذه اليه (٢٠٤) .

---

(٢٠١) النسوى ، ص ٨٥ .

(٢٠٢) النسوى : نفسه يذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء ، ص ٣١١ والديار بكرى فى كتابه تاريخ الخميس ج ٢ ، ص ٢٦٨ أن نبال خان كان خال السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه ولبس ابن خاله .

(٢٠٣) النسوى ، ص ٨٦ .

(٢٠٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٣١ حوادث سنة ٦١٧ هـ .



بعثه السلطان بعيد القبحي عليهم يقال بأنه ذكر له « بأنهم يدعون أنهم  
تجار ولكنهم في الحقيقة لم يكونوا كذلك ولكنهم جواسيس » (٢٠٧) .

وعلى كل فإن السلطان محمد قد قام ببيع البضائع المصادرة لتجار  
بخارى وسمرقند (٢٠٨) وذكر النسوي أن الذي انتفع بهذه الأموال  
ليس السلطان محمد وإنما نبال خان « وتفرد المذكور بتلك الأموال المعدة  
والأمتعة المنصدة مكيدة منه وغدرا وكان عاقبة أمره خسرا » (٢٠٩) .

ولقد ترك ما حدث لهؤلاء التجار آثاره السيئة على نفسية (٢١٠)  
جنكيزخان ، لذلك قرر أن يرسل وفدا إلى السلطان علاء الدين محمد  
مكون من كفرج بغرا كان أبوه من أمراء السلطان تكش ومعه اثنتان من  
النتار ، محملين برسالة إليه فحواها « أنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان  
للتجار ، وأن لا تتعرض إلى أحد منهم فغدرت ونكثت ، والغدر قبيح ومن  
سلطان الاسلام أقبح » (٢١١) .

وقد طلب جنكيزخان من السلطان محمد من أجل اثبات حسن نواياه  
أن يسلم نبال خان إليه ليجازيه على ما فعل حقا لدماء المسلمين وتسلما  
للهيأء ، إلا أنه توعدوه أن لم ينفذ طلبه « بحرب ترخص فيها غوالي  
بالأرواح ، وتتعصب معها عوامل الرماح » (٢١٢) .

---

(٢٠٧) الغاهدي : نفسه نقلا عن أبو الغازي بهادر : التاريخ العام ج ٢ ،  
ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢٠٨) ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٣٠ .

(٢٠٩) النسوي ، نفسه ، ص ٨٦ .

(٢١٠) أرجع إلى القصة التي رواها ابن لعبري ، ص ٤٠١ عن الأثر  
النفسى الذى تركته هذه الصدمة على نفسية جنكيزخان .

(٢١١) النسوي ، نفسه ، ص ٨٧ .

(٢١٢) : نفسيه

الا أن السلطان محمد لم ينفذ مطلب جنكيزخان وذلك لأن نبال خان أصلاً أما خاله أو ابن خاله أى أنه ابن ترکان خاتون أم السلطان محمد ، وهى المرأة التى لعبت دورا بارزا فى توجيه السياسة فى هذه الآونة وتبركت أثرها على ابنها خاصة فى تسلطها وجبروتها (٢١٣) وكان جميع العساكر أيضا من الأتراك وهم كانوا طراز خلته ووجه رزمته والمتحكمين فى دولته (٢١٤) .

لذلك قرر السلطان محمد قتل جميع الرسل الذين قدموا اليه فبالحال من قتلة هددت دماء الاسلام ، وجرت بكل نقطه سيلا من الدم الحرام» (٢١٥) .

وقد علق الجوينى على مقتل التجار بقوله « ان كل قطرة من دماء هؤلاء التجار ، قد كفر المسلمون عنها بسيل من الدماء كما كلفتهم كل شعرة من رعوسهم مائة ألف من ارواحهم » (٢١٦) .

وبذلك كانت مذبحه اترارهى الشرارة التى فجرت رغبة جنكيزخان وجعلته يسرع للتنفيس عن غريزته الطبيعية فى الذبح والحرق والتدمير ، فزحف بجيوشه الجرارة يساعده فى قيادتها أبناؤه الأربعة ، وبعض حلفائه وأعوانه من زعماء القبائل مثل أمير الأيغور وأمير المائق وأمير

---

(213) Barthold « Tunkestan » p. 394.

(٢١٤) النسوى ، ص ٨٨ .

(٢١٥) النسوى ، نفسه ، ص ٨٨ .

يرى المؤرخ دوجلاس أن علاء الدين لم يقتل الرسل الثلاثة بل قتل زعيمهم بن كفرج واطلق سراح الاثنين الآخرين بعد أن حلقت لحيتاهما حتى يرويا قصة مصرع الرسول المغولى لجنكيزخان كما شاهدها .

D'ouglas « The Life of Genghiz Khan » p. 15.

(216) Juwaini « op - cit » vol. I, p. 81.

الكارلوك وبقدر ما كان جنكيزخان فى زحفه متحفزا قوى العزيمة شديد الرغبة فى الانتقام بقدر ما كان خوارزمشاه علاء الدين محمد مترددا لا يدرك ما يعمل بعد مذبحة التجار<sup>(٢١٧)</sup> ، وقد وصفه ابن الأثير وهو فى هذه الحالة بقوله « فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم وأخذ يفكر فى خطرهم ، فاستدعى الشهاب الحيوفى وهو فقيه فاضل ، واستشاره بالأمر الذى وقع والخطر الذى يتهدهم ، أشار عليه بخطة ، فلما استشار أمراءه أشاروا عليه برأى آخر ، فبينما هو فى الاستشارة اذ وردهم رسول جنكيزخان يتهدهم فردوا عليه بجواب الاستعداد للحرب »<sup>(٢١٨)</sup> .

الا أن بارتولد يقول ان مسألة اتجاه جنكيزخان لمحاربة السلطان لا ترجع الى مذبحة اترار بل انها ترتبط بخطة جنكيزخان فى الفتح والغزو ، وكثيرا ما يقال أن خطط جنكيزخان ان لم تكن بتحريض من دول أجنبية فقد كانت على الأقل تلقى تأييدا من الخارج وبخاصة من خليفة بغداد الناصر ، وذلك على حين أن الدراسة المقارنة لما ورد بالمصادر الاسلامية عن هذه الحرب يدل على أن محمد خوارزمشاه سبب هذه الحرب أو على الأقل عجل بقيامها<sup>(٢١٩)</sup> .

وهنا لابد لنا من وقفة سريعة قبل أن نسرد تفاصيل حملات جنكيزخان على الدولة الخوارزمية التى كانت مفتاحا لغزو العالم الاسلامى وقلبه النابض بغداد ، فهذا مؤرخنا الكبير بن الأثير يعبر عن خاطرته حول هذا الموضوع قبل أن يسجل لنا أحداث الغزو المغولى بقوله ، لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لما كرها لذكرها ، فأنا أقدم رجلاؤا وآخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن

---

(217) Ibid.

(٢١٨) ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٣١ .

(٢١٩) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص ١٤٩ .

يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت  
أُمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » (٣٣٠) ♦

ولعل فيما ذكره بن الأثير خير دليل على النكبة الكبرى التى بدأت  
تدق أبواب الاسلام بدءا بالدولة الخوارزمية ♦

ولابد لنا أن نوضح الآن الاستعدادات التى تمت من كلا الطرفين  
المغولى والخوارزمى فى المواجهة الحاسمة التى باتت وشيكة ♦

بدأ السلطان محمد فى اعداد جيشه فبدأ أولا ببناء سور على  
مدينة سمرقند يبلغ اثنى عشر فرسخا وشحنه بالرجال والمقاتلة ، وقام  
بتفريق العمال والنجباء فى جميع أرجاء البلاد من أجل جمع الخراج عن  
عام ستمائة وخمسة عشر من أجل بناء السور ، وبعث بجباة آخرين الى  
بقية الممالك الاسلامية وأمرهم بجباية خراج ثالث فى سنتهم تلك ، وأمر  
أن يستخدم بها رجال رماة مكملة العدة ، ويكون عدد رجال كل جهة على  
قدر ما يحصل منها من المال قليلا كان أو كثيرا يكون لكل واحد منهم حمل  
يركبه ويحمل سلاحه وزاده (٣٣١) ♦

وقد اقترح الامام شهاب الدين الخيوى الذى كان يعتقد فيه  
السلطان كثيرا بأن يرسل الرسل والرسائل الى كافة البلاد لجمع  
العساكر ، واستنفار الناس للدفاع عن الاسلام وجمع التبرعات  
والمعونات لايقاف عبور المغول نهر سيحون لكن أمراء الجيش لم  
يستحسنوا هذه الفكرة ورعوا انه من الأفضل ترك المغول يعبرون نهر  
سيحون ثم اصطيادهم بعد ذلك فى بلاد ما وراء النهر التى لا يعرفون  
مسالكها ، بل وقطع المدد عنهم واهلاكهم » (٣٣٢) ♦

---

(٢٢٠) ابن الانير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٢٩ .

(٢٢١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٨٩ .

(٢٢٢) الصياد : المغول ، ص ٥٧ .

قام بتفريق عساكره بمدن ما وراء النهر وبلاد الترك « ولم يترك  
بلدا من البلاد مما وراء النهر خاليا من عسكر » (٢٢٣) •

أما عن جنكيزخان فقد بدأ يرتب جيشه وفق خطة محكمة وهي  
توجيه ضربته للخوارزميين عبر أربع جهات ، لذلك قام بتقسيم جيوشه  
الى أربعة جيوش كل منها موجه الى منطقة بعينها •

الجيش الأول بقيادة ابنه جغتاي « أوكتاي » وهذا الجيش مكون  
من سبعة تومانات « التومان يساوى عشرة آلاف » أى أنه سبعون ألف  
جندي وقد ترك جنكيزخان لهذا الجيش مهمة فتح مدينة أترار •

الثانى بقيادة ابنه الأكبر جوجى ، وقد عهد اليه بمهمة فتح البلاد  
التي تقع على ساحل نهر جيحون ، وخصصا مدينة « چند » إحدى  
الحصون الاسلامية الهامة التي تقع على هذا النهر •

الثالث وهو عبارة عن فرقة صغيرة تتكون من ٥٠٠٠ جندي ، وقد  
أمرت بأن تفتح مدينتى بناكت وخجند وكانتا من أهم المنافذ على نهر  
سيحون •

الرابع يتكون من أغلب قوات المغول ، وعلى رأسه جنكيزخان نفسه ،  
كما سار معه ابنه تولوى أو تولى ، قاصدا وسط اقليم ما وراء النهر ،  
وخاصة بخارى •

---

(٢٢٣) السوى : ص ٩١ •

ويذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تعليل السبب الذى دفع علاء الدين  
محمد خوارزم شاه الى توزيع قواته على المدن الوخارزمية المختلفة فرى  
جيبون أنه ظن ان المغول سيحلون حصار هذه المدن العديدة • ومن ثم  
يعودون الى بلادهم دون أن ينالوا من هذه المدن أو من ساكنيها منالا ، ويرى  
سايكس Sykes ان علاء الدين محمد خوارزمشاه ظن فى ذلك الوقت أن  
المغول سيكتفون من البلاد الاسلامية بنهب ما تصل اليه أيديهم من الغنائم  
ثم يعودون عن ذلك انظر حاشية رقم ٥ للمحقق •

وكان يهدف من وراء ذلك الى الحيلولة دون اتصال السلطان محمد ببقية جنوده الذين يدافعون عن البلاد المحاصرة (٢٢٤) .

وبذلك نرى أن جنكيزخان قد خطط تخطيطا دقيقا لحصر العالم الاسلامى بين كماشة قوية ، وهذا يؤكد أيضا مدى الروح الانتقامية المدمرة التى خرج بها جنكيزخان حتى أن المؤرخ لام يشبه قوته هذه « بالرييح العاصفة والزلازل العالمى » ، فقد استطاعت هذه القوة البشرية أن تصل الى حدود آسيا الشرقية والغربية، وان سقوطها الوعر، بعقل لا يختلف عن عقل الحيوان الذى لا يكثر لتعذيب البشر الشره لكل ما هو جديد براق ، والذى يندفع اندفاع الأطفال الذين لا يدركون معنى المسؤولية (٢٢٥) .

وقد وصلت أول هذه الجيوش الى مدينة أترار التى تعتبر مفتاحا لاقليم ما وراء النهر ، ومازال يحكمها نبال خان ، وقد ركز المغول هجومهم على هذه المدينة بالذات لأنها المدينة التى شهدت مذبحه التجار (٢٢٦) .

وقام ينال خان بتحصين المدينة تحصينا شديدا ، وقد قاومت أترار جيش جقناى وأوكتاي أكثر من خمسة أشهر استبسل فيها اينال خان الذى كان يحس أن سلامته فى استمرار مقاومته حتى سقط جميع رجاله حوله ، وبقي وحيدا يصارع الغزاة بالحجر (٢٢٧) ، ولولا خيانة بعض قواده لطالت مقاومته ، ثم اقتيد حيا الى معسكر جنكيزخان « فأمر بسبك الفضة وقلبها فى أذنيه وعينيه فقتل تعذيبا جزاء عن فعله

---

(٢٢٤) الصياد ، ص ١١٢ ، نهى ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(225) Harold Lamp The Crusades, The Flame of Islam.  
p. 337.

(226) D'ohsson «op - cit» pp. 218 - 221.

(٢٢٧) فاميرى : تاريخ بخارى ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .



الفضيع وخطبه الشنيع وسعيه المذموم عند الجميع» (٢٢٨) وبذلك سقطت أهم مدينة تفتح الطريق أمام الجيوش المغولية لتجتاح مدن ما وراء النهر (٢٢٩) .

أما الفرقة المغولية الثانية والتي كان على قيادتها جوجى بن جنكيزخان ، فإنها توجهت الى مدينة جند ، واستولت فى طريقها على كثير من المدن والقلاع الواقعة على نهر سيحون ، وتمكن بذلك جوجى من السيطرة على مجرى النهر تقريبا ، وعندما اقترب من مدينة جند ، غادرها حاكمها ليلا تاركا لسكانها أمر الدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم (٢٣٠) . وقد أرسل قواد جنكيزخان رسولا الى جند يدعو الأهالى الى التسليم ، فانقسموا على أنفسهم فهنهم من يرى ضرورة الدفاع عن المدينة ، ومنهم من يرى عدم جدوى المقاومة ويدعو الى التسليم فى الحال (٢٣١) . لعل الأهالى يجدون فى ذلك خير حل ينجيهم من الوقوع تحت سيوف المغول ، والظاهر أن هذا رأى كان يناصره أغلبية السكان بدليل أن المغول لم يجدوا مقاومة ما داخل المدينة وهم يدكون أسوارها من جميع جهاتها . وأخيرا سلمت المدينة وسلم من سلم من أهلها وقتل من قتل من المغول وبعد أن وضع جوجى على المدن المفتوحة حكاما مخلصين أصدر أوامره لجنوده بالعبور الى إقليم خوارزم (٢٣٢) . وبذلك سيطر على القسم الغربى من بلاد ما وراء النهر وقطع اتصال الخوارزميين به (٢٣٣) .

---

(٢٢٨) النسوى ، ص ٩١ .

(229) D'ohosson «op - cit».

(٢٣٠) فهمى : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٥٩ .

(٢٣١) الصياد : ص ١١٤ .

(232) D'ohsson «op - cit». pp. 221 — 223.

(٢٣٣) فاميرى : تاريخ بخارى ، ص ١٦٦ — ١٠٨ .

أما عن الجيش الثالث فقد خرج للاستيلاء على منطقة غرغانة والوادي الأعلى من نهر سيجون ، وقد بدأ هذا الجيش مهمته بمحاصرة مدينة بناكت أو فناكت الواقعة على هذا النهر ، وكان حاكمها من الأتراك وبعد ثلاثة أيام دخل المغول المدينة بعد أن كف الأهالي عن مقاومتهم وقبلوا تسليمها اليهم<sup>(٢٣٤)</sup> . وبعدها غدروا بأهلها ، وما أن دخلوها حتى فصلوا الجند عن الأهالي المدنيين ، واعملوا القتل في رقاب الفريق الأول ، واختاروا من الفريق الثاني خيرة شبابهم لينتفعوا بهم في أعمالهم الحربية ، ثم سارت الفرق العسكرية المغولية بعد ذلك نحو الجنوب تجاه مدينة خجندة الواقعة على نهر سيجون فتركها قائدها والتجأ إلى جزيرة صغيرة في وسط النهر بعيدة عن شاطئه فحاصروه حصاراً شديداً<sup>(٢٣٥)</sup> ، ومن الغريب حقاً أن المغول استعانوا بقرابة خمسين ألف شاب من الخوارزميين الذين سخروهم لمساعدة الجيوش المغولية ، فكلفهم المغول باحضار الأحجار من الجبال المجاورة والقائها في النهر ، وأخيراً لاذ الحاكم الخوارزمي من مكمنه بالفرار من وجه المغول في سبعين مركباً بعد أن شحن جنده وامتعته وسار في النهر متجهاً إلى الشمال ، لكن المغول كانوا يراقبونه من جانبي النهر الذي سدوه بقنطرة من السفن ، فما كان منه إلا أن امتطى صهوة جواده وقتل أعداءه قتالاً اليائساً ، واستطاع الإفلات بنفسه فقط من حصارهم والوصول إلى مدينة خوارزم حيث كان يربط جلال الدين منكبرتي الابن الأكبر للسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه<sup>(٢٣٦)</sup> .

---

(٢٣٤) الصيد ، ص ١١٥ .

(235) D'ohsson «op - cit» p. 221 — 223..

Howorth «History of the mongols» p. 77.

(٢٣٦) فهمي ، ص ٦٠ .

## الاستيلاء على بخارى :

خرج الجيش الرابع الذى كان يقوده جنكيزخان وابنه تولوى تجاه مدينة بخارى . واصطحب جنكيزخان معه أمير قواد المغول ، وقد استولى على المدن التى صادفها فى الطريق ، وعين على كل منها حاكما من قبله ، ثم اتجه الى حصار بخارى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م وقد فصد جنكيزخان بذلك أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة حتى لو بدا له فيما فعل من نفرقتهم لم يقدر على جمعهم (٢٣٧) .

وقد كان السلطان محمد خوارزم شاه قد أمر أهل بخارى وسمرقند « بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل فى بخارى عشرين ألف فارس من العسكر يحمونها وفى سمرقند خمسين ألفا » (٢٣٨) .

ورغم هذه الاستعدادات الا أن المغول نجحوا فى حصار بخارى « وقتلوا ثلاثا أيام قتالا شديدا متتابعاً » (٢٣٩) فى الوقت الذى عجزت فيه القوات الخوارزمية عن مجابهتهم وهربت معظمها الى خراسان وسلم الباقون لجنكيز خان كما قال النسوى أن أهلها « تجادلوا واستبدلوا بمسكة العزائم هتكة الهزائم » (٢٤٠) .

وقد قدم اليه قاضى المدينة بدر الدين قاضىخان ، ومعه طائفة من الأعيان يطلبون الأمان ، فى الوقت الذى اعتصم فيه بعض المدافعين داخل قلعة المدينة (٢٤١) .

---

(٢٣٧) النسوى ، ص ١٠٠ .

(٢٣٨) ابن الاثير ، ج ٩ ، ص ٣٣٢ حوادث ٦١٧ هـ .

(٢٣٩) نفسه .

(٢٤٠) النسوى ، ص ١٠٠ .

(241) Juwāini «ōp - cit» vol. I. 85.

اجاب جنكيز خان أهل البلاد الى طلبهم ، وفتح ابواب المدينة فى الرابع من ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م « فدخل الكفار بخارا » وبعدهم دخل جنكيز خان بنفسه ، واخط بالقلعة ونادى فى البلد بآلا يتخلف أحد ، ومن يتخلف قتلوه فحضروا جميعهم « فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب » (٢٤٢) .

ويروى الجوينى ان جنكيز خان دخل المدينة ليتفقد ما فيها ، ثم ذهب الى المسجد الجامع ووقف أمام المقصورة ، وسأل عما اذا كان هو مقصد السلطان فلما قيل له انه بيت الله ترجل عن حصانه وصعد المنبر ، وصاح قائلاً « كانت الصحراء خالية من العلف أما الان فاملأوا بطون خيولكم واشبعوها » وعلى الفور قام جنده ونهبوا المدينة وفتحوا المخازن واستولوا على الغلات ، ثم حملوا الى فناء المسجد عدة صناديق تحتوى مصاحف القرآن الكريم ، والقوا بها تحت حوافر الخيل وحولوا الصناديق الى مزاود للخيول ، وبعد ذلك أحضروا كتوس النبيذ والمغنيات من المدينة ، وصاروا يشربون ، ويسمعون ويرقصون ويغنون وفق أصول غنائهم وألحانهم ، بينما وقف الأئمة والمشايخ والسادات والعلماء والمجتهدون أمام المزاود يعلنون الخيول ويحافظون عليها ، وينفذون ما يصدر اليهم من أوامر » (٢٤٣) .

اتجه المغول بعد ذلك الى قلعة المدينة كان يحتوى بها حوالى اربعمائة فارس ظلوا يجاهدون ويعملون على عدم تسليم القلعة لمدة اثنى عشر يوماً حتى وصل النقباقون الى سور القلعة واحتدم القتال « حتى تعب من بالقلعة ونصبوا وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهروهم

---

(٢٤٢) ابن الاثير نفسه .

(243) Juwaini «op - cit» pp. 85 - 86.

الكفار (٢٤٤) وبذلك سقطت قلعة بخارى فى أيدي المغول ، وبعدها أمر جميع أهل المدينة بالخروج منها مجردين من أموالهم ، ليس مع أحد منهم غير ثيابه التى عليه ، ودخل المغول المدينة ويصف ابن الاثير هذا اليوم « بأنه كان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان ، وتفرقوا أيدي سبأ وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضا ، واصبحت بخارا خاوية على عروشها •• كأن لم يعن بالامس ، وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم شيئا مما نزل بهم ، فمنهم من لو يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل ••••• ومن استسلم اخذ اسيرا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال » (٢٤٥) •

#### • الاستيلاء على سمرقند

بعد ان انتهى جنكيز خان وجيوشه من غزو بخارى اتجهوا ناحية سمرقند « مستصحبين معهم الاسرى مشاة على أقبح صوره وكل من أعيا وعجز عن المشى قتل » (٢٤٦) وكانت المدينة من اكبر مدن ماوراء النهر وأكثرها أهمية •

عند وصول المغول الى حدود سمرقند تركوا الاسرى والانتقال خارج المدينة وتقدموا بالخياله الى داخلها فى اليوم الاول وفى اليوم الثانى وصل الاسرى والرجال والانتقال ، ومع كل عشرة من الاسرى علم فظن أهل المدينة أن هؤلاء جميعا هم جيش المغول • وقد غام هؤلاء المحاصرون بالاحاطة فى المدينة التى كان بداخلها حوالى

---

(٢٤٤) الاثير نفسه •

(٢٤٥) نفسه ص ٣٣٣ ، فلبرى — تاريخ بخارى ص ١٧٠ — ١٧٣ •

(٢٤٦) نفسه •

خمسين ألف مقاتل من الخوارزميين \* « وامام عامة البلد فلا يحصون » (٢٤٧) وقد كان بداخل المدينة عشرون فيلا اعدت للدفاع عن المدينة (٢٤٨) في الوقت الذي تسرب اليأس فيه الى نفوس أهل المدينة \* وقضى جنكيز خان اليومين الاولين في تفقد حصون المدينة واختبارها \* وفي اليوم الثالث أمر جنوده بالهجوم فتقدم عدد كبير من المحاربين الشجعان من الحامية الخوارزمية والتحموا بالمغول الا أن هذه الحامية الخوارزمية هزمت وكان على رأسها طغاي خاتون أخى تركان خاتون مما كان له أكبر في إثارة مخاوف الجنود المحاصرين ، ولما كانت أكثر الحامية الخوارزمية من القبائل التركية التي تقيم على حدود الدولة الخوارزمية الشمالية رأى هذا الفريق من الجند أن تستسلم للمغول ويعرض الصلح على أساس أنهم هم والمغول من أصل تركي واحد (٢٤٩) \* .

وافق جنكيز خان على ما عرضه عليه الأتراك بشرط أن يسلموا للمغول سلاحهم وأموالهم ودوابهم ، فوافقوا ، وبعد أن اعطاهم الامان فتحت ابواب المدينة أمام المغول ، فدخلوها دخول الظافرين ، وجريا على عادة جنكيز خان فانه لم يحترم عهدا ، لذا قام المغول بقتل جميع الأتراك الذين آمنوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم ونساءهم ودوابهم (٢٥٠) \* .

ويذكر رشيد الدين انه سمح أخيرا لحوالي خمسين ألفا من السكان بالعودة الى المدينة بعد أن دفعوا مائة ألف قطعة ذهبية (٢٥١) \* .

---

(٢٤٧) ابن الاثير « نفسه » ، بارتولد « تاريخ الترك » في اسيا الوسطى ص ١٦٠ حيث يقول ان حاميتها كانت تتألف من ٦٠ ألف من الترك ، ٥٠ ألف من التاجيك \* .

(248) Howorth. op. - cit., p. 79.

(٢٤٩) ابن الاثير .. نفسه \* .

(٢٥٠) نفسه \* .

(٢٥١) رشيد الدين « جامع التواريخ ج ١ ص ٩٦ \* .  
Barthold. p. 163.

أما فى اليوم الرابع طلبوا من جميع أهل سمرقند الخروج منها ومن تأخر عن طلبهم قتلوه لذلك خرج أهلها ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى وبعدها دخلوا المدينة « فنهبوا ما فيها وأحرقوا الجامع ، وتركوا باقى البلد على حاله ، واقتضوا الأبرار وعذبوا الناس بأنواع العذاب فى طلب المال ، وقتلوا من لم يصلح للسبى » (٢٥٢) •

ويورد المؤرخ الصينى شانج تشون Chang Chun . وهو أسقف صينى صاحب جنكيز خان فى غزواته ، وكتب مؤلفا بالصينية عن هذه الرحلة ، فقد ذكر ان مدينة سمرقند كاذت قبل اكتساح الدولة الخوارزمية تضم أكثر من مائة ألف أسرة ، ولكن بعد استيلاء المغول على هذه المدينة ، لم يبق فيها سوى ربع سكانها . كذلك ذكر ان كثيرين من العمال الصينيين انتشروا فى هذه المدينة ، ورغم ان الممتلكات ظلت فى أيدي المسلمين ، فان ادارتها كانت تحت اشراف الجيش المغولى (٢٥٣) •

وبسقوط سمرقند تمت لجنكيز خان السيطرة على معظم بلاد ما وراء النهر الا بعض مناطق داخلية لم تطل مقاومتها ، وانفتحت أمامه أبواب خراسان وبقيّة الولايات الغربية التى لم تكن مستعدة للقتال •

---

(٢٥٢) ابن الانير . ص ٣٣٣ ص ٩ ، بارتولد «

(٢٥٣) حافظ حموى « الدولة الخوارزمية المغول » ص ١٢٦ •

## موقف السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه

### من الغزو والمغولى

وقعت أخبار الغزو المغولى على المدن الخوارزمية اترار وبخارى وسمرقند وقع الصاعقه على مسامع السلطان علاء الدين محمد • الذى حار فى أمره ، وأراد أن يتخذ الخطوات المناسبة التى تحمى اقليم خوارزم وبقية ممتلكاته من هذا الغزو المدمر ، الى جانب رغبته فى حماية آل بيته من المصير المحتوم الذى لا بد أن يتعرضوا له اذا اكتسحهم المغول •

وآثرت قبل أن أدخل فى الموقف الايجابى الذى اتخذته السلطان محمد أمام هذا الغزو أن ابحت موقفه الداخلى أولا ، وما كان يعانيه من اضطرابات داخل بلاده •

فقد كان أهل البلاد يكرهون السلطان محمد بسبب جنده الاثراك الذين لم يراعوا عدلا أو رحمة فى معاملتهم للسكان ويذكر الجوينى فى ذلك قائلا « لقد كانت الرحمة والشفقة بعبيدين كل البعد عنهم ، وازيحتا من قلوبهم ، فأى بلد مروا به أو حلوا فيه فأنهم يقومون بتدميره ليهرب سكانه ويلتجئون الى أماكنهم الحصنية ، ويطلبون الامان داخل أسوارها ، ففى حقيقة الامر كانت تصرفاتهم الرعناء ، وجلافتهم الهمجية وعنفهم ، وأرواحهم الشريرة هى التى تسببت فى سقوط أسرة السلطان » (٢٥٤) •

وهناك آراء تقول ان رجال الدين قد كرهوا حكم السلطان علاء الدين محمد ، وذلك لانه قام بالقبض على الائمة والاعيان فى بلاد ماوراء النهر واجبرهم على الرحيل ونفاهم — وقام بنشر دعاية واسعة



على انه ينوى أن يقصد بغداد على رأس حملة عسكرية ضد بني العباس ، كذلك تفاقت نظرة رجال الدين والعلماء الاسلاميين تجاه السلطان محمد عندما أمر بحذف اسم الخليفة العباسي الناصر من خطاب أيام الجمع والمناسبات في أراضى سلطنته (٢٥٥) .

يحاول النسوى أن يلقي تبعة قضية كراهية الشيعيين والقواد العسكريين وتركبان خاتون للسلطان علاء الدين محمد على اكتاف أحد نوابه المدعو بدر الدين العميد .

ويصور النسوى دور الخيانة الذي لعبه بدر الدين العميد ، وهو الذي كان يشغل وظيفة النائب عن الصفي الاقارع وزير السلطان علاء الدين بأترار . فيذكر أنه عندما نجح جنكيز خان في دخول اترار ، حضر اليه ابن العميد هذا الذي كان كارها للسلطان علاء الدين السذي سبق وان قتل أباه وعمه ، وبين لجنكيز خان أنه يحقد على السلطان حقدا شديدا قائلا « لو قدرت على استيفاء ثأرى منه ببذل روحي لفعلت (٢٥٦) . وبدأ يشرح لجنكيز خان مدى قوة السلطان العسكرية ، وضرورة احترازه من ان تفريق السلطان لعساكره في البلاد ليس الا خطة مدبره . ثم عمل بعد ذلك على تخطيط خطة الغرض منها التفريق بين خوارزم شاه وجنوده وبينه وبين أمه تركان خاتون .

وتم الاتفاق بين ابن العميد وجنكيز خان على أن يزور بن العميد كتباً عن لسان الامراء اقارب تركان يسعون فيها العلاقة بين السلطان واهله وبعث جنكيز خان بهذه الكتب الى خوارزم شاه من ناحية والى أمه من ناحية أخرى بين للطرفين سوء نية الآخر ، حتى أنه عرض تركان خاتون على ابنها وبين لها أن لن يتعرض لها بقوله « ولست بمتعرض

---

(٢٥٥) الغامدى « اوضاع العالم الاسلامى » ص ٢٨١ .

(٢٥٦) النسوى « سيرة السلطان » ص ٩٢ .

الى ما تحت يدك من البلاد ، فان أردت ذلك بعثت الى من يستوثق لك  
منى فتسلم لك خوارزم خراسان وما تتأخنها من قناطع  
جيجون » (٢٥٧) .

والحقيقة ان ترکان خاتون وهى أم السلطان كانت امرأة قوية  
متسلطة ذات نفوذ كبير فى الدولة حتى أنها شاركت ابنها مقاليد  
الحكم وعينت أقاربها فى التسلطة مثل نياك خان وغيره ، وقد كانت  
من قبيلة بياروت (٢٥٨) كان أبوها ملك من ملوك الترك ، ثم تزوجت من  
تكش بن ايل أرسلان .

وقد وصفها النسوى أولا بأنها « ذات مهابة ورأى ، واذا  
رفعت الظلمات اليها تحكم فيها بالعدل والانصاف ، كانت تنصف  
المظلوم من الظالم » (٢٥٩) الا أن النسوى نفسه يذكر لئسا  
واقعة ثانية هامة تؤكد ان هذه السيدة كانت غليظة القلب سيئة  
الخلق بدليل أنها عندما وصلها الخبر من جنكيز خان بأن جنود  
السلطان قد انسحبوا من بلاد الترك ، وان السلطان هرب عنذ حافة  
جيجون لذلك قلقت ترکان خاتون ، ورأت ضرورة ترك مدينة خوارزم ،  
الا أنها « قدمت عند خروجها من نقيض البر ، ما أرخ الزمان بسوء  
الذكر ، وانباء سبة مغلظة على وجه الدهر » (٢٦٠) فقامت بقتل من  
كان بخوارزم من الملوك الاسارى وأبناء الملوك وذوى المراتب المنيعة  
من كبار الصدور وسادات العزوم زهاء اثنى عشر نفسا محرمة » (٢٦١) .

---

(٢٥٧) النسوى « نفسه » ص ٩٣ .

(٢٥٨) هى فرغ من قبائل كائكالى ، وبرجع أصلها الى السهول  
الواقعة فى شمال خوارزم وفى الشمال الشرقى من بحر قزوين  
D'ohsson « op - cit » p. 196.

(٢٥٩) النسوى « نفسه » ص ٩٩

( ٢٦٠ ) نفسه ص ٩٤ .

(٢٦١) نفسه .

لذلك نرى أن هذه الشخصية كان لها أثرها على زعزعة مركز علاء الدين محمد ، وعلى قيام بدر الدين العميد بدوره الخياني هذا . وقد توجهت تركان خاتون — وجاشيتهيا من خوارزم الى العراق العجمي ، وجملت معها الخزائن وقافلتها النسيائية ، ومن يحرسهم من رجال الى قلعة ايلال بمازندران (٢٦٢) ، ولكن المغول كانوا أسرع منها ، وما ان بلغهم خبر رجليها حتى تتيعوها فوقعبت أسيرة في أيديهم ، وقادوها وجاشيتها وابناء السلطان الى معسكر جنكيز خان حيث ظلت أسيرة لديهم ، وصحبوها معهم الى العاصمة قره قورم حيث ماتت سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٣ م ، أما أبناء السلطان علاء الدين محمد البصغار فقد قتلهم جنكيز خان رغم حداثة سنهم ، كما أعطى ابنه جغتاي اثنتين من بنات السلطان محمد فتزوج واحدة منهما ، واهدى الثانية لاحد رجاله المقربين ، كما أعطى جنكيز خان ابنه الثالثة من بنات السلطان لحاجبه دانشمند (٢٦٣) .

ولابد لنا أن نعرض الآن لموقف السلطان محمد ازاء جحافل المغول بعد ما رأينا ما أصاب جبهته الداخلية .

أولا ان السلطان عندما رأى الهزائم تتري عليه استدعى الشيخ شهاب الدين الخيويني (٢٦٤) . لاستشارته في الموقف الراهن للوقوف أيام المغول فنصحته الشيخ بالتمركز . على ضفاف نهر سيجون ، وملاقاه المغول بعد عودتهم ، والاهواز عليهم . ومع ذلك فان السلطان قام بتفريق عسكره على مختلف المدن في بلاد ما وراء النهر .

---

(٢٦٢) الذهبي « العبر في خبر من غير » ج ٥ ص ٥٩ .

(٢٦٣) النسوى ص ٩٥ — ٩٦ — ٩٧ — ٩٨ .

(٢٦٤) كان فقيها فاضلا مبرزاً مفتياً في مذهب الشافعي رضى الله عنه وقد جمع الى الفقه والطب والخلافة وسائر العلوم الفصاحة واللسان والتدبير الحسن . النسوى ص ١٠٩ .

وفى هذه الفترة كان جنكيز خان يدرك أن بقاء خوارزمشاه سيحول بينه وبين السيطرة على البلاد والخلود الى الراحة ، لذلك انتدب قائديه تشيبي وسبوتاي للملاحقة خوارزمشاه وجهازهما بفرق من جيشه سماها ابن الاثير « الفرق المغربية » (٢٦٥) ، وقد أمرهما جنكيز خان بالسير رأسا فى اثر علاء الدين ، فاذا وجداه على رأس جيش كبير فليتنجبا الاصطدام بجيوشه انتظارا لوصول المدد من الجيوش المغولية أما اذا ركن علاء الدين الى الفرار فيجب عليهما أن يتبعاه •  
بلا تردد •

وقد أخذ هذان القائدان يبحثان عن السلطان الهارب واستوليا على المدن التى صادفاهما فى الطريق ، وخرب المدن التى قاومت وابتقيا على تلك التى لم تقاوم (٢٦٦) •

أما علاء الدين محمد ، فقد غلب عليه الخوف والهلع ، وهام على وجهه لا يلوى على شئ وزاد من رعبه ما بلغه من سقوط بخارى وما أصابه من تخاذل الناس عنه والتخلفهم بالمغول ، حتى كان منهم أخواله ، حينئذ انقطع أملهم من البلاد ، واصبح كما يقول النسوى « ومن هناك وهى الامر ، وانبتق العسكر ، وانفصمت العرى وانتقضت الراير والقوى ، ولكل مرير انتفاض ، ولكن أمر انقراض كذلك يؤتى الله الملك من يشاء وينتزع من يشاء وهو الفعال لما يريد (٢٦٧) •

وقد أرسل السلطان وهو فى مدينته ترمذ الى أهل بيته أن يخرجوا من خوارزم وإن يتوجهوا لمقابلته فى مازندران ومن هذه

---

(٢٦٥) ابن الاثير، الكامل ج ٩، ص ٣٣٤ •

(266) D'ohsson « Histoire des mongols » p. 260.

(٢٦٧) النسوى ص ١٠١ •

المدينة أسرع هاربا الى طرس والتي هجرها بسرعة واسرع الى نيسابور  
•• في الوقت الذي أمر فيه جنكيز خان رجاله بتعقبه قائلين لهم  
« اطلبوا خوارز مشاه ايين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه  
وتأخذوه » (٣٦٨) •

في هذه الفترة قرر السلطان علاء الدين الاتجاه الى العراق  
العجمي نزولا على نصيحه عماد الملك وزير ابنه « ركن الدين » الذي  
بعث وزيره الى ابنه ليستفيد من خبرته في ذلك الوقت العصيب ،  
لذلك أشار عماد الملك على السلطان ان يتجه الى العراق العجمي وأوهمه  
انه سيجد عنده المال والرجال الذين يساعدونه في صد المغول (٢٤٩) •  
وقد اجتاز علاء الدين الطريق الى بسطام حيث وقع اختياره على أحد  
خدمه الخصوصيين ، وكان يثق فيه ثقة تامة ، فسلمه عشرة صناديق  
مملوءة بالجواهر والنفائس ، وأمره بأن يحفظها في قلعة أردهن (٢٧٠) •  
ولكن هذه النفائس وقعت كلها في أيدي المغول عقب القضاء على  
السلطان بمدة قصيرة وأرسلت جميعها الى جنكيز خان •

أما عن الجيش المغولي فقد قرر اللحاق بالسلطان الخوارزمي  
الى نيسابور فعبروا نهر جيحون بطريقة أوضحها لنا الاثير اذ  
انهم لما أقتربوا من النهر لم يجدوا هناك سفنا تصلح للعبور ،  
فصنعوا احواضا من الخشب وكسوها بجلود البقر لئلا يتسرب الماء  
اليها ، ثم وضعوا فيها اسلحتهم وامتعثهم والقوا بخيولهم في الماء  
وتعلقوا بأذنا بها بعد أن شدوا تلك الاحواض الى اجسادهم « فكان

---

(٢٦٨) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٣٣ •

(269) D'ohsson «op. cit» p. 243.

(٢٧٠) احدى القلاع بين دماوند ومازندران على مسافة ثلاثة ايام

من الري • الصياد « المغول » ص ١٢٠ •

الفرس يجذب الرجل ، والرجل يجذب الحوض المملوء بالسلاح وغيره ،  
فعبثوا كلهم دفعة واحدة » (٢٧١) .

وقد سارت القوات المغولية وراء السلطان الهارب بسرعة  
مذهلة حتى أنها لم تترك له وقتاً لرؤية نسائه واهل بيته الذين  
جاءوا من خوارزم (٢٧٢) . وكانوا يعينون على كل مدينة يفتحونها  
قائداً من رجالهم ، حتى نجحوا في الوصول الى العراق العجمي  
واستولوا على مدينة الري والتي كان لسقوطها أثراً بالغ في نفوس  
الخوارزميين ، فقد أيقن الامراء وقواد الجيوش أنه لافائدة من الدفاع  
واخذ كل منهم يفكر في الطريق الذي ينبغي من الهلاك ، وانصرف  
كل الى شأنه ، وهكذا تفرقت بقايا الجيش الخوارزمي واستولى الفرع  
على نفوس الجميع (٢٧٣) .

اما السلطان محمد فقد كان يفكر في الهرب الى بغداد علة يجد  
مخرجاً من هذا المأزق عند الخليفة العباسي ، غير انه اضطر الى الرجوع  
عن هذه الفكرة عندما علم أن المغول يتابعونه ، وان الفرصة ضاعت ولم  
تعد تسنح له لتحقيق هذه الخطة (٢٧٤) . وفي خلال متاهات مازندران  
وشعابها ، استقر خوارزم شاه في قرية أبسكون على بحر الخزر  
القريبة من استراباد (٢٧٥) . وقد كان السلطان محمد يحضر الى المسجد  
في هذه القرية « ويصلي به امام القراءة الصوات الخمس ، ويقرأ له  
القرآن وهو يبكي وينذر النذور ويعاهد الله باقامة العدل ان كان  
يكتب سلامته ويقيم في الملك دعامته » (٢٧٦) .

---

(٢٧١) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٣٤ .

(٢٧٢) الغامدي « ص ٣٠٢ » .

(٢٧٣) الصياد « المغول » ص ١٢١ .

(274) D'ohsson «op - cit» pp. 251 - 242 .

(٢٧٥) فامبري « تاريخ بخاري » ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(١٧٦) النسوي « سيرة السلطان جلال الدين » ص ١١٦ .

ومما يؤسف له أن هناك بعض رجال السلطان علاء الدين محمد انضموا في هذه الفترة الى التتار ومنهم ركن الدين كجود خسان وذلك لان السلطان كان قد قتل عمه نصره الدين وابن عمه عز الدين كيخسرو ، لذلك قرر الانتقام من السلطان ، وشارك التتار في هجومهم على القرية ، وسهل لهم ذلك (٢٧٨) .

وعندما علم السلطان بنياً هذا الهجوم ركب سفينته واسرع بها ، بينما كانت سهام الاعداء تنهال عليه من كل جانب دون أن تصيبه وبلغ من حرص المغول على القبض عليه أن القى الكثيرون منهم بأنفسهم في الماء يريدون اللحاق به ، والقبض عليه فلقوا حتفهم غرقاً . واخيرا استطاع أن يصل سالماً الى الجزائر الصغيرة المنعزلة في بحر قزوين « فاقام بها طريدا فريدا لا يملك طارفا ولا تليد » (٢٧٨) .

ويضيف النسوي أن أهل مازندران كانوا أصحاب نخوة فكانوا يقدمون الى السلطان الطعام والشراب وكل ما شهيته فكان أن اهدوه فرسا رغب فيه ومن عجائب الامر أن السلطان كان يكتب لكل من يقدم اليه طعاما أو شرابا كان يكتب له « توقيعا لمنصب جليل أو اقطاع طائل » ومنهم مما كان يكتب ذلك لنفسه ، حتى أن ابنه جلال الدين منكبرتي اضطر الى أن يفى بالتزامات أبيه عندما تقلد السلطة فيما بعد .

الا ان المرض اشتد بالسلطان خاصة عندما وصلتته أنباء أسر والدته وابنائها وما حل بهم ، فاشتد عليه الحزن ، مما أدى الى وفاته في نفس الجزيرة التي نزل بها . ولم يجدوا له ما يكفونونه به فكفن بقميص الشخص الذي اغسله وهو شمس الدين محمود الجاويش ودفن بالجزيرة سنة ٦١٧ هـ .

( ٢٧٧ ) نفسه .

( ٢٧٨ ) النسوي : نفسه ص ١٠٧ .

وقد نعام النسوى بقوله له (٢٧٩) •

أذل الملوك مصاد القروم	وصير كل عزيز ذليلاً
وحف الملوك به خاضعين	وزفوا اليه رعيلاً رعيلاً
فلما تمكن من أمـره	مصارى له الارض الا مليلاً
وأوهمه العزآن الزمـان	إذا رame ارتدعنه كليلاً
أنته المنية مغتـاظه	وسلت عليه حساما صقيلاً
فلم تعن عنه حمـاة الرجال	ولم يجد قيل عليه فتيلاً
كذلك يفعل بالشـامتين	ويفنيهم الدهر جيلاً فجيلاً

أما ابن الوردى فيقول (٢٨٠)

وفارق المسلمين اوطـانه	وملكه متخفا بالمـرض
وكم حوى من جوهر مـثمن	فما فدى الجوهر هذا العرض

ويذكر الذهبى ان سبب وفاة السلطان أنه أصيب بالاسهال  
وطلب الدواء فأعوزه الخبر فمات (٢٨١) •

وبذلك آلت السلطة فى الدولة الخوارزمية الى اينه جلال  
الدين منكبرى •

---

(٢٧٩) النسوى .. ص ١٠٨ •

(٢٨٠) ابن الوردى « تتمه المختصر فى اخبار البشر » ص ١٥٥

(٢٨١) الذهبى « العبر فى خبر من غير » ج ٥ ص ٧٠ •



## الفصل الخامس

جلال الدين منكبرتي

ومحاولة تثبيت الملك المتداعي

السلطان جلال الدين منكبرتي هو ابن السلطان علاء الدين محمد ،  
الأكبر الا أنه لم يعهد اليه بولاية العهد في حياته بل جعلها لآخيه  
قطب الدين أزلاغ شاه ، ولم يتراجع السلطان علاء الدين محمد عن  
قرار التولية هذا الا وهو على فراش الموت سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م  
حيث أوصى بها لجلال الدين منكبرتي لثقته في شجاعته والثبات  
تاريخيا أن السلطان علاء الدين محمد قد قسم الملك في حياته بين  
ابنائهم فعين لكل واحد منهم بلادا ، ففوز خوارزم وخراسان  
ومازندران الى ولي عهده قطب الدين أزلاغ شاه « (١) وسبب تخصيصه  
لولاية العهد دون أخويه الكبيرين جلال الدين منكبرتي ، وركن الدين  
غورشا ، اتباعه لرأى والدته ترکان خاتون وتحريه مرضاتها « (٢)  
حيث كانت أم قطب الدين أزلاغ من نفس قبيلة ترکان وعشيرتها ،  
ففضلته على غيره ، وبذلك نرى مدى تدخل الملكة الام في شئون الدولة  
وكيف أنها كانت سببا من الاسباب الرئيسية لزعة ملك ابنها علاء  
الدين محمد +

أما عن نصيب السلطان جلال الدين في هذا التقسيم فقد عينه  
أبوه على ملك غزنه وباميان والغور وبست وتكياباد وزمين داور وما اليها

---

(١) النسوى « سيرة السلطان جلال الدين » ص ٧١ .

(٢) نفسه .

من الهند ، ورغم هذا التقسيم الا أن السلطان علاء الدين كان محبا في قرارة نفسه لابنه جلال الدين ، وكان يرى أنه احق بالسلطة وولاية العهد لانه على قدر كبير من الشجاعة والبسالة ، لذلك لم يجعله يتوجه الى بلاد الهند في حياته بل عين له نائبا يدعى كيرير ملك ، ولم يتوجه جلال الدين الى بلاد الهند الا بعد مهاجمة المغول له فيما بعد .

وقد كانت تركان خاتون تكره جلال الدين كراهية شديدة . حتى انها بعد ان تعرضت للأسر على يد جنكيز خان طلب منها بدر الدين هلال الخادم أن يتفقا على الهرب الى جلال الدين وذكرها « أن الإختيار قد تواترت بشوكته وبسطة ياعة واتساع عراضه » (٣) . إلا أنها رفضت قائلة « كيف يهون على أن اكون في نعمة ابن أبي جيجاك » (٤) فالأسر عند جنكيز خان أجيب الى من ذلك .

ومع ذلك وعنديها تغيرت الظروف على السلطان علاء الدين محمد ، وفر هاربا من المغول عند قلعة أسترآباد . فما كان منه الا ان « ارتقي زمان جلال الدين الى درجة الملوكة فوفي له حقه بالاحسان والانعام جزاء له عن خدمته للسلطان » (٥) . والواقع ان الظروف هي التي خدمت جلال الدين لولاية العهد . فأولا الاجوال السيئة التي آل اليها السلطان علاء الدين ، وثانيا عندما علم بنبأ أسر والدته تركان خاتون ، فحسب أنه قد تجلج من سيطرتها ونفوذها ، وقام بتنفيذ قراره الذي صعب عليه تنفيذه أثناء وجودها .

وعندما قلد علاء الدين محمد ابنه جلال الدين منكبرتي في استرآباد أمراً ببناءه الآخرين أن يقفوا وراءه ليساندوه وان يخلصوا في ولائهم

(٣) النسوى ص ٩٦ .

(٤) اسم والده جلال الدين منكبرتي .

(٥) النسوى ص ١٠٧ .

له ، وإن يخضعوا طائعين لاوامر <sup>(٦)</sup> وكان علاء الدين محمد يرى أن ابنه جلال الدين هو الشخصية التي تصلح للوقوف أمام جحافل المغول حيث بين له « أن عرى السلطنة قد انقضت والدولة قد وهت قواعدها وتهدمت ، وهذا العدو قد تأكدت أسبابه وتشبعت بالملك أظفاره وتعلقت أنيابه ، وليس يأخذ ثأرى منه إلا ولدى منكبرتي » <sup>(٧)</sup> :

أما الجويني فإنه يخالف ما ذهب إليه النيسابوري في أن السلطان علاء الدين قد عزل أوزلاغ شاه عن العرش ، وعين جلال الدين <sup>(٨)</sup> . ويهمننا الآن أن نرى أحوال مدينة خوارزم بعد أن خرجت منها تركان خاتون ، ووفاة السلطان علاء الدين .

تولى أمر خوارزم بعد هذه الأحداث رجلا يدعى كوه دروغان — كان سيئا ، تعثرت الأحوال في أيامه ، وتدهورت أحوال الناس حتى أن الأموال ضاعت ، وأصبحت مفتوحة لكل مختلى كما أن أحوال الجهات المجاورة أصابها ما أصاب خوارزم من تدهور ، حتى استطاع أحد نواب السلطان الوصول إلى خوارزم وقام بإصلاح ما أفسده كوه دروغان .

وظل الحال على ذلك حتى قدم إلى هناك السلطان جلال الدين منكبرتي وأخوه أوزلاغ شاه وأق شاه <sup>(٩)</sup> .

استقبل الناس في خوارزم جلال الدين منكبرتي وأخواه استقبالا

---

(٦) رشيد الدين « جامع التواريخ » ج ١ ص ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(٧) النسوي « سيرة السلطان جلال الدين » ص ١٢٠ .

(٨) Juwaini «op. cit» vol. II p. 401.

(٩) النسوي ص ١٢١ .

( م ١٣ — التاريخ السياسي )

حسننا وفرحوا كثيرا لمقدمهم» وتباشر الناس بقدمهم تباشر من أعزل  
داؤه فظفر بدوائه» (١٠) •

الا أن هذا الموقف الهادئ لم يلبث أن انقلب الى مشاكل  
سياسية كبيرة وبدأت عوامل الفرقة والتفكك تعمل في داخل  
البيت الخوارزمي • ولعل بداية هذه الفتنة ترجع الى وجود أعداء  
كبيرة من الاثراك القنقلى كانوا كلهم من نفس قبيلة ترکان خاتون والى  
السلطان علاء الدين وقد ذكرنا أن ترکان خاتون كانت ترغب في اوزلاغ  
شاه لذلك سار جميع هؤلاء الجنود الاثراك سيرتها ، وكرهوا أن  
نتغير ولاية العهد لصالح جلال الدين منكبرتي ، وبما أن هؤلاء الاثراك  
كانوا يمثلون النسبة الكبرى في الجيش الذى جمعه جلال الدين ، وكان  
يقدر بحوالى سبعة آلاف فارس • لذلك اصبح السلطان فى وضع سياسى  
سبى •

ويذكر الجوينى فى ذلك انه على الرغم من أن الغالبية العظمى من  
الشعب والطبقات الراقية والتركية والرجال المتعلمين من جميع فئاتهم  
ناصروا جلال الدين وحذبوا أن يتولى الحكم بعد والده ، وكانوا يرغبون  
ان يخدموا تحت سلطته الا أن الاثراك اجبروه على أن يهجر جرجانية  
واقليم خوارزم (١١) •

وقد حاول جلال الدين اخضاعهم بالقوة فتآمروا على قتله ، وقد  
كانت القوات التركية التى يقدر عددها بسبعة آلاف جندى تحت قيادة  
«مقدمهم توخى بهلوان الملقب بقتلغ خان ويقال انه خال اوزلاغ  
شاه» (١٢) حتى انهم بدعوا يحرضون اوزلاغ شاه على أخيه وينكرون

---

(١٠) نفسه ص ١٢٢ •

(١١) Jawaini «op - cit» sol II p. 402.

(١٢) النسوى ص ١٢٢ •

عليه « رضاه بالخلع كفرانا للنعمة وتواطأوا على أن يقبضوا على جلال الدين فيسلموه أو يقتلوه » (١٣) الا أن الاستاذ بارتولد أورد رواية وهي أنهم قرروا سمل عينيه (١٤) .

لذلك لم يجد جلال الدين مفرا الا النجاة والهرب ، خاصة بعد أن أعلمه أحد رجاله المدعو اينانج خان بخطة الجنود الاتراك فأشار عليه اينانج بالرحيل صوب خراسان ، مصطحبا معه ثلاثمائة فارس وجعل قيادة هذه القوات للقائد نيمور ملك على حسب رواية دوسون D'ohsson أما رواية النسوى فيذكر « دمر ملك » (١٥) . وهو حاكم مدينة جند . وعبر جلال الدين الصحراء التي تفصل اقليم خوارزم خراسان في ستة عشر يوما وصل بعدها الى الاراضى القريبية من مدينة نسا (١٦) .

وقد استمر اوزلاغ شاه مقيما في خوارزم ومعه القوات التركية المتمردة لمدة ثلاثة أيام فقط ، اضطروا بعدها الى الهرب من خوارزم عندما وصلت الى أسماعهم أخبار قدوم القوات المغولية جادة في السعى للوصول الى جلال الدين واخواته .

لذلك هرب اوزلاغ شاه وأخيه اق شاه نادمين على موقفهم من اخيهم جلال الدين حيث كان هو الشخصية التي من الممكن الاعتماد عليها في قهر هذه القوات المغولية لما فيه من قدرات قتالية . فحاول اوزلاغ أن يقتفى أثره باحثا عن خبره سالكا حيث سلك سائرا

---

(13) Barthold «Turkstan down to The mongal invasion. p. 32.

(14) Barthold p. 432.

(١٥) النسوى ص ١٢٢ .

(16) D'ohsson p. 262.

منجدا كان أو غائرا<sup>(١٧)</sup> ولحسن حظه أن تقابل مع رسول من مدينة نسا ، فأنعم عليه أوزلاغ شاه نعمًا كثيرة ؛ وكتب له إقطاعا لصاحب مدينة نسا . وبينما هم في محادثاتهم هذه عند منطقة مرج سائغ بالقرب من نسا . إذ وصلت اليهم الأخبار بوصول قوات التتار بالقرب منهم ، عندئذ هرب أوزلاغ شاه وأخيه فتبعته قوات المغول الى منطقة أستوا<sup>(١٨)</sup> والتقت القوات الخوارزمية بقيادة أوزلاغ شاه مع قوات المغول وأسفرت النتيجة عن انتصار مبدأى أدى الى غرور أوزلاغ شاه بقوته .

لم يتصور أوزلاغ شاه أن هناك قوات أخرى للمغول موجودة بخراسان فلم يلبث أن فوجيء بأن هناك قوات أخرى تحيط به وبقواته حتى تمكنوا من القبض على الأخوين أوزلاغ شاه وأق شاه . وقاموا بقطع رأسيهما « وقد نصبا على الرماح رغما للاحرار وكيادا النظار »<sup>(١٩)</sup> وذلك من أجل الامعان في تحقيق الخوارزميين .

وبذلك أصبح الصدام بين جلال الدين منكبرتى والمغول وشيكا .

## الدور الاول

### السلطان جلال الدين منكبرتى والمغول

لقد رأينا كيف نجح جلال الدين منكبرتى في الهروب الى حدود مدينة نسا ، الا أن المغول بدعوا بعد ذلك في الاستعداد للحاق به . فقد قام جنكيز خان بتجهيز جيوشه للتوجه الى مدينة خوارزم حيث جعل القيادة لابنائيه جوجى وجغتاي واوكتاي الذين كانوا قد

(١٧) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين . ص ١٢٩ .

(٨) أستوا كوره من نواحي نيسابور . ياقوت ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٩) النسوى ص ١٣٠ انظر .

Peter Brent « The mongol empire » p. 68.

اتموا فتح بلاد ما وراء النهر بالاشتراك مع جيوش جنكيز خان ولكي يحاصر جنكيز خان أبناء السلطان الراحل علاء الدين محمد من كل جهة أمر جيوشه في خراسان بأن تقف على الحدود الجنوبية للضخراء التي تفصل خوارزم عن خراسان وقد نجح جلال الدين منكبرتي في التصدي لهذه القوات التي كانت تقدر بحوالي سبعمائة مقاتل في حين كانت قواته لا تتجاوز ثلاثمائة مقاتل ، وغنم ما معهم واخذ طريقه الى مدينة نيسابور (٢٠) .

وعندما وصل جلال الدين الى نيسابور بدأ يجهز القوات ويراسل الاطراف لجمع الجيوش لمواجهة المغول ، وقد ظل مقيماً في نيسابور ما يقرب من شهر ، حتى بدأت قوات المغول في مداهمته لذلك ترك نيسابور ومعه القوات الخوارزمية متجها الى زوزن (٢١) ومثلاً الى بست (٢٢) وهناك علم أن القوات المغولية محتشدة في إقليم الطالقان وبعدها نجح جلال الدين في سحق قوة مغولية كانت محاصرة لقلعة قندهار « فنهض اليهم ، واعداً الله لهم عارون لا يدرون كيف ترصدهم النوائب وتحيط بهم المصائب » (٢٣) فلم ينج منهم الا من لاذ بالفرار الى جنكيز خان ، وبعدها اخذ جلال الدين منكبرتي طريقه نحو عاصمته غزنه فدخلها « ظاهراً ظافراً ولله على تيسير النجح شاكر » (٢٤) .

---

(20) Phillips. ED « The Mongols. » p. 62.

Saunders « The history of The mong ol Conquest » p. 59.

(٢١) النسوى : ص ١٣٢ وزوزن احدى مدن خراسان وتقع بين نيسابور وهراة .

(٢٢) مدينة بين سجنستان وغزنه وهراة . ياقوت ، معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢٣) النسوى « المصدر السابق » ص ١٣٣ .

(٢٤) المصدر السابق ص ١٣٤ .

وقد رحب به الاهالى ، وانضم تحت لوائه جموع كثيرة من مختلف الاجناس ، كما أسرع الى الانضمام اليه الجنود الخوارزمية المشتته فى كابل وبيشاور وغيرهما من المدن الواقعة على حدود الهند وبذلك استطاع أن يجمع جيشا بلغ ستين ألفا من المشاه وسبعين ألفا من الخياله (٢٥) .

#### • سقوط خوارزم

اثناء الدور الذى تحرك فيه جلال الدين منكبرتى حتى وصوله الى عزنه كانت القوات التى بعث بها جنكيز خان المثلة فى أنبائه الثلاثة جوجى وجغتاي واوكتاي ، قد أخذت طريقها صوب خوارزم لان جنكيز خان يعرف جيدا أهمية موقع خوارزم وكثرة عدد السكان فى هذا الاقليم وما اشتهر عن اترك القنقلى من شجاعة وبأس فقد اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة ، ولم يدخر وسعا فى جلب معظم قواته من عدة جهات حتى وصلت القوات نحو ١٠٠ر٠٠٠ جندى (٢٦) . فى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الخوارزمية فى ظروف سيئة خاصة بعد أن رحل عنهم جلال الدين منكبرتى وقتل اخواه .

وبعد وصول قوات المغول الى حدود المدينة ، حاصروها حصارا شديدا امتد ما يقرب من سبعة شهور ، وقد قاسى المحاصرون شديدا من جراء ذلك وتكبدوا خسائر كبيرة ، بل ان الخلافات دبّت بين جوجى وجغتاي خاصة وان والدهم جعل القيادة لاوكتاي (٢٧) .

طلب المحاصرون من أهل المدينة التسليم ، ووعدوهم الامان الا أن أهل المدينة استهانوا بهذه القوات وقد وصفهم النسوى بأنهم

---

(٢٥) الصياد « المغول فى التاريخ » ص ١٣٣ .

(٢٦) المرجع السابق ص ١٢٥ .

saunders « op. cit., » p. 59.

Phillips « op. cit., » p. 62.

(27) Saunders « op. cit » p. 60.



السفهاء حتى أنهم قد نفذوا رأيهم على غيرهم الذين رغبوا في السلم كما ان جلال الدين منكبرتي بعث اليهم ينصحهم بالتسليم السلمى الا أنه « لم ينفع ما قدم من التنبيه » (٢٨) وهنا انقض عليهم جوجى خان ، وطوقهم من كل جانب ، وصاروا يعملون فبهم سيوفهم حتى اذا آذنت الشمس بالمغيب كانوا قد اهلكوا عددا كبيرا من هؤلاء الجنود » (٢٩) .

وقد صور بن الاثير ما حدث تصويرا دقيقا فيذكر ، « ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة ، وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التى تليهم ، فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون ، فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه ، وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ، ثم انهم فتحوا السد الذى يمنع ماء جيحون عن البلد ، فدخله الماء ، فغرق البلد جميعه ، وتهدمت الابنية ، وبقي موضعه ماء ، ولم يسلم من أهله أحد البتة ، فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله منهم من يختفى ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو واما أهل خوارزم فقد اختفى من التتر غرقه الماء أو قتله الهرم فاصبغت خرابا بيابا » .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر (٣٠)

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أيشى ولم يسمر بمكة سامر (٣٠) وبذلك نرى مدى ما أصاب مدينة جرجانية حاضرة خوارزم حيث يصور لنا المؤرخان ساوندرس Saunders وفيليب Phillip أن المدينة

---

(٢٨) النسوى « المصدر السابق » ص ١٧٢ .

(٢٩) نفسه ص ١٧٣ .

(٣٠) ابن الاثر « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٣ زبنى دحلان « الفتوحات

الاسلامية » ج ٢ ص ٤٣ .

أصبحت جطاما ، فقد أغرقتها مياه السدود ، وقاموا بذبح السكان الرجال والنساء والأطفال ولم يستثنوا غير حوالي مائة ألف من الصناع أرسلوهم إلى بلاد المغول (٣١) .

وقد أكد النسوي هذا الرأي الذي أورده هذان المؤرخان الغربيان حيث قال « و امر فأخرج الناس فرادا وثباتا وجموعا واشتاتا ونودي بانفراد أرباب الصنائع وانعزالهم ناحية فمنهم من فعل ونجا ومنهم من اعتقد أن أرباب الحرف تيساق إلى بلادهم (٣٢) » .

وهكذا بهزم الوحشية التي تفوق جد الوصف لم يبق أجدر علي قيد الحياة من سكان المدينة ، وبلغ عدد القتلى كثرة هائلة إلى حد أن أحد المؤرخين امتنع عن احصاء هؤلاء القتلى الذين راجوا نتيجة هذه المذبحة (٣٣) .

وبذلك زالت جرجانية عاصمة خوارزم ، بعد حصار استمر أربعة أشهر وأُفتتح الطريق للمغول للاستيلاء على إقليم خراسان.

#### • الاستيلاء على خراسان

فكر المغول في الهجوم على خراسان منذ أن بدأ هجومه على إقليم خوارزم ، وكان أول ما فعله القائد المغولي ازاء خراسان أن امر بارسال فصائل من جيشه في ذلك الوقت الذي أرسل فيه جيشا إلى إقليم خوارزم ليسد المسالك على الخوارزميين حتى لا يترك لهم سبيلا للهرب (٣٤) .

---

(31) Saundres « op. cit., » p. 60.

Phillips « op. cit., » .

(٣٢) النسوي « سيرة السلطان » ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(33) Juwaini « op - cit » al II. p. 462 — 464.

(٣٤) نهى « المغول » ص ٦٧ .

وقد تعرضت خراسان قبل ذلك بفترة يسيره لغزو مفاجيء قام به كل من جبهه نويان وسوبوتاي حينما كان يطاردان السلطان علاء الدين محمد ، فاستوليا على بعض المدن الخراسانية الهامة مثل نيسابور مثل جيش الاحتلال المغولى فى خراسان ليل العدد ، ذلك لأن القائدين المغولين لم يهتما كثيرا باخضاع خراسان قدر اهتمامهما بمطاردة الخوارزمشاه واسرته (٣٥) .

وقد استمر الوضع على ذلك الى أن قام جنكيز خان باخضاع جميع المدن الواقعة فى اعالي نهر جيحون ، ومن أشهرها ترمذ وبلخ ومن العجيب ان جنكيز خان لما استولى على مدينة ترمذ أمر باخراج جميع السكان من المدينة أوامر جنده بقتلهم جميعا وقد حدث أن هم أحد المغول بقتل امرأة عجوز فأرادت هذه المرأة ان تفتدى نفسها بجوهرة ثمينة كانت تملكها ، فلما طالبها المغول بهذه الجوهرة ، ذكرت انها ابتلعته فى جوفها ، فشق المغولى بطن المرأة ، واخرج الجوهرة من جوفها . وقد انتشر الخبر سريعا بين المغول ، فظنوا أن السكان جميعا قد خبأوا الجواهر فى بطونهم ، لذلك أمر جنكيز خان بشق بطون جميع الموتى للبحث عما عسى أن يكون فيها من جواهر (٣٦) .

وقد قرر جنكيز خان ألا يستمر فى فتح بقية المدن فى هذا الاقليم ، وسار نحو الطالقان ليواصل اخضاع المدن الواقعة فى أعمال نهر جيحون تاركا فتح خراسان لابنه تولوى .

وقد اطاع تولوى أوامر أبيه وقاد جيشا يبلغ سبعين ألف مقاتل سنة ٦١٧ هـ وكانت طلائع هذا الجيش تقدر بحوالى

---

(٣٥) نفسه .

(36) D'ohsson « op - cit » p. 271.

عشرة آلاف جندي بقيادة « طغا جارئويان » زوج ابنه جنكيز خان ، واتجهوا نحو مدينة نسا (٣٧) .

ويطلق النسوى على هذا القائد لقب « تفجار نويين » وعلى زميل له تسمى بركانوين ، ويذكر انهما توجهوا الى خراسان « لنهبها واحراقها وامتصاص مخ عظامها ، ودم أعراقها » (٣٨) .

وقد وصلت فرقة من هذا الجيش الى مدينة نسا كما ذكرنا وكان على قيادتها القائد بل كوش الذى تعرض لسهم من سهام المدافعين عن هذه المدينة فسقط قتيلًا ، لذلك قاموا على أهل هذه المدينة ، وتحرك طغاجار لمحاصرة المدينة حتى ذكر النسوى أنهم « قدموا حصارها على حصار سائر المدن بخراسان » (٣٩) وبدعوا بحصار قلعتها لمدة خمسة عشر يوما لم يفتروا عن القتال ليلا ولا نهارا ، ونصب عليها عشرون منجنيقا تجذبها الرجالة الذين جمعوا من أطراف خراسان ، وكانوا يسوقون الاسرى تحت الدبابات حتى يوصلوها الى السور ، فان لم يقتلوا بها قطعوا رقابهم ، فظلوا كذلك حتى نجحوا فى اسقاط المدينة الوقت التى كان « الناس قد استحفوا فى بيوتهم الى أن اضاء النهار نزلوا اليهم من السور ساقوهم الى فضاء وراء البساتين يسمى عوربان كأنهم قطعان الضانية تسوقها الرعا » (٤٠) .

وقد أمن التتار الناس ، وبعدها حشروهم الى ذلك الفضاء الواسع بالصغار والنساء والفجيج يشق جلبات السماء والصياح يسد منافذ الهواء ، ثم أمروا الناس بأن يكتف بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا ، والا فلو تفرقوا وطلبوا الخلاص غدوا من غير قتال ، والجبل.

---

(37) Saunders « op - cit » p. 60.

(٣٨) النسوى « نفسه » ص ١١٣ .

(٣٩) النسوى ص ١١٤ .

(٤٠) نفسه .

تريب لنجا أكثرهم وحين كتفوا جاء واليهم بالقوس واضجعوهم على العدا واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء (٤١) حتى قيل أن عدد من قتل من سكان تلك المدينة بلغ أكثر من سبعين ألف •

توجه طغاجار بعد مذبحة نسا الى مدينة نيسابور في سنة ٦١٧ هـ وهاجم المدينة ، فقتل بسهم من سهام المسلمين وتولى القيادة بعده تولوى (٤٢) •

#### • الاستيلاء على مرو •

كانت مرو هدفا أساسيا لجيش تولوى وقد كان الخوارزميون قد اختاروها حاضرة لهم لما لها من الغنى والثراء والحضارة •

وكانت عدة جيش تولوى حوالى سبعين ألفا منهم اعداد كبيرة من أسرى البلاد التى فتحوها ، وعندما رأى أهل البلاد ضخامة هذا الجيش أرسل علماء الدين الى تولوى يعرضون عليه التسليم فخدعهم تولوى بالموافقة ، حتى انهم أرسلوا الى امير المدينة يقولون « لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا نجعلك أمين هذه البلدة ونرحل عنك (٤٣) الا أنه نقض العهد وقبض على رسل المدينة واميرهم وكتفوهم ، وبعدها جمعوا أهل المدينة من التجار وأرباب الاموال وضربوا رقابهم « واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال » • فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل (٤٤) وبعدها أحرقوا المدينة وأحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال وفى اليوم الرابع قتلوا أهل البلاد كافة (٤٥) حتى بلغ عددهم

---

(٤١) نفسه ص ١١٥ •

(٤٢) ابن الاثير الكامل ص ٣٤٢ •

(٤٣) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٢ •

(٤٤) نفسه •

(٤٥) نفسه •

حوالى سبعمائة ألف قبيل \* أما الجوينى فيقدرهم بحوالى مليون وثلاثمائة ألف غير الجثث<sup>(٤٦)</sup> التى كانت فى أماكن خفية لا يستدل عليها .

### الاستيلاء على نيسابور :

لقد سبق أن ذكرت أن المغول قد هاجموا نيسابور على يد طغاجار الا أنه أصيب بسهم أصاب منه مقتله لذلك ، تيقن المغول أنه لابد من جمع جيش كثيف ليتمكنوا من اسقاط هذه المدينة لذلك نراجعوا عنها الى مرو كما ذكرنا ، واتصلوا بجنكيز خان يطلبون منه النجدة \* فبعث اليهم بنجدات ، ذكر النسوى على قيادتها « بقيقو نوين ، وقد بوقا نوين وطولون حربى »<sup>(٤٧)</sup> الا أن الثابت تاريخيا أن القيادة العسكرية مازالت فى يد تولوى بن جنكيز خان<sup>(٤٨)</sup> حتى بلغ عدة جيشهم خمسين ألف فارس .

كان بداية الهجوم على هذه المدينة سنة ٦١٨ هـ ، فبدأ تركيز الهجوم على شرق المدينة ، وأحاطوها بالدبابات والمنجنيقات ، فى الوقت الذى وقف فيه أهل المدينة وقفه رجل واحد ضد هذا الغزو ، الا أن قوة المغول كانت أكثر منهم ، فأرسل الاهالى نوابا عنهم الى معسكر المغول على رأسهم قاضى قضاة خراسان ليعرض الصلح على تولوى ، ويتعهد بدفع الاموال الا أن تولوى غدر به<sup>(٤٩)</sup> .

قرر تولوى بعد ذلك الامعان فى حصار المدينة ، حتى سقطت من جميع جهاتها ، واندفعوا داخل المدينة كالسيل العرم الذى

---

(46) Juwaini « op - cit » vol II p. 407.

(٤٧) النسوى « سيرة السلطان جلال الدين » ص ١١٨ .

(48) D'ohsson « op - cit » p. 288.

(49) Juwaini « op - cit » p. 407 — 408.

لا يبقى ولا يزر وانقضوا على السكان كالوحوش الضارية » حتى  
سال بها السيل ، وطاف بها الويل ، وناح عليها التهار  
والليل « (٥٠) .

وقد دخلت ابنه جنكيز خان « أرمله طغاجار » يصحبها عشرة آلاف  
رجل فقتلوا كل من صادفهم من رجال ونساء واطفال ، ولم يتركوا  
حتى القطط والكلاب ، وذلك تأرا لمقتل زوجها (٥١) .

يعرض لنا المؤرخون المسلمون الكثير عن أنواع التعذيب  
التي لاقاها أهل هذه المدينة ، فيذكر ابن الاثير انهم « قتلوهم  
وسبوا حريمهم ، وعاقبوا من اتهموه بمال \*\*\* واقاموا خمسة عشرة  
يوما يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال \*\*\*\*\* وأمروا بأهل  
نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد » (٥٢) .

أما الجويني فيذكر « أنهم قطعوا رؤوس القتلى ، وبنوا منها أهرامات  
عاليه أحدها للرجال والآخر للنساء والثالث للأطفال ، وبذلك ضمنوا  
ألا ينجو مخلوق من حد سيفهم بادعائه الموت وارتمائه بين الاشلاء  
والجثث المتراكمة » (٥٣) . « ويذكر ميرخواند » أراد تولوى أن يطمئن  
الى القضاء على جميع السكان فترك بعد رحيله عددا من الجنود لقتل  
السكان الذين قد يظهرون بعد رحيل الجيش المغولى ، وفعلا ظهر  
عدد منهم كانوا مختبئين بين القتلى أجهز عليهم المغولى ، وقد قدر عدد  
من قتل من سكان مدينة نيسابور بنحو مليون ونصف المليون » (٥٤) .

---

(٥٠) النسوى « نفسه » ص ١١٩ .

(٥١) ميرخواند « وضة الصفا » ج ٥ ص ١١٧ — ١١٩ .

(٥٢) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٣ .

(53) Juwaini « op. - cit » p. 408.

أما النسوى فينعى ويقول « أمروا الاسارى فبسطوها بالمجاريـف حتى صارت أرضا ملساء لامدرة بها ولا صخره يأمن فيها الفارس العثره فلعبوا فيها بالاكـره ، ومات اكثر أهلها تحت الارض اذ كانوا قد اتخذوا بها سراديب ونقوبا ظنوا انها ما نعتهم » (٥٥) .

#### الاستيلاء على هراه \*

بعد الانتهاء من أمر نيسابور كما أوضحنا اتجه المغول بقيادة تولوى صوب آخر مدينة من مدن خراسان وهى هراه التى يرى ابن الاثير أنها من أحصن البلاد » (٥٦) .

وقد أرسل تولوى رسولا من قبله يطلب من أهلها التسليم أو القتل ، وعندما رأى اصرار أهل المدينة على المقاومة ، قرر اعلان الحرب ، ومهاجمة المدينة ، وعندما رأى أهل البلاد أنه لا قبل لهم بمحاربة المغول أرسل حاكم المدينة يطلب التسليم ، بشرط تأمين الارواح ، فوافق تولوى . الا أنه بعد ان دخل المدينة ، بدأ فى قتل أتباع السلطان جلال الدين منكبرتى ، والتى بلغ عددهم ما يقرب من ١٢٠٠٠ شخص (٥٧) . أما بقية السكان فقد أبقى عليهم تولوى ، وجعل فى المدينة شحنة من المغول ، الا أن أهل المدينة انتهزوا فرصة خروج تولوى واتجاهه الى الطالقان للحاق بأبيه جنكيز خان الذى كان متجها لقتال جلال الدين فى غزنه — « حتى وثبوا على الشحنة فقتلوه » وبعدها قام المغول الذين عادوا اليهم ودخلوا المدينة عنوه .

---

(٥٤) ميرخواند « روضة الصفا » ج ٥ ، ص ١١٩ — ١٢٥ .

(٥٥) النسوى « سره السلطان جلال الدين » ص ١١٩ .

(٥٦) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٣ حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٥٧) براون « تاريخ الادب فى ايران » ص ٥٦٠ .



« وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد  
وخربوا المدينة واحرقوها » (٥٨) •

وبذلك حقق تولوى هدفا كبيرا من اهداف المغول وهو الاستيلاء  
على منطقة خراسان التي كانت من أهم ممتلكات الدولة الخوارزمية ،  
فانحسرت الآن أملاك جلال الدين منكبرتي ، لتكون في غزنة وبلاد  
الهند •

### المغول وجلال الدين منكبرتي

#### في غزنة

لقد بدأت هذا الفصل بعرض عام للدور الذي قام به جلال  
الدين منكبرتي منذ أن انفصل عن أخوته • حتى وصوله الى غزنة التي  
أراد اتخاذها قاعدة للنضال الاسلامي ضد المغول • خاصة  
واننا قد استعرضنا الآن كيف سقطت مدن خوارزم وما وراء النهر  
وخراسان لذلك كانت غزنة هي الاساس ، بل المقر الوحيد لبعث المقاومة  
الاسلامية •

وقد رأينا كيف استقبل أهل غزنة جلال الدين بعد انتصاراته التي  
حققها على المغول ، وانضموا تحت لوائه • • والحقيقة ان وصوله كان  
في الوقت المناسب اذ أنه أوقف صراعا عنيفا كاد أن يستقر بين أفراد  
الجيش الخوارزمي الاتراك والغوريين •

ولنا أن نستعرض الآن الاحوال في غزنة عند وصول جلال الدين  
اليها فقد كان النائب الاصلى عن جلال الدين منكبرتي هو كبر ملك  
الا أن اضطر ان يترك غزنة بناء على استغاثة أمين ملك حاكم هواه لكبر

---

(٥٨) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٣ •

peter Brent « op - cot » p. 72 .

ملك للتدوّم اليه بعسكره لمساعدته فى الاستيلاء على اقليم سبستان  
لذلك لبي كبر ملك الدعوة ، وتوجه الى أمين ملك لمساعدته ، فى هذه  
الونه كان هناك جندا كبيرا من الجنود الغور وهو اختيار الدين خربوست  
وهو حاكم اقليم بشاور موجودا ، فانتهاز فرصة خروج كبر ملك من  
غزنه « وانتهاز خلوها ممن يحميها وأراد تحريف كلمة الدعوة  
فيها » (٥٩) فدخل غزنه واحتلها ، واصبح هو الحاكم الفعلى  
عليها •

وقد كان على غزنه عند خروج كبر ملك فيها صلاح الدين محمد  
حتى تناط الفرصة للتخلص منه ، وحين وانتته ، نجح فى أن يضربه  
بخنجر فى صدره وقتل خربوست الذى اعتقد أنه كان يدبر مؤامرة  
عسكرية ضد السلطان جلال الدين منكبرتى (٦٠) •

وقد حاول الجوينى فى روايته لهذه الاحداث أن يفسرها على  
ضوء الخلاف الحاد الذى كان بين الجنود الاتراك والغوريين ، وعندم  
رغبتهم فى الاقامة على أرض واحدة • ومدى تعصب الغوريين لابعاد  
الاتراك عن غزنه ، كما أنه يختلف عن رواية النسوى التى تقول أن  
مقتل خربوست كان فى ميدان عام وأنهم قاموا بصلب ابن اخته تاج الدين  
الا ان الجوينى يذكر أنه قتل فى مأدبة اقيمت على شرفه ، فقام  
المتأمرون بالاحاطة به وقتله ، وقتلوا معه ابن اخته • تاج الدين (٦١) •

عندئذ قدم أمين ملك ودخل غزنه واعلن نفسه حاكما عليها  
من قبل السلطان جلال الدين •

---

(٥٩) النسوى ص ١٥٢ •

Juwaini « op. - cit » p. 461.

(٦٠) النسوى « نفسه » •

(٦١) Juwaini « op. cit » p. 461 — 463 .

وكانت هذه الاحوال المعاناة للعناصر المختلفة التى كانت تنقسم  
فى غزنة عند قدوم جلال الدين منكبرتى اليها \* ورغسم ذلك ففسد  
أوضحنا كيف اسقبل استقبالا طيبا « ففسد قباشر الناس بوصوله قبلش  
الصوام بهلال الفطر ، وذوى المحول والاعدام بانهلال القطر » (٦٣) .  
وقد انحسرت الفتنة عند قدوم جلال الدين ، فبدأت جميع هذه  
القوى تنضم الى لوائه من الخلج (٦٣) والفرس والأتراك وغيرهم \* حتى  
بلغ عدد جيشه ثلاثين ألف فارس وانضم اليه أمين ملك بقوة مماثلة (٦٤)

وبعد أن اجتمعت هذه القوات الخوارزمية \* خرج بجلال الدين  
فى ربيع سنة ٦١٨ هو ١٢٢١ تم الى السهول المحيطة بيروان فى الشمال  
الشرقى من غزنة ، وتقابل مع طلائع الجيش المغولى هناك ، فاستطاع  
ان يهزمهم ، وان يقتل منهم ما يزيد على الالف جندى ، وفر الباقون  
الى أن عبروا نهر جيحون ، وخطموا السد القائم عليه ، ثم لجأوا الى  
جنكيز خان وسردوا عليه أنباء المعركة (٦٥) .

ويورد بن الاثير « لما انهزم التتار أرسل جلال الدين رسولا الى  
جنكيز خان يقول فى أى موضع تريد يكون الحرب حتى نأتى  
اليه » (٦٦) .

كما ان جنكيز خان كان قد سمع نبأ انتصار جلال الدين منكبرتى  
على قوات المغول عند قندهار ، لذلك جهز جيشا جعل قيادته لاحد

---

(٦٢) النسوى « سره السلطان جلال الدين » ص ١٥٤ .

(٦٣) نفسه .

(٦٤) نسبه الى خلج وهو موضع قريب من غزنة ياقوت : معجم البلدان

ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٦٥) الصباد « المغول فى التاريخ » ص ١٣٣ .

(٦٦) ابن الاثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٤٣ .

( م ١٤ — التاريخ السياسى )

القادة المغول يدعى « تشيكي قوتوقونويان » وهو الذى كان الخان المغولى قد تبناه كابن خامس بين أبنائه الكبار ، وقد قدرت قوات المغول تلك ما بين عشرين الى ثلاثين ألف رجل (٦٧) .

توجه القائد المغولى صوب غزنة ، حيث دارت رحى الحرب بين القواتين الخوارزمية والمغولية ، وقد التقت هذه القوات عند مدينة بيروان ، استمرت يومين ، وفى اليوم الاول لم تنته المعركة الى نتيجة حاسمه ، وفى اليوم التالى بدأ النصر يلوح لجلال الدين حيث حمل على قلب الجيىس ، « وركب جلال الدين اكتاف الغل ..... وكيف لا وقد فجعوه باخوته وأبنه ومملكته وذويه وفصيلته التى تؤويه » (٦٨) . وبدأ جلال الدين يقتل فى المغول ليعوض وينتقم مما حل به وبأسرته وكان انتصارا ساحقا (٦٩) ، وبعدها ولت خياله المغول الادبار ، وكان انتقام الخوارزميين من المغول شديدا ، حيث كانوا يدقون الاوتار فى آذان الاسرى ، وجلال الدين ينظر اليهم ويعلو وجهه البشاشة بما ظفر » (٧٠) فلقد عذبوهم فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اشدوا بقى .

وقد وصلت اخبار السلطان جلال الدين منكبرتى الى بعض المدن الاسلامية مثل هراه ومرو التى سقطت على ايدى المغول ، فتصوروا أن جلال الدين قد قضى نهائيا على الجيش المغولى ، فبدأت كل مدينة تقوم على الحامية المغولية الموجودة بها ، تقتل وتطرد ، مما أدى الى قيام المغول بالاجهاز مرة أخرى على هذه المدن خاصة مدينة

---

(٦٧) الغامدى « اوضاع العالم الاسلامى ص ٣١٩ وقد ذكر النسوى اسم هذا القائد تولى خان ، ويذكر بن الاثير بان هذه الحملة كانت تحت قيادة بعض أبناء جنكيز خان .

(٦٨) النسوى « نفسه » ص ١٥٤ .

(٦٩) النسوى ص ١٥٥ .

(٧٠) فهمى ص ٧٦ .

هراه التي قدم اليها جنكيز خان بنفسه واستطاع الاستيلاء عليها وقتل من أهلها مليوناً وستمائة ألف رجل حتى كما أجهز المغول على كل شيء (٧١) .

وللاسف الشديد فقد بدأت عوامل الفرقة والعنصرية تدب بين أفراد الجيش الخوارزمي ، وذلك لان هناك فرقة من الخلج قد تركوا جلال الدين اثناء القتال ، وانضموا الى سيف الدين بغراق وأعظم ملك ، ومظفر ملك ، لانهم غضبوا من تصرفات الاتراك ، الذين وصفهم الخلج بأنهم جبناء ، ولم يقفوا في المعركة مع المغول مثلما وقف الخلج بل انهم انسحبوا من الميمنة ومع ذلك فوجيء الخلج بأن هؤلاء الاتراك « يزاحموهم فيما أفاء الله عليهم من الغنائم لو ما طبعوا على غراره » (٧٢)

وقد احتدم النزاع بين الفرقتين فقام الاتراك المتابعين لأمين ملك « الامينين » بتصرفات غير لائقة تجاه الخلج وقائدهم أعظم ملك حتى أن التركي ضربه بالمقرعة ، « فاشمأزت لذلك نفوسهم ونفرت قلوبهم » وقد حاول جلال الدين منكبرتي التدخل من أجل تصفية النزاع خاصة في هذه الساعة الحرجة الا أن كل طرف منهما أصر على موقفه . بل ان « الاتراك زادوا شر وعصبية بسوء معاملة ، وعدم مجاملة وقلة حظ من التجارب ، وقطع نظر من العواقب » (٧٣) .

لذلك ونتيجة لسوء المعاملة ، ومحاولة جلال الدين الميل الى جانب الاتراك ، انسحبت الفرقة الخلجية مع سيف الدين وزملائه

---

(71) Saunders « op cit » p. 61 .

(٧٢) النسوى « نفسه » ص ١٥٥ .

(٧٣) النسوى .

D'ohssan p. 314.

نحو بيشاور ، وانضم اليهم عدد كبير من الجنود الغورية وتركوا مدينة غزنة (٧٤) .

ويذكر الدكتور الغامدى ان سبب الخلاف كان حول حصان مغولى اذا ان كل قائد يدعى انه أحق من الآخر بحيازته (٧٥) .

وبذلك نرى أن جلال الدين قد وقع ضحية لذلك الشهور والعلاقات العدائية التى سادت بين مختلف افراد قوته ، ولما رأى أن جيوشه قد أصبحت مقصورة على الاتراك الخوارزميين دون الجنود الغورية الذين كانوا يكونون عصب الجيش الاسلامى ادرك انه لم يعد قادرا على مواجهة المغول ، واضطر الى الانسحاب الى سهل يقع غربى نهر السند حين علم بقدوم المغول بقيادة حنكيز خان الى غزنه ، للانتقام من الهزيمة التى حلت بجيشه فى سهلها .

معنى ذلك أن جلال الدين منكبرتى بدأ يعيد علينا قصة والده علاء الدين محمد خوارزمشاه الذى ظل يهرب من وجه المغول حتى مات طريدا فى أستراباد (٧٦) .

وقد تجهز جنكيز خان بقواته من الطالقان نحو غزنة ، وحينما وصل اليها علم بأن جلال الدين هرب منها من خمسة عشر يوما متجها نحو نهر السند ولم يتوقف جنكيز خان بل أخذ طريقه مسرعا ليتعقب جلال الدين الى حيث وصل .

وجمع جلال الدين السفن ليعبر بها نهر السند هو وجنوده .  
عنه يجد مأمنا فى بلاد الهند ، وما ان علم السحارة الهنود من أهل السند

---

(74) Phillips « op. cit » p. 65.

(٧٥) الغامدى « نفسه » ص ٣٢١ .

(٧٦) النسوى « نفسه » .

بقدوم جنكيز خان حتى لاذوا بالفرار بسفنههم تاركين السلطان الخوارزمي وجنوده على الشاطئ<sup>(٧٧)</sup> ، وفى هذه الحالة قدمت حجافل جنكيز خان حتى أن جلال الدين لم تكن لديه فرصة لتهيئة قوارب أخرى ليعبر نهر السند<sup>(٧٨)</sup> لذلك لم يكن هناك مفر من أن تتلافى القوتان حيث حدد النسوى تاريخ اللقاء صبحية يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ٦١٨ هـ فى وقت قلت فيه جيوش جلال الدين ، ومع ذلك فقد « حمل على قلب جنكيز خان فمزقه بدداء وجعله طرائق قددا »<sup>(٧٩)</sup> .

وقد وضع ان جنكيزخان قد دبر كميناً لجلال الدين مكون من حوالى عشرة آلاف فارس من فرق البهادرية نجحوا فى الاجهاز على ميمنة جلال الدين وكان عليها أمين ملك فهزموهم هزيمة نكراء ، واتقلب انتصار جلال الدين الى هزيمة ، حيث « تبدد نظامه ، وترعزت من الثبات اقدامه »<sup>(٨٠)</sup> واسفرت المعركة عن اعداد كبيرة من القتلى مخرجين بالدماء الى جانب الغارقين فى النهر ، حتى قام جنكيز خان بأسر ابن لجلال الدين منكبرتى فى السابعة أو الثامنة من عمره ، وقتل بين يدي جنكيز خان<sup>(٨١)</sup> واكثر من ذلك أن جلال الدين رأى والدته وزوجته وبعض نساء أسرته يصحن بأعلى أصواتهن ليخلصهن من الاسر ، فأمر باغراقهن فى ماء السند حتى لا يمتهن على يد المغول ، كما أن جنكيز خان قد نجح فى الاجهاز على العساكر الخلجية التى فارقت جيش جلال الدين ، ولو انها صمدت مع جلال الدين واتحدت معه ، لكان للمعركة نتيجة أخرى .

---

(٧٧) فهمى « تاريخ الدولة المغولية » ص ٧٦ .

(78) Juwaini « op - cit » vol. p. 405.

(٧٩) النسوى « نفسه » ص ١٥٨ .

(٨٠) النسوى « سيرة السلطان جلال الدين » ص ١٥٨ .

(٨١) نفسه ص ١٥٩ .

ورغم الهزائم التي منى بها جلال الدين الا أن الشجاعة التي يذلوها في محاربة المغول لفتت أنظار جنكيز خان ، فوقفوا فاعزين أفواههم عجباً ودهشة عندما أبصروا هذا المنظر ، وتوجه جنكيز خان الى أولاده قائلاً ينبغي ان يكون للاب ابن مثل جلال الدين وحيث أنه قد نجا من الغرق والغار ووصل الى الساحل سالماً ، فسوف نتولد عنه اعمال كثيرة ومتاعب لاحصر لها بالنسبة اليينا ، واذا كيف يستطيع الرجل العاقل ان يعقل عنه » (٨٢) ♦

#### • هروب جلال الدين الى الهند

بعد الهزائم التي منى بها جلال الدين لم يصبح امامه مفراً سوى توليه وجهه شطر نهر السند ، فلبس ملابسه ، وركب جواده ، والقى بنفسه ماء النهر ، « وقد عبر به الجواد ذلك النهر العظيم وقد تبعه ما يقرب من أربعة الاف من رجاله حفاة عراء كأنهم اهل النشور حشروا فبعثوا من القبور » (٨٣) ويذكر ان جنكيز خان علم أن عدوه الخوارزمي قد أمر بالقاء كل ما كان يملكه من ذهب وفضة في نهر السند حتى لا يقع غنيمه سهلة في يد المغول فأمر بعض رجاله المتخصصين في الغوص بالبحث عن هذه الكنوز فغاصوا في النهر وامكنهم انتشال بعض هذه الكنوز (٨٤) ♦

وقد حطت الأمواج بجلال الدين عند ناحية بعيدة وكان معه ثلاثة من رجاله هم قلبرس بهادر ، وقابقح وسعد الدين على الشربدار ، ولحق بهم غيرهم فيما بعد ، ومع ما هم فيه من ظروف فقد بدعوا شن الحملات

---

(٨١) نفسه : ص ١٥٩ .

(82) Juwaini « op - cit » vol II p. 410.

(٨٣) ابن الأثير ج ٩ ، ص ٢٩٤ براون ، ج ٢ ص ٥٧٠ .

فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٧٨ .

(٨٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٦ .



ضد الأهالى الهند فى المنطقة يقتلون وينهبون ، وبهذه الطريقة استطاعوا أن يحصلوا على السلاح والمال (٨٥) .

ومع أن بلاد الهند أصبحت الآن هى المأوى لجلال الدين ورجاله ، الا أن الخوارزميين لم يراعوا حرمة البلاد ، وصارت هناك خلافات بينهم وبين كثير من أمراء المناطق الهندية .

كان قباجة أحد الولاة التابعين للغور فى بلاد الهند ، وقد بدأ التعامل بين قباجة وجلال الدين عندما علم الأخير أن بنت أمين ملك نجت من الغرق وتوجد فى مدينة أوجاهى التابعة لممتلكات قباجة ، فطلب جلال الدين من قباجة أن يرسلها اليه ، فوافق قباجة ، وأرسل الزوجة الى زوجها معززه مكرمة ، وتسبقها الهدايا (٨٦) .

لم تستمر الألفة والمودة طويلا بين هذا الوالى الهندى ، وبين جلال الدين ، وبدأ الصراع عندما وصل شهاب الدين ألب الذى كان وزيرا لجلال الدين أثناء ولايته على غزنة — الى أراضى قباجة بعد معارك المغول ، ولم يكن قباجه فى هذه الفترة يعرف بخبر نجات جلال الدين ووصوله سالما الى الأراضى الهندية . لذلك فقد تحدث قباجة الى شمس الدين فى موضوعات سرية كثيرة تخص جلال الدين (٨٧) . وعندما وصلتته الأخبار بنجاة جلال الدين تخوف كثيرا من شهاب الدين وزاده الوهم عندما قام جلال الدين منكبرتى بالمطالبة بارسال وزيره شهاب الدين اليه ، الا أن قباجه قرر قتل الوزير خوفا من افتضاح أمره (٨٨) .

---

(٨٥) النسوى : سيرة السلطان ص ١٦٢ ، ابن واصل : المصدر السابق .

(٨٦) نفسه : ص ١٦٣ .

(٨٧) نفسه : ص ١٦٤ .

(٨٨) نفسه .

وهناك سبب آخر لتكدر العلاقة بين قباجه وجلال الدين وهي قيام أهل مدينة كلور التابعة لممتلكات قباجه بالاستيلاء على ممتلكات قرن خان ابن أمين ملك ، والذي دفعت به المقادير بعد الغزو المغولي الى هذه المدينة التابعة لقباجه ، ولم يتوقفوا على السلب والنهب ، وانما قلموا بقتله ، وسرقوا من أذن هذا الفتى درة سلموها لقباجه الذي تسكر هؤلاء القتل على فعلتهم هذه ، بل واقطع من سلمه الدرة اقطاعا خاصا (٨٩) .

لذلك قرر جلال الدين الانتقام ، فخرج بقواته الى مدينة كلور فحاصرها وحارب أهلها « وبأشر الزحف بنفسه ، فاصابته نصابة في يده فأصبح كالأسد موتورا والنمر مجروحا ومضروبا » (٩٠) ، وقد ظل يباشر القتال حتى سقطت المدينة في يديه ، لذلك قرر قباجه طلب العجدة ، فقدمت اليه قوات شمس الدين أيلتمش الذي كان احد ارقاء الدولة العنورية ، وقد نجح في تأسيس أمارة في دهلي الجزء الشمالي من هذه البلاد بعد سقوط الدولة العنورية . وكان قوام قوات أيلتمش تتقرب من العشرة آلاف فارس وبذلك وجه قباجه وأيلتمش قواتهما ضد جلال الدين من أجل طرده من البلاد ، الا أن جلال الدين أحرز انتصارا واضحا على هذين الخليفين « والمجأه الى الهروب مجدا » (٩١) .

وقد نجح جلال الدين بعد ذلك في القيام بمحاولات عديدة لكسر شوكة قباجه ، فاستطاع أن يتوجه الى لاهور ، وأن يدخل ابن قباجه في طاعته على أساس أن يدفع له الأخير مالا قد قرر عليه ، كما توجه الى سيستان ، وجعلها تابعة له مع الابقاء على واليها فخر الدين السعاري (٩٢) وفعل كذلك بمنطقتي أوجا وخانسر .

---

(٨٩) نفسه : ص ١٦٤ .

(٩٠) نفسه : ص ١٦٥ .

Péter Brént « op - cit » p. 88.

(٩١) النسوى : سيرة السلطان ، ص ١٦٥ .

(٩٢) D'ohsson « opp - cit » p. 309.

عندئذ وصلت الأخبار بقدوم قوات تحت قيادة ايلتمش تقدر « بحوالي ثلاثين ألف فارس ومائة ألف رجل وثلاثمائة فيل » (٩٣) لذلك تحركت قوات جلال الدين وقواده لمواجهة هذه القوة ، ونجحوا في الهجوم عليها وتكبيدهم خسائر كبيرة ، مما اضطر شمس الدين ايلتمش الى طلب المودعة ، والصلح ، مذكرا جلال الدين بعدوهم الكبير جنكيزخان وبأنه هو سليل الخوارزمية ، ولا يصح رفع السلاح في وجهه ، وعرض عليه أن يزوجه ابنته « لتستحكم الثقة وتتأكد المقة وتزول الوحشة » (٩٤) .

ولذلك بعث ايلتمش الهدايا الى السلطان صاحبة ابنته ، الا أن القوات الخوارزمية لم تتوقف عن الاعتداءات على حرقات السكان ، لذلك أقدم الحكام الهنود على الوقوف في وجه القوات الخوارزمية مرة أخرى \* وعلى أن يمسكوا « جلال الدين » عليه حافة ماء جنجيز قليجئوه الى حيث لا سبيل الى الذئب ويحترشوه احتراش الضب » (٩٥) لذلك هان البلاد والزوايا تكاثرت على جلال الدين \* وزيادة على ذلك فقد وصلت اليه الأخبار من العراق بأن أخاه غياث الدين قد بدأ يعد العدة ، للاستيلاء على هذه المناطق ، ويخرج بها عن طاعة جلال الدين بل انه نجح فيما بعد في اعلان نفسه حاكما على العراق ، وذلك لأن أهل العراق وجدوا فيه أميرا ضعيفا يستطيعون أن يوجهوه الوجهة التي يرضونها (٩٦) .

قرر جلال الدين خوارزمشاه ضرورة ترك بلاد الهند بما بها من مشاكل والتوجه الى العراق لاستعادتها من أخيه غياث الدين ، وترك جهان بهلوان أربك الملقب بوفاء الملك نائبا عنه في بلاد الهند .

---

(٩٣) النسوى : نفسه ، ص ١٦٧ .

(٩٤) نفسه : ص ١٦٨ .

(٩٥) النسوى : ص ١٦٨ .

(٩٦) النسوى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

Juwaini « op. - cit » vol II pp. 147 - 148.

وقد كان هدفه من ذلك أيضا استرداد مملكة آبائه وأجداده •  
والانتقام ممن كان لهم يد فى وقوع مملكته فريسة للغزو المغولى مثل  
الخليفة العباسى ، كما أنه رأى حكام المدن والأقاليم المختلفة قد  
انتهزوا فرصة رحيل الجيوش المغولية ، فاستقلوا ببعض الولايات فى  
خراسان ومازندران والعراق العجمى •

### اتجاه جلال الدين الى كرمان :

لعل الظروف الصعبة التى أوضاعناها داخل بلاد الهند أجبرت جلال  
الدين على اعداد العدة لترك هذه الأراضى ، الى جانب الظروف التى آل  
اليها الوضع فى دولة المغول حيث انحسر المد المغولى ، وعاد الغزاه الى  
منغوليا <sup>(٩٧)</sup> وكذلك موقف أخاه غياث الدين لذلك قرر التوجه صوب  
بلاد العراق •

اتجه أولا ناحية كرمان ويصور لنا النسوى مدى ما قساه جلال  
الدين وهو فى طريقه من بلاد الهند الى كرمان من صعاب وشدائد «أنستهم  
سائر الكرب وأوردتهم بأجمعهم سواقى العطب» <sup>(٩٨)</sup> ، حتى وصلوا  
الى مدينة كرمان التى كان الوالى عليها براق الحاجب من قبل غياث الدين  
بيرشاه •

والواقع أن غياث الدين كان يضع ثقته كلها فى براق الحاجب  
الا أن هذا الوالى كان مخادعا كاذبا حتى وصفه النسوى بأنه «كان يخلط  
طاعة بجفاء ، ويسر حشوا فى ارتقاء» <sup>(٩٩)</sup> •

لذلك وعند قدوم جلال الدين استقبله براق الحاجب استقبالا طيبا ،  
وأقام معه فى مدينة كواشر عاصمة كرمان ، ورغم هذه المقابلة الطيبة

---

(٩٧) الغامدى : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ •

(٩٨) النسوى : المصدر نفسه ، ص ١٧٤ •

(٩٩) نفسه : ص ١٧٥ •

من قبل براق الحاجب الا أن جلال الدين فطن الى حقيقة نواياه ، وفكر  
فى التخلص منه ، وجوه قومه نصوحه بالتريث وعدم التغجل بالغدر به •

اتجه جلال الدين بعد ذلك صوب شيزار فى الوقت الذى قدم  
اليه حاكم منطقة يزد<sup>(١٠٠)</sup> المدعو علاء الدولة ، يعلن له طاعة أهل بلاده  
وخضوعهم للسلطان جلال الدين •

وقد حاول جلال الدين أن يستميل قلوب أهل المنطقة ويجذبهم الى  
طاعته فانتهز فرصة خلاف قائم بين الأتابك سعد صاحب فارس وبين  
أخيه غياث الدين بيرشاه ، فأرسل يطلب ابنه الأتابك سعد زوجة له ،  
فوافق على طلبه ، وقويت العزائم بهذه المصاهرة • ونجح بعد ذلك جلال  
الدين فى التوجه الى أصفهان وانضمت اليه السلطة الحاكمة بها •

عندما وصلت الى مسامع أخيه غياث الدين أخبار ما حدث من قبل  
ولاته وانضمامهم الى أخيه جلال الدين جد العزم على مواجهته بما لديه  
من قوات ، لذلك تراجع جلال الدين وأرسل اليه أخيه رسالة استعطاف  
ورسول برتبة أمير آخور<sup>(١٠١)</sup> •

عندما وصلت هذه الرسالة الى مسامع غياث الدين تراجع عن

---

(١٠٠) يزد احدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخا من  
شيراز ، والفرسخ ثلاثة أميال •

(١٠١) النسوى : نفسه : صص ١٧٦ — ١٧٧ •

رشيد الدين « جامع التواريخ » ج ١ ص ٣٩٢ •

Juwaini « op - cit » vol. II p. 149.

والامير آخور وظيفة يقوم صاحبها بالاشراف على اسطبل السلطان  
أو الامير ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات •

انظر زيادة : السلوك : ج ١ ص ٤٣٨ حاشية رقم ٣ •

ملاقاة أخيه فى الوقت الذى قام فيه رسول جلال الدين باستمالة قلوب مجموعات كبيرة من رعايا مغيث الدين ، مما أدى الى قيام غياث الدين بالقبض على رسول أخيه ، لذلك قرر جلال الدين مواجهته حربيا .

عندما سمع غياث الدين بقدوم جيش أخيه ، هرب تاركا أمه فى خيمته ، فى الوقت الذى وصل فيه جلال الدين ، وتقابل مع الأميرة الأم ، وبين حسن العلاقة بينه وبين أخيه ، وطمأنها على وضعه السياسى ، لذلك حضر غياث الدين الى أخيه ودخل هو ورجاله فى طاعته (١٠٢) .

---

(١٠٢) النسوى : المصدر السابق .

رشيد الدين : جامع التواريخ : ج ١ ص ٣٩٢ — ٣٩٣ .

(٢) المصدر نفسه .

كانوا من رجال الدولة الخوارزمية يحاولون أن يبعدوا هذه الحقيقة ، ومن هؤلاء النسوى الذى ذكر أن اتجاه جلال الدين الى الأراضى العراقية ، كان من أجل قضاء فصل الشتاء بهذه البلد ، بل انه لم يعتقد على هذه الأراضى التابعة للخلافة ، وانما أرسل مبعوثا من قبله للخليفة الناصر ليوضح له المواقف والخلافات السياسية بين الطرفين ويستطرد المؤرخون الفرس قولهم ، بأن جلال الدين عندما أقبل الربيع ترك الأراضى المجاورة لبغداد دون أى هدف عدوانى متجها ناحية خوزستان (٣) .

وسواء أصحت الأخبار العربية أم الفارسية حول هذا الموضوع فان جلال الدين قد قام بحصار مدينة تستر عاصمة إقليم خوزستان وكان القائم عليها الأمير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله فكان « حافظا لها وأميرا عليها » (٤) .

وقد نجح وجه السبع فى حماية المدينة من عدوان جلال الدين منكبرتى مما اضطره الى ترك حصارها والاتجاه الى المناطق المجاورة مثل بادرايا وباكسايا (٥) وبعض رجاله اتجه ناحية البصرة . وقد اتسمت حملات منكبرتى على هذه الأماكن بالنهب والسلب وقطع الطريق . تصدى الأمير وليكين شحنه البصرة التابع للخليفة الناصر لدين الله لقوات جلال الدين وقتل منهم مجموعة كبيرة حتى رفعوا الحصار عن المدينة . الا أن جلال الدين نجح رغم محاولات جيش الخلافة فى الوصول الى يعقوبا .

---

(٣) النسوى « سيده السلطان جلال الدين » صص ١٩٢ — ١٩٣ ، رشيد الدين « جامع التواريخ » ج ١ ص ٣٩٣ .

(٤) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ حوادث سنة ٦٢٢ هـ ص ٣٥٥ .

(٥) ابن الأثير « نفسه » ج ٩ حوادث سنة ٦٢٢ هـ ص ٣٥٥ .



عندما وصلت أخبار حملات جلال الدين الى بغداد « تجهزوا للحصار وأسلحوا السلاح من الجروح والبشى والنشاب » (٦) .

ورغم الاستعدادات التى استعد بها الخليفة الناصر لدين الله لمواجهة قوات جلال الدين الا أن الأخير لم يتجه ناحية بغداد بل توجه نحو خوزستان فى «صبر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب» (٧) وبعدها فى توجه الى يعقوبا ومنها الى دقوقا حيث قاومه أهلها مقاومة كبيرة ، وخرجت سرية خوارزمية الى البت والراذان فهرب أهلها الى تكريت ، وتتبعهم الخوارزميون حتى أن أهل البوازيج التابعة لصاحب الموصل بعثوا اليه يطلبون منه أن يرسل اليهم شحنة من الجنود تحميهم ، وقدموا اليه الأموال اللازمة ، فوافق على طلبهم ، كما نجح جلال الدين فى ضم مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل الى صفه ، وتم الصلح بينهما بعد أن كان مظفر الدين متفقا مع الخلافة العباسية للموقف من وجه جلال الدين (٨) .

وقد نجح جلال الدين فيما بعد فى الوصول الى أتابكية أذربيجان ومنها انقض على دولة الكرج المسيحية والباطنية فى فارس وهذا ما سنتعرض له تفصيلا .

أما بالنسبة للخلافة العباسية ، فقد توفى الخليفة الناصر لدين الله الذى اتهمه المؤرخون المحدثون على انه لم يكن على مستوى المسئولية فقد نظر الى الغزو المغولى من وجهة نظره العنيفة الأنانية ، فلم ير فيها تهديدا مباشرا لسلطته الخاصة وأراضيه فى العراق ، وأسوأ من

---

(٦) نفسه ص ٣٥٦ .

(٧) نفسه .

(٨) ابن الأثير « نفسه » ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ ص ١٤٥ ويذكر « انه بذل السيف فى أهلها وفعل اشنع من فعل التتر فقتل أكثر وذهب من سلم منهم وتفرقوا فى البلاد واستولى جلال الدين على ما فى دقوقا من الأموال وكان فيها متمولون كثيرون وتجار » .

من ذلك كله أنه كان رجلاً طاعناً في السن ومصاباً بأكثر من مرض أقلها فقدان البصر ، كما كلن عاجزاً كل العجز ، وحكومته قاصرة وضعيفة مستضعفة لا تستطيع أن تقف لمقاتلة المغول ، فقد كان الناصر يتمنى أن يرى بأم عينيه دمار جلال الدين إذ أنه أصبح ممثلاً للأسرة الخوارزمية وهم أعداؤه السابقون (٩) .

تقلد عرش الخلافة بعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله ابنه الظاهر بأمر الله ٦٢٢/٦٢٣ هـ — ١٢٢٥/١٢٢٦ م في وقت كان جلال الدين منشغلاً في فتوحاته في مناطق أنزوبيجان وبلاد الكرج ، لذلك فلن الخليفة الظاهر الذي لم يأمّن هو الآخر مثل أبيه تصرفات جلال الدين منكبرتي اضطروا إلى مراسلة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وصرفه عن التحالف مع جلال الدين لما كان بينهما من علاقة متينة ، فكان المعظم يلبس خلعة جلال الدين ويوكب فرسه ويحلف بأسمه (١٠) ومن أجل أن يحقق الخليفة الظاهر بأمر الله غايته أوفد رسوله محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن العجوزي إلى المعظم عيسى ومعه الخلع والتشريفات ورسالة تتضمن نهيه عن موالة جلال الدين وقد أجابه المعظم إلى ذلك (١١) .

وقد حاول الخليفة الظاهر أن يغير من طبيعة العلاقة بينه وبين جلال الدين ، فأرسل إليه رسولين أثناء مقامة بتيريز « مبشرين بانتصاب الامام الظاهر بأمر الله منصب آبائه الخلفاء » (١٢) وهؤلاء هما نجم الدين الرازي ، وركن الدين بن عطف وقد أمر ابن عطف أن يقيم حضرة السلطان جلال الدين ويعود الرازي بمن يصحب من الرسل ليسصحب الخلع والتشريفات . وقد قابل جلال الدين مبعوث الخليفة بارتياح

(٩) الفلهدى « المرجع السابق » ص ٣٣٦ .

(١٠) العبود « المرجع السابق » ص ١١١ .

(١١) ابن كثير « البداية والنهاية » ص ١٩١ .

(١٢) النسوى « المصنف السابق » ص ١٨٠ .

وبعث معه القاضي مجير الدين حاملا الخلع الا أنه عند وصوله الى بغداد كلن الظاهر قد توفي ، فعادت الخلع الى بغداد « وحمل السلطان الأمر هي ردها الى بغداد لتغير النية في حقه الى أن تحقق السبب » (١٣) .

وقد عادت العلاقة بين الخوارزميين والخلافة العباسية الى التكرار في عهد الخليفة المستنصر وهذا ما سيتضح لنا في الموضوعات التالية .

### ثانيا — الخوارزميون والكرج (١٤) :

اهتم جلال الدين منكبرتي بضرورة توسيع نفوذه على حساب القوى في شمال الدولة الخوارزمية ومن أهمها أذربيجان وجورجيا . والواقع أن الخوارزميين فكروا منذ أيام السلطان علاء الدين محمد في تولية وجوههم صوب أذربيجان ، فقد بدأ جلال الدين بإرسال مبعوث من قبله الى الأتابك أربك بن البهلوان يأمره بإقامة الخطبة والسكة باسمه في عامة بلاد ممالكه ، وأن يحمل الى الخزانة السلطانية أتاوة معينة (١٥) .

وافق أربك على إقامة الخطبة وسك اسم السلطان الخوارزمي على السكة فخطب للخوارزميين على منابر آران وأذربيجان وبعث الهدايا الى السلطان ، وسلم له قلعة قزوين ، لكنه لم يتمكن من دفع الأتاوة المقرره ، واعتذر للسلطان لأن الكرج دائئوا الاغارة على بلاده وجميع دخل بلاده كرس للدفاع عن أهلها ، ودفع أخطار الكرج لذلك أعفاه الرسول منها وبعث الى الكرج رسولا من قبله يحذرهم من محاولة مهاجمة أذربيجان لأنها من ممالكه الخاصة .

---

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) عن الكرج وتاريخهم وعلاقاتهم السياسية انظر :

عفاف صبره « دراسات في تاريخ الحروب الصليبية » ، من ص ٢٢١

الى ص ٥١٥ .

(١٥) النسوي « المصدر السابق » ص ٥٨ .

( م ١٥ — التاريخ السياسي )

وكان فى نية السلطان علاء الدين مهاجمة الكرج لولا اضطراره الى العودة بجيوشه الى خراسان للاستعداد لمواجهة الخطر المغولى « وكان فى نيته أن يبعث الى أربك بحوالى خمسين ألف فارس من نخب عسكره يغزون الكرج » (١٦) .

وقد شغل السلطان محمد بعد ذلك فى مواجهة الغزو المغولى الى أن توفى كما ذكرنا .

وبعد أن نجح جلال الدين فى الاستيلاء على أملاك الخلافة العباسية من أهمها ياققوباً دقوقاً — كما ذكرنا — اتجهت قوات جلال الدين ضد مراغه (١٧) ، فاحتلتها ثم سار جلال الدين من هناك الى همذان حيث كان ايغان طائس ، الذى كان من كبار رجال والده السلطان محمد مقيماً بها (١٨) بعد أن أعلن نفسه حاكماً عليها فوضع حداً لتمرده ، واخضعه لسلطانه بعد ذلك نجده يعود مرة أخرى الى مراغه ، ومن هناك سار باتجاه مدينة تبريز عاصمة الأتابك أربك بن البهلوان حاكم أذربيجان ، وبعد حصار دام أربعة أيام أو خمسة أيام سلمت زوجة الأتابك وهى بنت السلطان السلجوقى طغرل الثالث مدينة تبريز الى الأمير الخوارزمى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (١٩) ثم قام جلال الدين وتزوج تلك الملكة بعد أن

---

(١٦) المصدر السابق ص ٥٩ .

(١٧) يذكر النسوى أن أهل مراغة هم الذين استدعوا جلال الدين خلاصاً مما منوا به من شيعويع الظلم واستيلاء أرباب الدولة وحكم النساء وتشبث أظفار الكرج بها .

انظر المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(١٨) ايغان طائس هو خال غياث الدين أخى جلال الدين وزوج اخته .

(١٩) على الرغم من أن أهل أذربيجان كانوا قد وقفوا فى وجهه الخوارزميين أثناء غزو جنكيزخان بل وناصروا المغول عليهم وقت محنتهم فان جلال الدين تسامح مع أهل تبريز وأحسن اليهم وأصلح ما خرب من المدينة .

ثبت طلاقها من زوجها الأتابك أربك (٢٠) .

ويعلق النسوى أن الزواج تم برغبتها الشخصية ، وقد اجمعت المصادر على أن جلال الدين أحسن إلى أهل البلاد وبث فيهم العدل ، ووعدهم الاحسان والزيادة منه ، ثم بدأ يركز جهوده لمهاجمة بلاد الكرج (٢١) .

وقد ثبت أن الكرج قاموا بحملات متعددة على بلاد الاسلام واستغلوا الظروف السياسية للأقاليم المجاورة خاصة مناطق خلط وما حولها وأذربيجان وبلادها وأران وأرزن الروم ، ودربند شروان وما لاقاه أهل هذه البلاد من تعنت وجور وتعذيب ونهبهم ما وصل إلى أيديهم من خيرات البلاد كما استغلوا فترة الغزو المغولي أيضا ، وضعف ولاية هذه المناطق عن الوقوف في وجهه وبدعوا يكثروا الهجمات .

لذلك كان هم جلال الدين منكبرتي الأكبر وهو أحد قادة العالم الاسلامي ، هو توطيد نفوذ دولته الذي ولى ، وتأديب هذه الدولة ، وتعويض المسلمين ما فاتهم ليرد اليهم شيئا من كرامتهم ،

---

(٢٠) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ، ص ٣٥٨ حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

النسوى « سيرة السلطان جلال الدين » ص ١٩٤ — ١٩٥ .

ويذكر أن أربك قد ترك تبريز وتوجه إلى كنجه خوفا من رجال الدين ، ويذكر ابن الأثير ص ٣٥٨ أن زوجته كانت هي الحاكمة في حياة زوجها ، وزوجها مشغول بلذاته من أكل وشرب ولعب .

(٢١) أرسل جلال الدين القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي رسولا إلى ملك الروم وملوك الشام بكتب تتضمن تملكه أذربيجان وقلعة ما تشبث بها من أنياب الكرج بحدى سنانه وغضبه فذلك برهاتان من ربه واعلامهم بأنه نوى غزو الكرج فبعركهم نهبا وحربا ، ويعرفهم أن للبيت ربا .  
النسوى « المصدر السابق » ص ١٩٤ .

رغم ما درج المؤرخون عليه من وصف جلال الدين من أنه كان قائد قوة انتهكت أراضى المسلمين وحرماتهم (٢٢) .

ويبدأ بن الأثير كلامه فى هذا الموضوع بنعى للأحداث التى أصابت المسلمين من هجمات الكرج ، وكيف كان المسلمون « تحت الذل والخزى كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم ، فكنا كلما سمعنا بشيء من ذلك سالنا الله تعالى نحن المسلمين أن ييسر للمسلمين من يحميهم وينصرهم ويأخذ بثأرهم » فىرى بن الأثير أن الله يسر لأهل البلاد جلال الدين لينتقم من الكرج وعندما بعث جلال الدين يخطرهم بنيتة فى مهاجمتهم فأجابوه بالقتلى والاستخفاف بقوته (٢٤) .

بدأ الكرج فى تجهيز قوتهم لمهاجمة الخوارزميين ، والبدء بالعدوان قبل أن يبدأ جلال الدين ، فقد اجتمعوا بموضع يقال له كرى (٢٥) فكانت عدتهم ستين ألفا ، ويعمل النسوى مناورتهم بالعدوان حتى يشعروا بما عندهم من الشوكة والكثرة ، لعله يرغب فى مهادنتهم فيسلمون بها من جر العقاب » (٣٦) .

جهز جلال الدين قواته وجمع شتاتها وعندما وصل الى نهر

---

(٢٢) سبط بن الجوزى « مرآة الزمان » ج ٨ ص ٦٣٤ .

(٢٣) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٥٩ حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

(٢٤) قالو له « بأننا قصدنا التتر الذين فعلوا بأبيك وهو أعظم منك ملكا وأكثر عسكريا ، وأقوى نفسا بددوا عسكريه وملكوا بلاده وأفتوا أهلها قتلا وأسرا ، ثم هرب إلى جزيرة فى البحر فمات فيها كمدأ » ابن الأثير « نفسه » .

(٢٥) ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ ص ١٥٢ حوادث سنة ٦٢٢ هـ  
بينما يذكر هورأس أن المقتصد بها هو زوزان *Zauzan* اخذ أقاليم  
أرمينية أنظر النسوى ، المصدر السابق ص ٢٩٧ .  
(٢٦) النسوى « المصدر السابق » .

رسى (٢٧) وصلته الأنبياء باقترب الكرج فتوجه الى كربي فرأى الكرج « بكثرتهم ووفرتهم وقوة رجالهم ما جعل جلال الدين يرتاع منهم » ما يروع الذئب من سوام الغنم والليوت الجياع من هوام النعم (٢٨) .

رتب جلال الدين جيوشه وانتظر هجوم الكرج فلم يهجموا فانتظر الى اليوم التالي ، ثم عقد العزم على البدء بالهجوم لأنه رأى أن « العدو مائل الى المماطلة » (٢٩) وقرر أن يركز هجومه من جميع الجهات ، وأعد لهم الخطة التي يجب أن يسيروا عليها .

تحركت الفرقة الخوارزمية الأولى لقتال الكرج الذين كان يقودهم في هذه المعركة القائد شلوه (٣٠) فقاتلوه واقتتلوا وهزم الكرج هزيمة نكراء وقبض على القائد شلوه ، وأسره المسلمون فأصبح ايوانى هو مقدم العسكر عليهم وفر مذموما مدحورا .

والمعروف أن الملكة عليهم هي الملكة روسودان ، ويوضح كل من ابن الأثير وابن واصل هذه النقطة ويعرض أن « ايوانى لم يكن في الحقيقة ملكهم ، وانما كان الملك يومئذ في يد امرأة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة » (٣١) .

عندئذ هرب ايوانى وتوجه الى قلعة تابعة للكرج وتقع على الطريق

---

(٢٧) نهر أرسى Araxes في بحر قزوين بعد أن يلتقى بنهر الكور Kur وقد ورد ذكر هذين النهرين في صبح الأعشى باسم الرسى والكر .

القلقشندي « صبح الأعشى » ج ٤ ص ٤٠٢ .

(٢٨) النسوى « نفسه » ص ١٩٨ .

(٢٩) المصدر السابق .

(٣٠) يذكر واصل أن القائد عليهم كان ايوانى ولبس شلوه

ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الأثير « الكامل » حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ ص ١٥٣ حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

فاحتفى بها ولكن قوات جلال الدين منعتهم من ذلك (٣٢) ويعرض النسوى صورة حية لما فعله جلال الدين بالكرج بعد هزيمتهم على يديه يتضح منها الرغبة الأكيدة للانتقام منهم لما سبق أن فعلوه بالمسلمين ، فكان انتقام جلال الدين واضحا ، فقد كان الكرج يساقون اليه وهو واقف على التل « والكرج تساق اليه بجزايم الذل كما ساق المجومون الى النيران ، وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان حتى أن جلال الدين كان يأمر أتباعه ان كل من يصل اليه يطاء بأقدامه على قتلى الكرج ويدوسهم » (٣٣) .

أمر جلال الدين أحد رجاله وهو تاج الدين مليج بالتوجه الى تبريز بجماعة من أمراء الكرج والأسرى ورؤس القتلى مبشرا بما أتاح الله على يديه « وقد غنم جلال الدين غنائم كثيرة امتلأت بها أيدي رجاله » .

أقر جلال الدين جنوده داخل أرض الكرج وأمرهم بالبقاء بها تحت إمرة أخيه غياث الدين بن خوارزم شاه ، وكان قد انضم اليه وصار من اعوانه ، وتوجه نحو تبريز لما وصله من أخبار الفتنة التى قام بها من قبل شمس الدين الطغرثى وابن أخيه نظام الملك (٣٤) .

وبعد أن انتهى من أمر الفتنة توجه الى كنجه وبيلقان وغيرها من

---

(٣٢) لم يكن هذا الانتقام رغبة فى سفك الدماء والتشفى ولكن نتيجة لما فعله الكرج من قبل بالمسلمين ودليل ذلك موقف جلال الدين مع أهل أنريجان عندما دخلها وكيف تسامح مع أهلها ومنحهم الأمن والامان .

(٣٣) النسوى « نفسه » ص ١٩٩ .

Juwaini « op - cit » p. 427.

(٣٤) ابن الأثير « نفسه » .

ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٤ ، حوادث سنة ٦٢٢ هـ .

النسوى « بسيرة السلطان جلال الدين » ص ٢٠١ .

PeterBrent « op - cit » p. 110.



البلاد ، وكان مظفر الدين أذربك موجودا هناك فهرب منها ، ووصلته أنباء زواج الملكة زوجته من جلال الدين « وان ذلك كان برغبة صادقة منها وخطبة من صوبها متتارجه » (٣٥) عندئذ مات أذربك حزنا ونكدا • وفى العام التالى قرر جلال الدين مهاجمة الكرج فقام « ببث غوارته الى خريات بلاد أنجاز » (٣٦) وفى نفسه قصد تفليس « (٣٧) ، فقاد جيشه ضد أراضيهم فوصل الى نهر آرس عندئذ نجح فى اكتشاف رسالة موجهة من قبل شلوه الكرجى الأسير عنده الى أمراء انجازيا يحذرهم برحيل السلطان ، لذلك قبض عليه جلال الدين ووسطه (٣٨) على شاطئ النهر •

توجه جلال الدين الى تفليس التى كانت محصنة تحصينا دقيقا لكنه حطم هذه التحصينات ، واقتحم المدينة ، ونجح الجيش الخوارزمى فى السيطرة على تفليس عاصمة الكرج ، ومقر الملكة روسودان فحمل على الناس حملة « كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم » (٣٩) ، وأيد بلا معاصم » •

ودخل غياث الدين المدينة ، وبدأ الانتقام من الكرج بنفس الصورة التى حدثت من قبل عندما هزموهم فى العام الماضى ، ولعل ذلك

---

(٣٥) النسوى « المصدر نفسه » •

(٣٦) خريات المقصود بها خرثليات فى بلاد الانجاز بجورجيا •

(٣٧) النسوى « المصدر نفسه » •

(٣٨) التوسيط : عقوبة تقضى بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف على أن تكون الضربة قوية تحت السر ، فينقسم الجسم الى نصفين من من وسطه وتنهار امعاء المحكوم عليه الى الأرض •  
انظر عاشور « العصر المالبكى » ص ٤٢٤ •

(٣٩) الغلصم « اللحم بين الرأس والعنق » والجمع غلاصم وهذا كتابة عن القتل والفتك » •

صورة للانتقام من هؤلاء الكفار لما سبق وأن فعلوه بالمسلمين (٤٠) .

وقد حاول الكرج وجنودهم المرتقة الاحتماء بالقلعة إلا أن جلال الدين وجنوده أحاطوا بها ، وسلطوا عليها آلات الحصار ، فطلب الكرج الأمان وتسلم القلعة (٤١) .

وقد أعمل جلال الدين الأسر في الرجال والسبي في النساء ولم يعف من القتل إلا من اعتنق الاسلام ، وهكذا انتقم للمسلمين الذين عانوا ما عانوه من أهالي جورجيا في السنوات التي سبقت عودته الى فارس ، وقد استطاع الخوارزميون بعد هذا النصر ان يضعوا أيديهم على هذه البلاد ، وان يطبعوها بالطابع الاسلامي الى حين (٤٢) .

وما زال بن الأثير ينعي في حوادث هذا العام ، ويتذكر ما فعله ملك آرزن الروم مغيث الدين طغرل شاه ، والذي خاف من هجمات الكرج على بلاده ، وحاول أن يأمن شرهم فزوج ابنه من الملكة روسودان ، فتنصر الابن مرضاة لأبيه ، ولبس الأب « على رأسه علما منه في اعلاه صليب » (٤٣) .

وقد استمرت قوات الخوارزميين تقتحم مدن الانجاز ، وقد أبقي جلال الدين بمدينة تفليس شرف الدين الذي عينه واليا عليها ، فقام باستكمال مهمة جلال الدين الذي اضطرته الظروف السياسية أن يترك مناطق القتال ويعود مسرعا الى الجنوب من ممتلكاته في كرمان حيث

---

(41) Brosset « Histoire de la Georgie » T. I, pp. 504 - 509 I, Bertold — Spuler « The mongols in history p. 39.

Juwaini « op - cit » vol, II, p. 433.

(٤١) النسوي « المصدر السابق » ص ٢١٢ .

(42) Defremery « Fragments de Géographi et d'historiens Arabes et Persians et indets » pp. 46 — 48.

(٤٣) ابن الأثير « الكامل » حوادث سنة ٦٢٣ هـ .

وصلته الأخبار عن سوء نية هلكنم الاقليم « براق صاحب » وسعيه  
العدوانية ، ولما كلن يقوم به من تحريض الأعداء ضده (٤٤) .

وقد ترددت أخبار بأن الكرج حاولوا تجميع شتات جيشهم ،  
وحاصروا شرف الدين بتفليس ، لذلك وصلت اليهم نجده من قبل أورخان  
المعين على كنجه ، وعند وصوله تأكد أن كل ما أذيع عن هذه الاضطرابات  
كذب ليس له أساس من الصحة (٤٥) .

وقد عاد جلال الدين مرة أخرى الى تفليس ، بعد أن وصلته  
أخبار أن عسكر الملك الأشرف الأيوبي صاحب خلأط قد هزموا جنود  
الخوارزميين ، ويحثه على العودة الى تفليس فعاد اليها (٤٦) . بعد أن  
وصل الى تفليس توجه الى مدينة آنى وهى من موطن الكرج ، حيث  
كان أيواشى مقدم عسكرهم معتصما بها ، فحاصره جلال الدين ، ثم بعث  
بفرقة أخرى من الخوارزميين الى مدينة قرص الكرجية أيضا ، فنازل  
المدينتين ، وظل الحصار طويلا واستمات الكرج فى المقاومة ، خوفا من  
أن يصيبهم ما أصاب اخوانهم بمدينة تفليس ، فاضطر جلال الدين الى  
ترك حصار هاتين المدينتين الى جنوده وتوجه الى بقية بلاد الأنجاز ليستأصل  
شأفة الكرج منهم « فلأوقع بمن فيها وضرب البلاد وأحرقها » (٤٧) .

وقد نجح جلال الدين فى الاستيلاء على خلأط من أمراء البيت  
الأيوبي ، ثم جدد عزمه على استكمال مسيرته فى بلاد الكرج . وفى  
العام التالى سنة ٦٢٤ هـ جدد جلال الدين هجماته مرة أخرى وذلك بعد  
أن سحب عددا كبيرا من الحامية الخوارزمية الموجودة بتفليس مما أدى  
الى ضعف الحماية ، ونجاح زعماء الكرج فى العودة اليها حيث يقيمون

(٤٤) ابن الأثير « نفسه » .

(٤٥) النسوى « المصدر السابق » ص ٢١٦ .

(٤٦) ابن الأثير « الكامل » حوادث سنة ٦٢٣ هـ .

(٤٧) نفسه .

بآنى وقرس ، وقد دخل الكرج المدينة مرة أخرى وانتقموا من المسلمين بها وأحرقوها ، لذلك قدم اليها جلال الدين فهرب منها الكرج الى آنى وقرس « (٤٨) •

ولقد وضع لنا الآن أن الملكة روسودان قد تحملت فى عهدا كل هذه الهزائم والكوارث ، ولم تقم لمملكتها قائمة فيما بعد ، وضاع استقلال بلاد الكرج • ولقد عملت روسودان وقائدها ايوانى على أن تنفخ فى جيشها روحا وأملأ ربما تحقق به انتصارا فقامت بالاستعانة بجيوش البلاد المجاورة لمدينة الدربند وهم قبائل اللكر والآلان والأرمن القفجاق والسون وانجاز والجنيت من أجل تكوين قوة تستطيع أن تقهر بها جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢٥هـ / ١٢٥٧م<sup>(٤٩)</sup> ووصلت عدة الجيش الى ما يقرب من أربعين ألفا ويزيدون ولعل ما شجع ملكتهم على ذلك ما حققه الكرج على بعض المسلمين عند منطقة لورى من انتصارات •

لذلك جهز جلال الدين قواته واتجه ناحية البحيرة والتقى بجيش الكرج فهزمه هزيمة كبرى ، وأتى نصر الله بالفتح ، وحضر منهم جماعة فأمر بضرب رقابهم<sup>(٥٠)</sup> ، واستولوا على أسلحة وعتاد قائد الكرج ايوانى ، ثم توجه جلال الدين بعد ذلك ناحية لورى سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م. وراسل الكرج بها وهددهم وطلب منهم تسليم أى من الأسرى المسلمين الذين أسروا فى معركة البحيرة حتى تأكد جلال الدين من عدم تواجد أسرى من الخوارزميين لديهم<sup>(٥١)</sup> •

---

(٤٨) ابن الأثير « الكامل » حوادث سنة ٦٢٣ هـ ، ابن واصل « نفسه »

(٤٩) النسوى « المصدر السابق » ص ٢٩١ •

(٥٠) المصدر السابق •

(٥١) نفسه •

وقد تعرضت منطقة اسلامية من أملاك الخوارزميين للاغارة من قبل الكرج ، وهى منطقة كنجه ، فقد تعرضت لعدوان تكرر من قبل بهرام الكرجى ، لذلك جهز جلال الدين قواته عند قدومه الى كنجه ، وتوجه نحو قلعة يقيم فيها بهرام تسمى قلعة «شكان» ففتحتها عنوة واقتدارا ثم توجه الى قلعة عليا باذ «كانت للملكة تمسقاها» (٥٢) ، ثم توجه الى قلعتى كاله وكوارين فحاصرها حتى اضطر الكرج الى المهادنة ، ودفع الجزية وبذلك دان الكرج بالطاعة للخوارزمية •

أما مصير روسودان فقد هربت من تفليس ولم تتمكن من الإقامة فيها مع بقاء القوات الاسلامية ، وتوجهت صوب كوتاييس «كوتاهية» Kutais وهى عاصمتهم القديمة فى الأنجاز (٥٣) •

والواقع أن هذه الانتصارات التى حققها الخوارزميون على هذا الشعب المسيحى كانت انتصارات وقتية حيث أن قوى الخوارزمية بدأت فى الذبول بعد أن استولوا على خلأط كما ذكرنا ، ثم استولوا على أذربيجان لكن سقوط جلال الدين مريضا وهزيمة قواته على أيدي الأيوبيين والسلاجقة ، كانت بداية النهاية لجلال الدين (٥٥) • والواقع أن هناك ظروفًا أخرى قد جرت وهى بداية النشاط المغولى فى هذه المنطقة هذا النشاط الذى سيقضى على كل محاولة أمل وكل بادرة خير بدأت تظهر لربط الصف الاسلامى ، وتقضى على الخلاف الدائر بين أمراء البيت الأيوبى من ناحية وجلال الدين منكبرتى من ناحية أخرى (٥٥) •

---

(٥٢) المفروض أنها الملكة روسودان ولكن بروسية Brosset  
يذكر ثمنا Thamatha انها ابنة ايوانى •

(53) Brosset « op - cit » I p. 514.

(٥٤) ابن الأثر « الكامل » ث ٩ ص ٣٨١ •

أبو شامه « ذيل الروضتين » ص ١٥٩ •

Juwaini « op - cit » vol II p. 99.

(55) Ibid , p. 452.

### ( ج ) الخوارزميون والباطنية (٥٦) :

بدأ الخوارزميون يهاجمون قلاع الاسماعيلية منذ عهد خوارزم  
نساء علاء الدين محمد الذى قام بقتالهم وافتتح قلعة أرسلان شاه القرينية  
من قروين وانتقل الى حصار قلعة الموت .

وقد دافع الباطنية عن أنفسهم فقتلوا صدر الدين محمد رئيس  
الشافعية بالرى الذى اشترك فى هذا الحصار ، ثم عاد خوارزم شاه  
الى خوارزم وبعد عودته وثبوا على وزيره نظام الملك مسعود فقتلوه (٥٧) .

وحينئذ جهز خوارزم شاه ابنه قطب الدين محمد لقتالهم الى  
قلعة ترشينس وهى من أهم قلاعهم فحاصرها ، وصالحوه على مائة ألف  
دينار وعاد عندما بلغه مرض أبيه (٥٨) .

وفى عهد السلطان جلال الدين منكبرتى الذى عاد من حملاته من  
الهند وأقطع كل رجل من رجاله اقطاعا معيناً ومن جملتهم أورخان الذى  
أقطعه خراسان . وقد كان هذا النائب يتعرض الى بلاد الاسماعيلية  
وما يتضمنها مثل تون وقلين وقهستان بالنهب والقتل ، لذلك بعث اليهم  
زعيم هذه الفرقة بأحد رجاله ويدعى الكمال ، وقد كان نائبا لهم عن بلاد  
الشام ، فتقابل مع جلال الدين الذى أمر بلقاء بين رسول الاسماعيلية  
والنائب أورخان حتى ينهوا أسباب النزاع ، فما كان من أورخان الا أن  
استهزأ بالرسول الباطنى الذى سمع منه تهديدا وقام بلقاء السكاكين  
والسيوف أمام الرسول وقال :

---

(٥٦) عن تفاصيل الباطنية ارجع الى :

عفاف صبره « أخطار الباطنية زمن الحروب الصليبية » ضمن كتاب

« دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية » ص ١٠٧ الى ص ٢٦١ .

(٥٧) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ص ٢٤٨ حوادث سنة ٥٩٥ هـ .

(٥٨) المصدر نفسه .

« هذه سكاكيننا ولنا من السيوف ما هو أمضى واحد » (٥٩) .

لذلك عاد الرسول بدون أن يظفر بطائل من الخوارزمية ، فائتهدز الباطنية فرصة رحيل جلال الدين الى كتجه ودبروا مؤامرة لقتل أورخان حيث وثب عليه ثلاثة من الفدائيين وقتلوه ونادوا بشعار علاء الدين (٦٠) .

وفى هذه الفترة أيضا ، وصل مبعوث آخر من قبل الشيخ علاء الدين ، وعندما سمع بما فعله الفدائيون تجير فى الأمر ، هل يعود من حيث أتى أم يستمر فى سفاراته ، واستقر الأمر على أن يعرض على شرف الملك وزير السلطان جلال الدين الذى سهل له قضاء مهمته ، ليس رغبة فى ذلك ، وإنما خوفا من أن يلحق به ما لحق بأورخان .

وكانت مطالب الخوارزمية تتلخص فى عدم تعرض الباطنية لممتلكاتهم خاصة بعد استيلائهم على دامغان (٦١) . وانتهى الاتفاق على أن تبقى بأيديهم ويدفعوا عنها الى خزانة جلال الدين ثلاثين ألف دينار وكتب لهم بها توقيعا (٦٢) .

وقد بقى رسول الباطنية فترة عند شرف الدين الخوارزمى الذى جالسه ونادمه ، وقد أفشى رسول الباطنية أثناء ثملته بخبر تواجد مجموعة من الفدائيين فى جيش الخوارزمية بدون علمهم ، وفعلا التقى بهم شرف الدين ، ولكنه تحدث وتذلل اليهم ذلا لا حد له مما أثار حمية السلطان جلال الدين ، فأمره أن يحرق هؤلاء الفدائيين الخمسة ، فحرقهم أمام بابه على كره منه .

---

(٥٩) النسوى « سيرة السلطان جلال الدين » ص ٢٢٨ .

(٦٠) المصدر السابق . المقصود به علاء الدين محمد الثالث بن حسن

الثالث داعى الباطنية فى فارس سنة ٦١٨ هـ / ٦٥٣ هـ .

(٦١) مدينة بين الرى ونيسابور .

ياقوت الحموى « معجم البلدان » ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٦٢) النسوى « المصدر السابق » ص ٢٣١ .

وبعدها وصل مبعوث من قبل الباطنية الى جلال الدين يطلب منه دفع دية عن كل فدائي من هؤلاء الخمسة تقدر بحوالى عشرة آلاف دينار واضطر جلال الدين الى اجابة مطلبهم (٦٣) .

وعندما حصل خلاف بين جلال الدين وأخيه غياث الدين ، توجه غياث الدين الى بلاد الباطنية فى قلعة الموت مستنجدا بهم طالبا الحماية من أخيه ، لذلك أرسل علاء الدين صاحب القلعة الى جلال الدين يطلب الأمان لغياث الدين ليعود الى الخدمة « فأجاب السلطان الى ما سأل من الأمان وأكد قوله بالايمان » (٦٤) .

وقد تبدلت سياسة الباطنية تجاه الخوارزمية فيما بعد اذ فوجئنا بسفارة من قبل علاء الدين صاحب قلاع الباطنية الى جلال الدين منكبرتى مكونة من تسعة من الفدائيين « تقربا الى السلطان على أن يجهزهم الى من شاء من أعدائه فيقتلونهم » (٦٥) .

ويعلل الأستاذ حافظ حمدى ذلك بأن طائفة الاسماعيلية هذه فى ذلك الوقت قد فقدت سلطانها القديم فى أقاليم الشرق الاسلامى ، ولم يعد لها تلك المهيبة التى كانت تتمتع بها من قبل ويرجع ذلك الى

---

(٦٣) النسوى « نفسه » .

(٦٤) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

يذكر بن الأنبر رواية أخرى تختلف عن تلك التى ذكرها النسوى فقال ان جلال الدين منكبرى لما علم بوجود أخيه لدى طائفة الاسماعيلية هددهم بغزو حصونهم اذا لم يسلموا أخاه اليه ، فرد عليه مقدم الاسماعيلية برسالة جاء فيها « ان أخاك قد قصدنا وهو سلطان بن سلطان ولا يجوز لنا نسله ولكن نحن نتركه عندنا ، ولا نمكنه من أن بقصد شيئا من بلادك ونسالك أن تشفعنا فيه ، والضمن علينا بما قلنا ، ومتى كان منه ما نكره فى بلادك ، فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار » فأجابهم جلال الدين الى شفاعتهم وعاد الى بلاده .

ابن الاثير « الكامل » ج ٩ حوادث سنة ٦٢٥ هـ .

(٦٥) النسوى « المصدر نفسه » ص ٢٤٧ .



أسباب كثيرة منها ازدياد شوكة جلال الدين واتساع نفوذه في أقاليم العراق العجمي وفارس وأذربيجان منها أيضا ما يرجع الى الخطر المغولي عن بلاد الشرق الاسلامي الى حين مما ترتب عليه اطلاق جلال الدين العنان لنفسه في هذه البلاد وضعف تلك العلاقة التي كانت أشبه ما تكون بالتحالف بين الاسماعيلية والمغول ، فلا عجب اذا ما حاول قادة الاسماعيلية أن يسلكوا في هذه الفترة سياسة المسالمة مع الخوارزميين (٦٦) •

ورغم هذه السياسة الا أن التوتر السياسي بدأ في فارس عندما وصلت الأنباء الى السلطان جلال الدين بأن هناك فئة من المغول قد توجهت الى بلاد الشام صاحبة تجار الباطنية ، لذا صدرت الأوامر السلطانية بالقبض على أفراد هذه القافلة عند عودتهم (٦٧) •

ومن المحتمل أن تكون هذه القافلة تحمل رسلا من قبل المغول والباطنية هدفهم الاتصال بالصليبيين في بلاد الشام لتأليف حلف ضد المسلمين وقد نجح شرف الملك الموكل من قبل جلال الدين في القبض على رجال هذه القافلة وقتل من فيها ، وكانوا حوالى نيف وسبعين رجلا (٦٨) •

لذلك ثارت ثائرة الشيخ علاء الدين شيخ الباطنية بالموت وبعث مندوبا من قبله لمقابلة جلال الدين منكبرتي معاتبا اياه على ما حدث • فأمر جلال الدين برد جميع ما سلب من القتلى الباطنية الذين بدأت طائفتهم تتنازل عن كبرياتها كثيرا مع الخوارزمية • في هذه الفترة بعد أن لاحت قوة جلال الدين منكبرتي كما أوضحنا من قبل ، حتى أنهم ظلوا يدفعون أتاوة سنوية لجلال الدين والخوارزميين • وقد ذكر النسوي

---

(٦٦) حافظ حمدي « حاشية كتاب النسوي » ص ٢٤٧ •

(٦٧) النسوي « نفسه » ص ٢٦٥ •

(٦٨) نفسه ص ٢٦٦ •

أن رسولا قدم من قبل الباطنية يلقب بفلك الدين كان يحمل معه عشرين ألف دينار مما يجب حمله من الأتاوه المقررة عليهم ، والتي كانت تقدر بثلاثين ألف دينار ، واتضح انهم قد تأخروا عامين عن سداد ماقرر عليهم ، لذلك سلموا لجلال الدين عشرين ألف دينار ودفج الباقي حجب وأرسل النسوى الى علاء الدين شيخ الباطنية لمطالبته برد المال (٦٩) .

ومن جملة المهام التي بعث بها النسوى الى علاء الدين شيخ الباطنية مطالبته برد غياث الدين أخى جلال الدين والذي أخلف الوعد فى ردة ، وقد أمر جلال الدين مبعوثه بعدم تقبيل يد علاء الدين وفق المراسيم المتبعة لدى الباطنية ، وآلا يسلم الرسالة الا لعلاء الدين الذى تمت المقابلة بينهم بعد ثلاث ليال (٧٠) .

ومن أهم الموضوعات التي بحثها النسوى فى مقابلته لعلاء الدين أنه طالب باعادة الخطبة للسلطان جلال الدين الخوارزمى طبقا لما كان متبعا فى أيام والده علاء الدين محمد خوارزمشاه ، ولكنهم حاولوا انكار هذا الموضوع ، وهنها ان جلال الدين أراد أن يتحقق من حقيقة الاتصال الذى تم بين الباطنية والمغول ، فأخبروهم أن هذه الغارة ليست الا لمدارة المغول منعا لأذاهم ، ومنها مطالبتهم بالأتاوة المقررة عليهم وضرورة حملها الى الخزانة العامة من غير بخس (٧١) .

وواضح من هذه السفارة الى علاء الدين شيخ الباطنية مدى الاحترام والمودة التى عاملوا بها النسوى ، ومدى التذلل والخضوع للخوارزميين مما يؤكد حقيقة أن الباطنية بدأوا ينهارون ويفقدون وزنهم الماضى بين القوى المحيطة .

---

(٦٩) النسوى « المصدر نفسه » ص ٣٣٦ .

(٧٠) نفسه ص ٣٤٠ .

(٧١) نفسه ص ٣٤١ .

ومع ذلك فان الباطنية كانوا يحاولون أن يتقربوا الى أى من القوى  
الظافرة ، ويلعبون على الحبلين حتى لا يضاروا أو يصابوا بأذى •

فقد سبق أن قام جلال الدين حسن شيخ الباطنية بمراسلة  
جنكيزخان وأرسل رسولا من قبله اليه ليقدم له فروض الولاء والطاعة  
عند قدومه على رأس جيشه الى اقليم ما وراء النهر ، وبعد عبوره  
نهر سيحون (٧٢) ، كانت هزيمة جلال الدين منكبرتى من قبل على يد  
المغول وانفصال أخيه غياث الدين عنه ، الى جانب هزيمته من علاء الدين  
كيقباد بن كيخسرو صاحب بلاد الروم ومن الملك الأشرف صاحب دمشق  
والجزيرة و خلاط جعلت مقدم الاسماعيلية يرسل المغول « يعرفهم  
ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه وتحثهم على قصده » (٧٣) •

ويعمل بن الأثير موقف الاسماعيلية منه لأنه « عاداهم ونهب بلادهم  
وقتل منهم فأكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة » (٧٤) •

#### ( د ) الخوارزميون والأيوبيون :

تنتسب الدولة الأيوبية الى صلاح الدين الأيوبي الذى نجح فى  
القضاء على الخلافة الفاطمية فى مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، وأعاد  
مصر الى الخلافة العباسية السنية فى مصر ، كما نجح فى فرض سيطرته  
على مصر والشام ووراثه ملك الزنكيين •

ولقد كان قيام الدولة الأيوبية فى مصر فى وقت هى فى أشد  
حاجة الى قيام قوة تقف أمام جحافل الصليبيين ، وتستطيع أن تنهض  
البلاد من كبوتها وعثرتها حيث وضع صلاح الدين تنظيمات عسكرية

---

(٧٢) رشيدالدين « جامع التواريخ » ج ١ ص ١٧٨ .  
D'ohsson « Histoire des mongols » vol II p. 171 .

(٧٣) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٨٣ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

(٧٤) نفسه •

بارعة واتخذ خططا عسكرية متنوعة فى جهاده ضد الصليبيين  
استطاع عن طريقها استرداد بيت المقدس ومعظم سواحل الشام •  
ولقد ورثت الأسرة الأيوبية معظم الممتلكات الخاصة بالأسرة الزنكية  
فى بلاد الشام والجزيرة الا أن هناك بعضا من الأتابكيات ظل تحت  
النفوذ الزنكى •

وقد ظلت الوحدة هى طابع الحكم طوال حياة صلاح الدين الأيوبي  
الا أنه بعد وفاته تعرضت هذه الأسرة للتفكك نتيجة للصراع على  
العرش بين أبنائه وأخوته • فقد حكم العزيز عثمان مصر ، والأفضل  
نور الدين دمشق وبعض سواحل الشام والظاهر غازى حلب وجميع  
أعمال بلاد الشام (٧٥) • وأما العادل سيف الدين أبو بكر أخو صلاح  
الدين ، فقد أخذ الكرك والأردن فضلا عن الجزيرة وديار بكر ، ووزعت  
الاقطاعات الثانوية بين بقية أخوة صلاح الدين وأبناء بيته (٧٦) •

ولم تلبث أن نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت الأيوبي مما أثر  
تأثيرا كبيرا على الجبهة الاسلامية التى كانت فى هذه الآونة آتسد  
ما تكون فى حاجة الى الوحدة والقوة ، حتى أن الغرب الأوروبى انتهر  
هذه الفرصة للقيام بحملة صليبية لاسترداد بيت المقدس لا سيما وان  
صلح الرملة الذى عقده ريتشارد قلب الأسد مع صلاح الدين كان محددا  
بثلاث سنوات (٧٧) والحقيقة أن العادل الأيوبي نجح فى توحيد الجبهة  
الاسلامية وتوحيد البيت الأيوبي بعد وفاة العزيز عثمان فى محر سنة  
١١٩٨م ، فقام بتعيين أبنائه بعده فأصاب الكامل محمد على مصر والمعظم

---

(٧٥) عماد الدين الأصفهاني « الفتح القسى » صص ٣٥٨ — ٣٥٩ •

(٧٦) ابن واصل « مفرج الكروب » ج ٢ صص ٣٧٨ — ٣٧٩ •

أبو شامة « كتاب الروضتين » ج ٢ ص ٢٢٦ •

(٧٧) Grousset « Histoire des Croisades » Ton III p. p 144.

عيسى فى دمشق والأشرف موسى حران والأوحد ميافارقين ، وكان للعادل الإشراف التام على جميع تلك الأنحاء (٧٨) •

وخلال هذه الفترة كانت الدولة الخوارزمية قد اكتمل نموها وتوسعتها خاصة على عهد الشاه الخوارزمى علاء الدين محمد • فقد حاول الملك العادل الأيوبي أن يكسب وده خوفا من بطشه ولما لمسه فيه من قوة مكنته من فرض نفوذه السياسى على جميع القوى المعاصرة •

وكل ما يهمنا من هذا الموضوع هو دور السلطان جلال الدين منكبرنى الذى حاله سوء الحظ بظهور قوى المغول فى الشرق •

لقد تعرضت الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان العادل للانقسام مرة أخرى بين أبنائه ، وهذا الانقسام أعطى الفرصة لظهور القوى الخوارزمية مرة أخرى •

فقد بدأ الملك المعظم عيسى سلطان دمشق فى مراسلة خوارزم شاه للاتفاق معه بعد أن علم « باتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه » لذلك بعث الى جلال الدين مبعوثا من قبله وهو الصدر البكرى (٧٩) محتسب دمشق ورتب معه صوفية •

وقد حاول المعظم عيسى أن يتخذ من موضوع ظهور الجراد الكثير فى بلاد الشام والذى أكل الزرع والشجر والتمر سببا لارسال مبعوثه الى جلال الدين • فقد تحجج بأنه يوجد « ببلاد العجم طيرا يقال له السممر يأكل الجراد » وان هناك عينا يجتمع فيها السممر فيأخذ من مائها قوارير ويعلقه على رءوس الرماح فكلما رآه السممر تبعه « (٨٠) ولكن أبى شامه يعلق على ذلك بأن المعظم لم يقصد ذلك وانما يقصد رغبته فى محالفة جلال الدين •

---

(٧٨) أبو المحاسن « النجوم الزاهرة » ج ٦ ص ٢٢٧ •

(٧٩) أبو شامه « ذيل الروضتين » ص ١٣١ •

(٨٠) أبو شامه « الذيل » ص ١٣١ •

وقد حدث خلاف بين أبناء البيت الأيوبي حول مدينة خلاط وهي من بلاد أرمنية ، ومجاوره لممتلكات جلال الدين الخوارزمي . فقد كان الملك الأشرف موسى بن العادل قد أقطع أخاه شهاب الدين غازي خلاط وميافارقين وحاني وحيل حور ، ولم يقنع بذلك حتى عينه ولي عهده في البلاد التي له جميعا (٨١) .

بدأ شهاب الدين يظهر التمرد ومحاولة الخروج على أخيه فقام الأشرف موسى بمراسلته « يستميله ويعاتبه على ما فعل » (٨٢) ، ومع ذلك استمر شهاب الدين في موقفه العدائي تجاه أخيه ، بل قام بمراسلة أخيه المعظم عيسى حاكم دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل لتكوين حلف ضد الأشرف موسى واعداد العدة لمحاربته . العدة لمحاربته .

وصلت أخبار هذا التحالف الى الأشرف موسى فقام بالاتصال بأخيه الملك الكامل بمصر ليخبره بتفاصيل الموضوع ، ويطلب منه النجدة فأرسل اليه ما طلب ، وبعث الى المعظم عيسى يهدده اذا اعتدى على ممتلكات أخيه الأشرف موسى . لذلك عادت القوات المتحالفة من حيث أنت في حين توجه الأشرف موسى بقوات جمعها من الشام والجزيرة والموصل وتوجه الى خلاط ، وعندما اقترب من المدينة نزعزع مركز شهاب الدين غازي وانتظر وصول النجدة اليه فلم تأتى ، كما أن أهل المدينة كانوا يكرهونه لسوء سيرته لذلك سلمت خلاط للأشرف موسى (٨٣) . في الوقت الذي عين على خلاط مملوكه أبيك (٨٤) .

---

(٨١) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٥٣ حوادث سنة ٦٢١ هـ .

(٨٢) نفسه .

(٨٣) ابن الأثير « الكامل » ج ٩ ص ٣٥٤ حوادث سنة ٦١١ هـ .

(٨٤) أبو شامة « نيل الروضتين » ص ١٤٢ حوادث سنة ٦٠١ هـ .

حدثت هذه الأحداث في خلاط في الوقت الذي فتح فيه جلال الدين خوارزم شاه أذربيجان . فانتهر المعظم عيسى هذه الفرصة ومجاوره ممتلكات جلال الدين لممتلكات أخيه ومنافسه الأشرف موسى ، وأرسل إليه رجلا صوفيا من خانقاة السمسياطي يقال له الملق حاملا رسالة الى خوارزم شاه من أجل الانضمام الى الحلف الثلاثي المكون من المعظم عيسى ، وشهاب الدين غازي ومظفر الدين بن زين الدين حاكم اربل ضد أخاهم الأشرف موسى (٨٥) .

ويذكر الدكتور العبود نقلا عن بن الجوزي أن جلال الدين أجابهم لطلبهم ، ولكي يضمن المعظم استمرار تحالفه مع جلال الدين عمد الى مصاهرته ، فزوجه ابنته الكبرى المسماه « دار مرشد » (٨٦) وقد وضح لنا المؤرخ الثقة أبو شامة ، في الذيل أن جلال الدين خوارزمشاه كان تواقا هو الآخر لاقامة التحالف مع المعظم عيسى للوقوف في وجه الخليفة الناصر لدين الله .

كان جلال الدين قد عقد العزم على التوجه الى بغداد « فانزعج الخليفة وأخرج المال وفرق في العساكر ألف ألف دينار ، ونصب المجانيق على الأسوار وفرق السلاح وفتح الأهرار » (٨٧) . وكتب الى المعظم عيسى يقول « تحضر أنت ومن عاهدني واتفق معي حتى نقصد الخليفة ، فانه كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار الى البلاد ، وجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه لهم بالبلاد والخييل والخلع » (٨٨) .

---

(٨٥) المصدر السابق .

(٨٦) العبود « المرجع السابق » نقلا من :  
سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٦٩ .

(٨٧) أبو شامة « الذيل » ص ١٤٤ .

(٨٨) أبو شامة « نفسه » .

ومع ذلك فقد رفض المعظم عيسى هذه الدعوة الخوارزمية ، ورد عليه قائلاً : « أنا معك على كل أحد الا الخليفة ، فانه امام المسلمين » (٨٩) وبعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله وتولية الخليفة الظاهر بأمر الله قام الظاهر برسالة مندوب من قبله يدعى محى الدين يوسف بن الجوزى الى المعظم عيسى ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالة الخوارزمى ، كما قام المندوب بتسليم الخلع الى جميع أولاد السلطان الملك العادل وهم اخوة المعظم عيسى . ونص الرسالة « المصلحة رجوعك عن هذا الخارجى الى اخوتك ، ونصلح بينك وبين اخوتك » (٩٠) .

وقد رد المعظم على رسالة الخليفة الظاهر بتخوفه من ترك تحالفه مع جلال الدين منكبرتى ، خوفاً من اعتداء اخوته عليه ، وتتسكك في تقديم الخلافة العباسية النجده له ، حيث قال « اذا رجعت عن الخوارزمى وقصدنى اخوتى ينجدونى قال نعم ، قلت : ما لكم عادة تنجدون أحدا هذه كتب الناصر عندنا ونحن على دمياط (٩١) ونحن نكتب ونستصرخ به ونقول انجدنا ، ومجىء الجواب بأن كتبنا الى ملوك الجزيرة فلم يفعلوا » (٩٢) وقد أوضح المعظم عيسى للخليفة الظاهر أنه أثر التحالف مع السلطان جلال الدين ، لأن جميع اخوته قد تحالفوا ضده ، لذلك فقد جعل جلال الدين يتجه الى خلاط حتى يقف فى وجه اخوة الأشرف والكامل « وقد أنزلت الخوارزمى على خلاط ان قصدنى الأشرف منعه الخوارزمى وان قصدنى الكامل كان فى له » (٩٣) .

والواقع أن جلال الدين منكبرتى قد احتل مكانة كبيرة عند المعظم عيسى حتى انه « كان يلبس خلعة الخوارزمى ويركب فرسة ، واذا

---

(٨٩) نفسه .

(٩١) أثناء الحملة الصليبية الخامسة التى توجهت الى هذه المدينة

سنة ١٢١٧م بقيادة بو حنادى بريين .

(٩٢) أبو شامة « الذيل » ص ١٤٧ .

(٩٣) المصدر السابق .



جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس خوارزم شاه وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم وهو ساكت» (٩٤) .

كما أن المعظم لبي دعوة أخوه الأشرف موسى عندما قدم اليه في دمشق معلنا خضوعه له ، طالبا منه أن يطلب من جلال الدين الرحيل عن خلاط حيث أقام بها أربعين يوما ، فوافق المعظم على طلبه وبعث الى جلال الدين حيث رحل عن خلاط (٩٥) .

والواقع أن المشاكل الى مرت بها الدولة الأيوبية والصراع الدائر بين الاخوة كان له أهمية كبرى في علاقتهم بالسلطان جلال الدين ومكبرتي والدولة الخوارزمية ، خاصة وان سمعة جلال الدين في هذه الآونة ملأت الآفاق وسببت القلق والخوف للقوى المعاصرة .

لذلك قام السلطان الملك الكامل الأيوبي سلطان مصر بالاستعانة بالامبراطور فردريك الثانى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي هددته وهددت دولته . أما هذه الأخطار فقد أتت من ناحية المعظم أولا ثم الخوارزمية الذين هددوا الجبهة الشرقية والدولة الأيوبية ثانيا (٩٦) .

وقد بدأ المعظم مهاجمة مدينة حماء واستولى على بعض أعمالها مثل المعرة وسلمية ، وكانت حماء وأعمالها لابن عمه الناصر صلاح الدين قلعج أرسلان ، فغضب الأشرف والكامل لذلك ، وأرسل الكامل الى أخيه المعظم يطلب منه الرحيل عن حماء « فتركها وهو حنق » (٩٧) وكان ذلك

---

(٩٤) المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٩٥) نفسه .

(٩٦) عاشور « الحركة الصليبية » ج ٢ ص ٩٩٧ .

(٩٧) المقرئى « السلوك » ج ١ ص ٢١٤ .

بو الفدا « المختصر » حوادث سنة ٦٢٠ هـ .

بداية الخلاف بين المعظم من ناحية واخويه الكامل والأشرف من ناحية أخرى •

غير أن الأشرف هرع الى أخيه المعظم عيسى وهو بدمشق ٦٢٠هـ طالباً منه العمل بسرعة لتوحيد جبهة البيت الأيوبي أمام خطر الخوارزمية الذين باتوا يمددون الدولة الأيوبية قاطبة ، وكان الأشرف موسى أكثر احساساً بخطرهم بحكم متاخمة بلاده في الجزيرة وخلالهم (٩٨) • وعندئذ استغل المعظم الفرصة التي اتاحت له فقبض على أخيه الأشرف في دمشق ولم يطلق سراحه الا بعد أن تعهد له بمساعدته في الاستيلاء على حمص وحماء ، ثم في مهاجمة أخيهما الثالث الكامل في مصر ، وقد تعهد الأشرف بكل ذلك ، ولكنه ما كاد يقلت من يد المعظم حتى « رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين أخيه المعظم وتناول في ايمانه التي حلفها أنه كان مكرها عليها » ، وأكد تحالفه مع الكامل وأخبره بكل ما حدث (٩٩) •

على أن وجه الخطورة في النزاع الذي نشب عندئذ بين أبناء العادل هو أن الفريقين المتنازعين استعانوا بقوى خارجية (١٠٠) ، ومن ذلك ما يرويه المقرئ من أن المعظم كاتب جلال الدين ، واتفق معه معاندة لأخيه الكامل ولأخيه الملك الأشرف (١٠١) •

وكان أن رد الكامل على ذلك بأن طلب من الامبراطور فردريك الثاني « أن يحضر الى الشام والساحل ويعطيه البيت المقدس وجميع

---

(٩٨) عائشور « نفسه » ص ٩٩٨ •

(٩٩) بو الفدا : المختصر ، حوادث سنة ٦٢٣ •

المقرئ : السلوك ، ج ١ صص ٢٢١ - ٢٢٣ •

(١٠٠) المقرئ : السلوك ، ج ١ صص ٢٢١ - ٢٢٣ •

(١٠١) المقرئ : نفسه •

فتوح صلاح الدين بالساحل « ولهذا الغرض أرسل الكامل الى الامبراطور مبعوثا خاصا هو الأمير فخر الدين يوسف (١٠٢) .

ولذلك تدهورت الأمور ، وسنحت الفرصة للسلطان جلال الدين لمهاجمة ممتلكات الأشرف موسى فى الوقت الذى أرسل الى المعظم عيسى « خبلة لبسها وشق بها دمشق وقطع الخطبة للملك الكامل » (١٠٣) .

كان السلطان جلال الدين منكبرتى فى هذه الآنة قد نجح فى الاستيلاء على مدينة تفليس عاصمة بلاد الكرج فجاور بذلك ممتلكات الأيوبيه فى الجزيرة و خلاط ، فى الوقت الذى تمت فيه اتفاقية بين جلال الدين ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل والمعظم عيسى صاحب دمشق وصاحب آمد ، وناصر الدين صاحب ماردين « ليقصدوا البلاد التى بيد الأشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم نصيب » (١٠٤) . لذلك أحكمت الخطة فيما بينهم على أساس أن يتوجه مظفر الدين الى الموصل ، الا أنه تعثر فى مهمته لتحالف حاكمها مع الأشرف ضد مظفر الدين ، أما المعظم فخطته التوجه الى حمص وحماه ، وأرسل الى أخيه الأشرف يطلب منه أن يرحل كل منهم من المدينة التى يحتلها ويعود الى بلده .

أما جلال الدين فقد كانت وجهته خلاط وهى مركز الأشرف موسى الا أنه لم يتمكن من فتحها مباشرة نتيجة لوصول الأخبار اليه بخروج نائبه بلاق حاجب أمير كرمان عليه ، ومجاولته الاستيلاء على المدينة ، فأخر جلال الدين توجهه الى خلاط واتجه الى كرمان فى الوقت الذى

---

(١٠٢) المقربرى : نفسه .

(١٠٣) نفسه :

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٦٧ حوادث سنة ٦٢٣ هـ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٧٦ .

حاول فيه أن يخدع هذا الوالى ولا يبين له أنه أتى لتأديبه على العصيان وعلى الاتصال بالمغول لمعاونته ضد سيده جلال الدين (١٠٥) .

فطن بلاق حاجب لخدعة جلال الدين وهرب الى قلعة المدينة واعتصم بها وأرسل لجلال الدين قائلاً « اننى أنا العبد والمملوك ، ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد أخيلتها لك لأنها بلادك ، ولو علمت أنك تبقى على لحضرت بابك » (١٠٦) والحقيقة أن الظروف التى أحاطت بجلال الدين جعلته يفضل أن يسامح هذا الوالى ويثبتته فى ولايته ، خاصة وأن جنوده الذين وقفوا بالقرب من خلاط هزموا ، فكان لابد من عودته الى تغليس .

اضطر الأشرف موسى أمام الخطر الداهم الذى بات وشيكاً وأصبح يهدد دولته الى ضرورة عقد حلف مع سلاجقة الروم ، فتم التحالف بينه وبين علاء الدين كيقيباز بن كيخسرو بن قلعج أرسلان على أساس تقديم المساعدة الحربية ضد صاحب آمد . واستعادة المدينة منه .

وانتهز جيش علاء الدين كيقيباز ذلك وتوجهوا الى آمد وفتحوا حصن منصور وحصن شمكازاد ، فحافهم صاحب آمد فراسل الأشرف موسى ، وأعلن رجوعه اليه وطلب العفو ، فعفا عنه الأشرف وأرسل الى علاء الدين كيقيباز يطلب منه رفع الحصار عن آمد وإعادة القلاع التى استولى عليها ، فرفض علاء الدين تنفيذ هذه الأوامر متحججاً بأنه ليس تابعاً للأشرف . لذلك أرسل الأشرف قوات لمساعدة صاحب آمد ضد علاء الدين كيقيباز ، الا أنهم هزموا أمام قوات السلاجقة الذين أبقوا على القلاع فى أيديهم (١٠٧) . ورحل الأشرف الى حران .

---

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل ، ص ٣٦٨ حوادث ٦٢٣ هـ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٨٦ حوادث سنة ٦٢٣ هـ .

(١٠٦) ابن الأثير : نفسه .

(١٠٧) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٦٩ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٧٨ حوادث ٦٢٣ هـ .

والعجيب أن علاء الدين كَيِّبَ إِذْ سَلَطَ سَلاَجِقَةَ الرُّومِ اتَّجِهَ  
بعد هذا الموقف ناحية جلال الدين منكبرتي فأرسل إليه رسالة يغريه  
بمعادة بني أيوب ويوعده المساعدة عليهم يقول « انه كان اشتغل  
فى سنته تلك بمن يتاخمة من الكفرة ، ففتح عدة حصون لهم ، كما أن  
السلطان اشتغل بالتاتار فردهم على أعقابهم ، ولم يبق الآن إلا صرف  
الهمم الى هؤلاء الفئة الباغية والشرذمة الطاغية ، وبالحق حتى أنه ذكر  
رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » (١٠٨) .

أما عن الملك الأشرف فعندما وجد أن الهزائم تثرى عليه رأى  
أن يتجه ناحية أخيه الملك المعظم عيسى راغبا فى إزالة ما فى النفوس ،  
وفعلا أظهر له المعظم ابتهاجه بقدمومه اليه «قصدًا لقطع مادة الشر» (١٠٩)  
وضربوا البشائر بدمشق الا أنه وكما وصفه بن واصل « حاله فى الباطن  
بخلاف ما أظهر » والدليل ان الرسل مازالت تتردد بينه وبين جلال الدين  
منكبرتي وفى هذه الفترة وصل الى المعظم عيسى رسول من قبل جلال  
الدين ومعه خلعة سنية فلبسها وركب بها ، وعزم الملك المعظم على  
ترويح إحدى بناته من جلال الدين (١١٠) ، وصار بينهما اتحاد كلى .  
كل هذه الأمور حدثت فى وقت قرر فيه جلال الدين ضرورة مهاجمة  
خلاط أولا : لرغبته فى ضمها لممتلكاته ، وثانيا لايغاز المعظم عيسى له  
بذلك وثالثا : لهزيمة عساكر الأشرف لعساكر جلال الدين عند خلاط ،  
واستغاثة رجاله بجلال الدين .

كانت خطة جلال الدين مفاجأة النائب على خلاط والمدعو الحاجب  
حسام الدين على حتى لا يستعد للقائه لذلك ترك التفكير فى المهاجمة  
لمدة عشرة أيام قضاها فى تقليس ، الا أن أخبار هجومه وصلت الى

---

(١٠٨) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٧٨ .

(١٠٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(١١٠) المصدر السابق .

مسامع نائب خلّاط قبل وصوله بيومين في الوقت الذي نجح في مهاجمة مدينة ملاذكرد — إحدى مدن خلّاط — في الثالث عشر من ذي القعدة سنة ٦٢٣هـ، وبعدها هاجم خلّاط وقاتل أهلها قتالا شديدا وهاجم المدينة ثلاث مرات حتى وصل إلى الربض « ومدوا أيديهم في النهب والسلب وسبى الحريم » (١١١) وأسروا أعدادا كبيرة من أمراء خلّاط ، رغم الدفاع المستميت الذي قام به الحاجب حسام الدين على ، ولم ينقذ أهل خلّاط من هجمات الخوارزميين المتكررة غير دخول الشتاء ونزول الثلج بكثرة واعتداء التركمان الأيوانية على الممتلكات الخوارزمية (١١٢) . في مدينة أشتر وأرمية التابعتان لأذربيجان واستولوا على خراج خوى وبدأوا ينهبون ويقطعون الطريق .

وقد انتهز الحاجب حسام الدين ابتعاد جلال الدين عن خلّاط وجيز الجيش للتوجه صوب أذربيجان ، متعللا بسوء مسلك الجيش الخوارزمي مع أهل خلّاط إلى جانب إهمال جلال الدين لزوجته ابنة السلطان طغرل (١١٣) التي قامت هي وأهل خوى باستدعاء حسام الدين الحاجب ليسلموه البلاد ، فوصل إلى أذربيجان واستولى على خوى وما يجاورها من الحصون ، وكاتبه أهل مدينة نقجوان ، وعادوا إلى خلّاط مستصحبين معهم زوجة السلطان جلال الدين لكنهم عندما رجعوا استرجع جلال الدين البلاد التي أخذت منه وأقامت زوجته بمدينة خلّاط معززه مكرمة .

وقد صادف هذه الفترة أن السلطان الأشرف موسى رجع من عند أخيه المعظم عيسى إلا أنه عندما رجع إلى بلاده « رجع عن جميع ما تقرر

---

(١١١) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٣٧٠ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(١١٢) ابن الأثير : نفسه .

(١١٣) كانت هذه المرأة زوجة أوزبك البهلوان وتزوجها جلال الدين .

بينه وبين الملك المعظم وتآول في جميع ايمانه التي حلفها أنه كان مكرها عليها « (١١٤) » .

وقد تهيأت للأشرف الفرصة للتمكين لنفسه في بلاده بوفاء أخيه المعظم عيسى في ذي القعدة من هذا العام .

جدد جلال الدين هجماته في العام التالي ٦٢٥هـ/١٢٢٨م على مدينة أخلاط فتعداها الى صحراء موث وجيل حور « ونهب الجميع ، وسبى الحرير واسترق الأولاد وقتل الرجال وخرب القرى » (١١٥) وقد ذاع صيته بين أهل هذه المناطق فهربوا منها الى بلاد الشام خوفا من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من أهل البلاد الأخرى .

ولقد كان لتكرر الهجمات الخوارزمية على خلط أثرها على وضع الحاجب حسام الدين على . فقد تصور الملك الأشرف أن حاجبه حسام الدين تقاعس عن الوقوف في وجه جلال الدين في الوقت الذي حدد فيه ابن الأثير مناقبه في دفع أذى الخوارزمية عن البلاد ، الى جانبه دوره في تعقبهم الى بلادهم . الا أن الملك الأشرف أمر مملوكه عز الدين أبيك بالقبض على حسام الدين الحاجب فقام أبيك بالقبض عليه وقتله غيلة .

والعجيب أن أبيك قد بعث بمبعوث تركي من قبله لمقابلة جلال الدين منكبرتي حاملا رسالة مضمونها « الخضوع والطاعة وبذل النفس بلسان الضراعة ، وان الأشرف ما أمره بالقبض على الحاجب — حسام الدين على — الا لاساعته الأدب مع السلطان والتخلى الى بلاده من غير أمر صدر اليه » (١١٦) .

---

(١١٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ صص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(١١٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٣٧٨ حوادث ٦٢٥هـ .

(١١٦) النسوي : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

ومع ذلك فإن جلال الدين لم يكتفِ بهذه الكلمات المعسولة بل  
أصر على ضرورة مهاجمة أخلاق في الوقت الذي تم فيه قتل الحاجب  
على .

ويعلل الدكتور الغامدي استماتة جلال الدين منكبرتي في السيطرة  
على خلط انتقاما لاعتداءات نائب الأشرف التي لم يكن لها مبرر ضد  
أراضيه ، ومع هذا فإن الشيء الذي أثار حنق وغيظ جلال الدين على  
ما يظهر هو اختطاف زوجته من قبل ذلك النائب الأيوبي حيث يقال بأنه  
هاجم أراضى خصومه المجاوزة لحدود ولايته فدمر الأراضى ، ونهب  
وقتل وأخذ أسرى وكان من بين الأسرى زوجة الأمير الخوارزمي « (١١٧) » .

اذلك تحركت قوات جلال الدين في أوائل شوال سنة ٦٢٦ هـ الى  
مدينة خلط ، وقاموا بحصار المدينة حيث اجتمع أهل المدينة مع  
الجنود على الاستماتة في الدفاع عنها خوفا من جلال الدين « لسوء  
سيرته وأسرفوا في الشتم والسفك » (١١٨) وقد ظل مقيما على الحصار  
طوال الشتاء ومع تساقط الثلوج ، وظل أهلها يقاومون حتى جمادى  
الأولى من عام ٦٢٧ هـ حتى تمكن من فتحها عنوة .

وقد راسل أهل خلط الملك الكامل الأيوبي يطلبون منه النجدة الا  
أنه لم يجب طلبهم (١١٩) . وأظهر أهل البلاد تحملا شديدا لهذا الحصار  
« فإن الناس في خلط أكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم  
الحميز ثم البغال والكلاب والسنانير ، ويصطادون الفأر ويأكلونه » (١٢٠) .

---

(١١٧) الغامدي : اوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي ،  
ص ٣٥١ .

(١١٨) ابن الأثير : الكامل ، ص ٣٨٠ حوادث ٦٢٦ هـ .

(١١٩) المقرئ : السلوك ، ج ١ ص ٢٣٦ .

(١٢٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٣٨٠ .



ويحاول النسوى مؤرخ حياة جلال الدين منكبرتى أن ينفى عن سيده الأعمال البشعة التى قام بها الجند الخوارزمى ضد الأهالى الآمنين حتى طارت سمعتهم فى الآفاق .

فيقول « ان السلطان أراد أن يحمى خلاط من النهب فغلبوه على رأيه فيها » (١٢١) اذ أن جنوده وأمرأه رفضوا هذا الكلام وقالوا « ان تطاول مدة الحصار قد أضعف عسكريك وأفنى خيلهم ودوابهم ، فان منعهم النهب قعد بهم الضعف عن لقاء عدو يتحرك ، ولعل الضعف يفضى بهم الى تشتت الشمل ، وانتشار الحبل ، فنفتوا عليه من هذا القبيل لسحت شرهوا الى احتجانه حتى أرخى عنانهم من النهب فنهبوا ثلاثة أيام تباعا ، فكان قرحا على قرح وملما فوق الجرج ، واستخرجوا دفائن أهلها وخباياهم بالمعاصير ، فمن وقع بيده واحد من الخلاطية عذبه أنواع العذاب » (١٢٢) وقد وقعت نساء كثيرات فى الأسر منهن زوجة الأشرف موسى ، فتزوج بها جلال الدين منكبرتى فى نفس الليلة التى دخل فيها المدينة (١٢٣) .

وقد قام جلال الدين بترميم المدينة بعد التخريب والتدمير الذى أحدثه بها جنوده « وندم على ما أطلق عليها من النهب والتخريب وأين من الندامة نفوس مدرسه وأجساد تحت أطباق الثرى مطموسه فأطلق من الخزانة أربعة آلاف دينار ليجدد ما خربتها المجانيق من السور » (١٢٤) .

### التحالف الأيوبي السلجوقي ضد جلال الدين منكبرتى :

لقد بدأ نجم جلال الدين المتألق فى الأقول ، عندما بدأ التحالف بين البيتين الأيوبي والسلجوقي .

---

(١٢١) النسوى : المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

(١٢٢) المصدر نفسه .

(123) D'ohsson « op - cit » III. p. 42.

(١٢٤) النسوى : نفسه ، ص ٣٢٥ .

فقد شعر كل من الأشرف موسى صاحب خلاط ، وعلاء الدين كيقباز سلطان سلاجقة الروم بخطورة الموقف ، وبأن جلال الدين سيفيوم بالاستيلاء على كل مدينة لهم واحدة في اثر الأخرى . الى جانب ضرورة توضيح مدى العداء والكراهية التي ملأت قلب الأشرف موسى ضد جلال الدين من جراء ما فعله بممتلكاته في خلاط ، وما فعله مع زوجته ، أما عن عداء علاء الدين كيقباز لجلال الدين في هذه الآونة فقد أوضحه ابن الأثير بأنه كانت هناك عداوة مستحكمة بين علاء الدين كيقباز وبين ابن عمه جهان شاه بن طغرل حاكم أرزن الروم « أرضروم » حتى أنه تحالف مع جلال الدين منكبرتي وقدم له العون العسكري في حصار خلاط ، لذلك خاف علاء الدين سلطان سلاطين الروم من هذا التحالف بين جهان شاه وبين جلال الدين منكبرتي (١٢٥) . فقرر ضرورة التحالف مع الأشرف لاجتماعهما على عداوة جلال الدين .

أرسل علاء الدين كيقباز الى الملك الكامل أثناء تواجده بحران ، وطلب منه أن « يحضر أخاه الأشرف من دمشق لأنه كان قد ملكها بعد وفاة المعظم عيسى » (١٢٦) .

تكررت النداءات من قبل علاء الدين ، واستعد الكامل مع أخيه الأشرف ، وتوجهت الجنود الى سيسواس (١٢٧) .

لذلك توجه ركن الدين جهان شاه مرة أخرى الى جلال الدين منكبرتي . « فأعلم السلطان باتفاق ملوك الشام والروم عليه ، وقال ان الرأي في مبادرتهم قبل أن يجتمعوا فيصير الأمر خدعه » (١٢٨) .

---

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٣٨١ حوادث سنة ٦٢٧ هـ .

(١٢٦) نفسه .

(١٢٧) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٨١ .

(١٢٨) النسوى : نفسه ، ص ٣٢٩ .

وافق جلال الدين على التعجيل بمهاجمة قوات علاء الدين والأشرف  
موسى ، فيتوجه ركن الدين جهان شاه الى أرزن الروم ليستعد بها ويتوجه  
جلال الدين الى خرتبرت •

وقد حاول النسوى أن يعلق أحوال جلال الدين قبل أن يصل  
بنا الى نتيجة اللقاء الحربى ، فيبين أنه « مرض مرضاً شديداً  
سقط فيه على الفرائش وأيس من الانتعاش » (١٣٩) ، وهو بذلك يعطى  
مقدمة لهزيمة جلال الدين فى هذه المعركة •

دارت المعركة عند « بياس حمار من أعمال أرزنجان » ويقدر  
عدد جيش علاء الدين ما يقرب من عشرين ألف فارس ، والأشرف خمسة  
آلاف من خيرة الرجال الشجعان وكان المقدم عليهم أمير العسكر  
عز الدين عمر بن على من الأكراد الهكارية ، لذلك كان لهذا العدد  
الضخم تأثير عميق على موقف جلال الدين الذى « بهت من كثرة  
العساكر » (١٣٠) ، وهزم جلال الدين أمام عز الدين عمر مقدم العسكر  
« فمضى هو وعسكره لا يلوى الأخ على أخيه وتفرقت أصحابه وتمزقوا  
كل ممزق » (١٣١) •

عاد جلال الدين الى خلط وسحب من تبقى من رجاله وأصحابه  
وتوجهوا صوب أذربيجان ثم مدينة خوى •

أما عن مصير حليفة ركن الدين جهان شاه صاحب أرزن الروم ،  
فقد وقع فى أسر علاء الدين كيقباز ، حيث قام جهان شاه بتسليم  
ممتلكاته فى أرزن الروم الى علاء الدين وظل جهان شاه معتقلاً  
حيث مات فى اعتقاله (١٣٢) •

---

(١٢٩) نفسه : ص ٣٣٠ •

(١٣٠) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٨١ •

(١٣١) نفسه •

(١٣٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٣٠٠ حوادث سنة

٦٢٧ هـ •

(م ١٧ — التاريخ السياسى )

وبعد هذه المعارك الحربية فقد سعى هؤلاء الأمراء الى عقد صلح مع جلال الدين ، على أن يقنع كل حاكم بالسيطرة على البلاد التي في حوزته . ويؤكد النسوى على هذا الخبر بقوله « لما علم الأشرف أن شرف الملك هو المقيم بسكماناباذ فاتحة بالمراسلة والملاطفة وقال : ان سلطانك سلطان الاسلام والمسلمين وسيدهم . والحجاب دونهم ودون التتار وسدهم ، وغير خاف علينا ما تم على حوزة الاسلام وببيضة الدين بموت والده ، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الاسلام ، وضرره عائد الى كافة الأنعام ، وأنت قد جلبت الدهر أشطره وعرفت نفعه من ضرره ، وذقت حلوه ومره فلا ترغبه في جمع الكلمة ما هو أهدي سبيلا وأقوم قبلا ، ولما لا تدعوه الى الألفة التي هي أحمد في البدو والعقبى ، وأقرب الى ما يقربه الى الله زلفى ؟ وها أنا من السلطان من جهة علاء الدين كيقباز وأخى الملك الكامل ما يرضيه من الانجاد والاسعاد واصفاء النيات على حالتي القرب والبعد ، والقيام بما يزيئ عارض الوحشة ويمحو سمة الفرقه » (١٣٣) .

بعد ذلك توجه الأشرف موسى الى سنجان ومنها الى دمشق ، وأقام جلال الدين بأذربيجان حتى هجوم المغول عليه .

### نهاية جلال الدين منكبرتي :

لقد رأينا كيف حاول جلال الدين منكبرتي — رغم هزيمته على يد الأشرف موسى وعلاء الدين كيقباز — أن يجمع الشمل الاسلامي أمام

---

(١٣٣) النسوى : نفسه ، ص ٣٣٤ .

بذكر أبو شامة في الذيل : ان الأشرف قد رأى قبل الكسره النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فوعده بالنصر عليهم فقال يا موسى : أنت منصور عليهم ومظفر بهم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٥٩ .

Peter Brunt « op - cit » p. 132 — 133.

Saunders « op - cit » p. 78.

الخطر الكبير الذى بدأ يطل على العالم الاسلامى مرة أخرى ألا وهو  
خطر المغول •

فلقد رأينا الدور الذى قام به جنكيزخان ضد البيت الخوارزمى  
وكيف تشتت شملهم حتى هرب جلال الدين الى بلاد الهند •

فى هذه الفترة توقف دور المغول عن الاعتداء على الأراضى  
الاسلامية بسبب وفاة جنكيزخان سنة ١٢٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وبقاء عرش  
المغول خالياً لمدة عامين ، مما دعى كبار الأمراء — ازاء الصحوة التى  
حدثت فى العالم الاسلامى ، وظهور جلال الدين مرة أخرى الى ضرورة  
التعجيل بتنصيب خان جديد حتى تتصلح الأمور ، وقرروا بعد انعقاد  
المقور يلتاى انتخاب ابنه أوكتاى خاقانا أى خانا أعظم على الامبراطورية  
المغولية سنة ١٢٢٦ هـ / ١٢٢٩ م (١٣٤) •

والثابت تار يخيا أن المغول رغم انشغالهم بموضوع تعيين خان  
جديد لهم ، الا أن سلسلة اعتداءاتهم على الأراضى الخوارزمية لم  
تتقطع ، فجميع المؤرخين المسلمين يؤكدون اغارات كثيرة لهم على  
هذه الأراضى • ويحاول النسوى أن يحمل براق الحاجب أتابك كرمان  
المسئولية فى مراسلة المغول (١٣٥) •

فقد خرجت فى هذا العام حملات مغولية الى الرى ، لم يتمكن بن  
الاثير ولابن واصل فى تقدير عددها ، وفى تحديد مدى الهزيمة أو النصر  
الذى كان من نصيبها •

وقد تكررت هزيمة جلال الدين وانتصاره فى منطقة الرى ،  
وخلال انشغاله بتحالف القوى الاسلامية ضده •

---

(134) Peter Brunt « op - cit » p. 133, Phillips « op - cit » p. 63.

وقد هزمت قوات المغول فى هذه الآونة بدون تدبير من جلال الدين ، فقد حدث أن خرج أخوه غياث الدين ومجموعة من الجنود عن صفه وهربوا الى خوزستان لكراهيتهم لجلال الدين •

عندئذ ظن المغول أن هذه خدعه ، لمهاجمتهم من ناحية أخرى « فانهزمت التتر لهذا الظن » (١٣٦) •

فى الوقت الذى ظن فيه جلال الدين أن ما قام به المغول من اظهار الهزيمة ما هو الا خدعة حربية ، لذلك ، خاف دخول أصفهان • مما فتح الطريق أمام المغول لدخولها ، ودخلوها فى حين ظن أهلها أن جلال الدين قد توفى (١٣٧) ، فراسلهم جلال الدين وأخبرهم سلامته وطلب معونته فوقفوا معه صفًا واحدًا ضد المغول حتى هزموهم وطردوهم من أصفهان (١٣٨) وتبعهم جلال الدين الى الرى يقتل ويأسر ، واستولى على المدينة ، فى الوقت الذى وصلتته رسالة من الخان أوكتاى يحاول أن ينفى عن جيشه تبعة العدوان على الأراضى الخوارزمية ، وبين لجلال الدين أن هؤلاء الجنود ليسوا تابعين له بل انه أبعدهم وأبعد مقدمهم « فرجع الى أذربيجان » (١٣٩) • ومع ذلك فقد استقرت الأوضاع فى دولة المغول ، وبدأ العدوان من جديد على الأراضى الخوارزمية •

الا أننا قبل أن ندخل فى تفاصيلها يحق لنا أن نقف وقفه هنا حول خيانة غياث الدين شيرشاه أخو جلال الدين الذى وقف هذا الموقف السئ فى ساعة العسره ، وخان أخاه ، وسحب فرقته العسكرية راغباً

---

(١٣٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٣٧٦ .  
ابن واصل : مفرج الكروب : ج ٤ ص ٢٣٢ .  
(137) Juwaini « op - cit » vol II pp. 430 — 438.

(١٣٨) ابن الأثير : نفسه ص ٣٧٦ .  
(١٣٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ٢٣٣ .

فى اندحار أخيه على يد المغول تملأ قلبه الغيرة والحقد على ما حصله جلال الدين من انتصارات وما استعاده منه من ممتلكات بعد عودته من الهند ، فنراه يتوجه الى دار الخلافة العباسية فى بغداد محتما بالخليفة الناصر لدين الله لما يعلمه من العداوة الكامنة بين العباسيين والخوارزميين (١٤٠) .

توجه غياث الدين بعد ذلك الى الباطنية فى فارس وتحالف مع شيخهم علاء الدين محمد « لما بلغه من عودة التاتار وظهور السلطان رعبا لم ير معه أرضا تمنع ، ولا عونا يدمغ ولا وازعا يردع » (١٤١) أما ابن الأثير فيذكر أن غياث الدين « قصد بلاد الاسماعيلية فوصل اليهم واحتفى بهم واستجار بهم » (١٤٢) .

وبذلك نرى أن غياث الدين يتحالف مع القوى المعادية لجلال الدين منكبرتى محاولا فى ذلك فى تفتيت عضده واضعافه فى وقت كانت البلاد أحوج ما تكون فيه الى الوحدة الاسلامية .

ولم يتوقف خطر الاسماعيلية عند حد الوقوف فى وجه جلال الدين وايواء أخيه ، بل انهم ، استغلوا فرصة هزيمته على يد السلطان الأشرف موسى الأيوبي وعلاء الدين كيقياذ ، وأرسل شيخهم الى المغول يطلبهم على ما بلغه جلال الدين من ضعف ويهون له من شأنه ويحثهم على غزو بلاده ، ويؤكد لهم أن النصر سوف يكون حليفهم (١٤٣) . ويرجح ابن الأثير ذلك الى أن جلال الدين كان « قد عادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم ، وأكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة » (١٤٤) .

---

(١٣٩) ابن الأثير : نفسه .

(١٤٠) النسوى : المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(١٤٢) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٧٥ .

(١٥٣) نفسه : ص ٣٦٩ .

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٢٨ هـ ص ٢٨٣ .

(١٤٤) نفسه .

والحقيقة أن المغول لم يكونوا فى حاجة الى تذكير من طائفة الاسماعيلية ولا من غيرها اذ أن الأمر الذى لا شك فيه أن الأمور قد استقرت الآن فى دولة المغول كما أوضحنا وانتخب أوكتاي خانا أعظم لهم ، وكان لابد من شن الهجمات على الدولة الخوارزمية واستكمال الخطة المغولية فى تكوين الامبراطورية العالمية •

ففى بداية عام ستمائة وثمان وعشرين وصلت الأخبار الى مسامع جلال الدين بخروج التتار وعبورهم الى بلاد ما وراء النهر الى ايران • وقد كان قائد الجيش هو جرماغون نويان الذى قاد فرقة تزيد على ٥٠٠٠٠ جندي مصطحبا أمهر قواد المغول ، بل ان العدد زاد فيما بعد الى ما يقرب من عشرة آلاف جندي (١٤٥) •

وقد نجحت هذه الفرقة فى الاستيلاء على الري وهمذان وما بينهما من البلاد • لذلك أرسل جلال الدين فرقة استطلاعية بقيادة أحد بهلوانيته المدعو يرغو ليين له أخبار المغول ، وعند عودة القائد — بعد القضاء على جميع ما معه من الرجال — الى جلال الدين أخبروه بأن المغول على الحدود • فى الوقت الذى كان جلال الدين يتصور أن المغول « يشتمى بالعراق ، ولن يتعدى الى أذربيجان الا فى الربيع » وقد كان فى ظروف سيئة ومقيما بتبريز بعد هزيمته على يد الأيوبيين والسلاجقة • لذلك رحل من تبريز الى موقان (١٤٦) وهو مجاور للساحل الغربى من بحر قزوين ، قبل أن يتمكن من جمع جيوشه ، ولم يكد يستقر

---

(145) Peter Brunt « op - cit » p. 135.

Saundeers « op. - cit » p. 85.

(١٤٦) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ص ٣٥٠ .  
فقد كانت جنود جلال الدين قد هجروه وتركوه وحيدا وتشتت معظم جيشه حتى أنه توقع زوال ملكه .  
انظر أبضا :  
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٧٥ حوادث سنة ٦٢٨ .



فى منطقة موقان حتى علم بمسير المغول اليه ، فاضطر الى العودة ثانية الى أذربيجان<sup>(١٤٧)</sup> ، وأقام بالتحديد فى منطقة تابعة لها تسمى ماهان حيث كان يصله أخبار المغول من قبل عز الدين صاحب قلعة شاهق واستمر مقيما هناك طوال الشتاء •

وصلت اليه الأخبار أن المغول يتعقبونه ، وأنهم خرجوا من أوجان لقصده ، وطلب اليه عز الدين أن يتوجه الى آران حتى يساعده من بها من التركمان ، ويكون الطريق مفتوحا أمامه الى بلاد الهند عند حصار المغول له (١٤٨) •

حاول جلال الدين مراسلة القوى الاسلامية الموجودة فى هذه الفترة راغبا فى توحيد الجبهة أمام جحافل المغول على أن يبقى لنفسه على آران وأذربيجان فقط ، الا أن النسوى نراه يعتبر أن مراسلة جلال الدين للأشرف ولعلاء الدين كيقيباز كان خطأ حتى أنه يقول « فلما يابض الشيطان فى رأسه فرخ وشوى السوداء فى رأسه وطبخ كاتب علاء الدين كيقيباز والملك الأشرف وباذلا لهما الطاعة » (١٤٩) •

ومما كتبه الى القوى المعاصرة « ان جيشا جرارا من عساكر التتار كأنه النمل والطحابين من حيث الكثرة والقوة قد تحرك نحونا ، فاذا ترك وشأنه فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأحصار ، وقد تمكن الرعب من قلوب الناس فى هذه المنطقة ، فاذا هزمت وخلا مكانى من بينكم ، فلن تستطيعوا مقاومة هذا العدو ، واذن فأنا لكم بمثابة سد الاسكندر ، فليسارع كل منكم الى امدادنا بفوج من الجنود حتى اذا ما وصلهم نبأ اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم ، وفدت فى عضدهم فيتشجع جنودنا وتقوى قلوبهم » (١٥٠) •

---

(١٤٧) النسوى : نفسه ، ص ٣٥٦ •

(١٤٨) نفسه : ص ٣٥٧ •

(١٤٩) نفسه •

(150) Juwaini « op - cit » vol. II. p. 452.

ويبدأ النسوى حديثه بعد ذلك بعرض للحركات المناوئة للدولة الخوارزمية ، والتي بدأها بمدينة تبريز التي خرجت على تسمس الدين الظغرائي الوالي الخوارزمي لسوء معاملته لأهلها ، « فهمت عامة تبريز بقتل من بها من أتباع الخوارزمية تقربا الى التاتار ، وتشفيا من الأحقاد والأوتار » (١٥١) ، وتبعهم أهل كنج من الكرج التابعين لجلال الدين ، فقد قاموا بقتل الخوارزميين الموجودين بها بعد ابتعاد جلال الدين عنهم « وحملت رعوسهم الى التاتار وأظهروا العصيان » (١٥٢) ، الا أن جلال الدين أمر رجاله بالتوجه الى كنج محاولين استمالة أهلها مرة أخرى ، وتعبئة الرأي العام الى جانب جلال الدين ، وافهامهم بخطورة التتار عليهم وعلى العالم الاسلامي أجمع ، الا أنهم « كانت الموعظة اذا ألقيت عليهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا » (١٥٣) . ووصل جلال الدين وأقام بالقرب منها ، وترددت الرسل بين الطرفين الا أن السلم لم يجد لذلك وإجهم بالقوة العسكرية « فأنحلت العزيمة عن ساقط أجسلم وأبدان فوق هام وهاموا على وجوههم كأنهم قطعان الغنم راعتها الذئاب » (١٥٤) . ونجح جلال الدين في دخول كنج بالقوة .

وأخيرا قرر الاستنجد بالملك الأشرف موسى طبقا للصلح الذي ثم بينهم فيما سبق ، الا أن الأشرف موسى تلكأ « وهيهات ان الضغينة اذا تمكنت من القلوب تلبث وربما تورث وان المستعين على العدو بذى تأثيره كالمستجير من الرمضاء بالنار » (١٥٥) .

وقد توجه الملك الأشرف الى مصر ليضيق الوقت على جلال الدين . ووعدهم بأنه سيأتي يعساكره لنجدة جلال الدين من مصر .

(١٥١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٣٥٩ .

(١٥٢) نفسه : ص ٣٦٠ .

(١٥٣) نفسه : ص ٣٦٩ .

(١٥٤) نفسه :

(١٥٥) النسيوى : ص ٣٧١ .

وقد ظل جلال الدين يتنقل من مدينة الى مدينة ومعظمها من المدن التابعة للكرج .

وقد وصلت رسالة الى جلال الدين من مختص الدين أكبر رسله الموجهين الى الملك الأشرف يؤكد له اليأس من وصول نجده من قبل الأشرف « وانه لا يرجع من مصر الا بعد انفصال أمر السلطان مع التتار على احدى الحالين » (١٥٦) .

بعث جلال الدين رسله الى الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر يطلب النجدة منه ومن حكام آمد وماردين ، وقد توقع جلال الدين وصول نجدتهم اليه بعد أن وعد المظفر بتخليكه ما يرغب من البلاد في حالة انتصاره على التتار (١٥٧) .

وللأسف فان المظفر عند وصول بعثة النسوى اليه تحجج حججا واهية وادعى عدم قدرته السياسية والعسكرية على تقديم مثل هذه المعونة . وحاول جلال الدين أيضا الاستنجاد بالخليفة العباسي ، الا أن المغول لم يتركوا له فرصة لتحقيق هدفه .

ويؤكد النسوى على أنه قد علم أثناء سفارته للملك المظفر بأن المغول قد تجهزوا فعلا للقضاء على السلطان جلال الدين ، لذا حاول استمالة المظفر بتوضيح خطورة المغول وانهم سيتعرضون لنفس الخطر اذا سقط جلال الدين ، الا أن المظفر أفهمه أنه لا يستطيع أن يتخذ أمرا دون الرجوع الى اخوته (١٥٨) .

وقد ذكرنا أن السلطان جلال الدين كان يتنقل من بلد الى آخر

---

(١٥٦) نفسه : ص ٣٧٢ .

(١٥٧) نفسه : ص ٣٧٢ .

(١٥٨) النسوى : نفسه ، ص ٣٧٤ .

حتى وصل الى مدينة حانى ، فوصل اليه النسوى وأوضح له عدم  
تمكنه من تحقيق رغبته فى وصول أى نجدة من القوى الاسلامية « وأنهم  
يضربون فى حديد بارد فما من منجد ولا مساعد » (١٥٩) .

فكر جلال الدين والمخلصون من رجاله أن يتركوا أثقالهم بديار  
بكر ويتوجهوا بنساءهم وأطفالهم الى أصفهان فى الوقت الذى وصل  
اليهم فيه رسول صاحب آمد يعرض المساعدة العسكرية عليهم على  
أساس أن يتوجه جلال الدين للاستيلاء على ممتلكات سلاجقة الروم  
للعداء بين صاحب آمد وسلطان سلاجقة الروم .

اقتنع جلال الدين بفكرة صاحب آمد وعدل عن فكرة الاتجاه  
صوب أصفهان ، وبعدها توجه بكل ما معه الى آمد ونزل بجسر بقربها (١٦٠)

أما رواية ابن الأثير فى هذا الموضوع فإنه يذكر أن جلال الدين  
بعد أن رأى ما فعله التتار فى أذربيجان من أهوال وقتل وسفك للدماء  
تركها متوجها الى خلاط ، وأرسل الى نائب الأشرف موسى يقول « ما جئنا  
للحرب ولا للأذى انما خوف هذا العدو » (١٦١) ، بل ان جلال الدين  
رغب أيضا فى الاتصال بالخلافة العباسية .

الا أنه عندما وصل الى خلاط تعقبته الجيوش المغوية فلما أدرك  
ذلك اتجه مباشرة صوب آمد التى كان يحكمها الملك المسعود بن الملك  
الصالح محمود بن محمد الأرتقى (١٦٢) .

---

(١٥٩) نفسه : ص ٣٧٧ .

(١٦٠) نفسه : ص ٣٧٧ .

(١٦١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٣٨٤ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣٢١ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

(١٦٢) ابن واصل : نفسه .

ومهما كانت الحقيقة فقد توجه جلال الدين منكبرتي صوب آمد  
في الوقت الذي داهمته الجيوش المغولية من كل جانب (١٦٣) .

عندئذ هزم جلال الدين من المغول الذين أحاطوا بالخوارزميين من  
كل جانب ، وقتلوا عددا كبيرا من الخوارزميين وتفرق الباقون وكان  
السلطان نفسه ضمن من لاذوا بالفرار .

وتوجه جلال الدين منهزما الى ميافارقين من أجل لقاء المظفر  
شهاب الدين غازي ليعتصم بها حتى يجتمع اليه جيشه (١٦٤) . فأقام  
بقرية من قرى ميافارقين « فنزل ببيدر ها » في الوقت الذي تركه أورخان  
قائد جيشه ، وكذلك قام المغول بارسال خمسة عشر فارسا من فرسانهم  
وأدرکه اثنان منهم فقتلها جلال الدين أما الفرسان الباقين فقد  
عادوا من حيث أتوا بعد أن يئسوا من اللحاق به (١٦٥) .

وتختلف رواية ابن الأثير والنسوى وابن واصل في حقيقة مقتل  
جلال الدين . فنرى ابن الأثير يذكر أنه بعد هرب جلال الدين لم يعرف  
أحد طريقه « ولم يتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو اختفى  
لم يظهر نفسه خوفا من التتر أو فارق البلاد الى غيرها والله أعلم » (١٦٦) .

---

(١٦٣) النسوى : نفسه .

ص ٣٧٨ بذكر النسوى أن جلال الدين من شدة هوميه سكر في هذه  
الليلة ودارت رأسه وداهمه المغول وهو في هذه الحالة . أما النسوى نفسه  
فيقول « كنت ملازما للسلطان جلال الدين — سهرت تلك الليلة للكتابة  
نفلبني النوم في أخرياتها ، فلم أشعر الا بالغلام ينبهني ويقول « قم فقد  
قامت القيامة ، فلبست سريعا ، وخرجت هربعا وتركت في المنزل ما ملكته  
جميعا » .

انظر ص ٣٧٨ .

(١٦٤) ابن واصل : ج ٤ ص ٣٢٢ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

(١٦٥) النسوى : نفسه ، ص ٣٨١ .

(١٦٦) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٣٨٦ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

أما النسوى فيذكر وهو أشد التصاقا بالسلطان جلال الدين « أنه بعد أن قتل الفارسين المغوليين ، ألق ببقية الفرسان عن مطاردته خوفا من أن يلحق بهم ما لحق باخوانهم ، بعدها ، صعد جلال الدين جبلا يقوم على حراسة مدخله الأكراد الذين كانوا يعتمدون على السلب والنهب فأخذوه وسلبوه ما معه كعادتهم ، فحين هموا بقتله قال لكبيرهم سرا اننى أنا السلطان فلا تستعجل فى أمرى » ووعده بمراكز عليا فى دولته ، فى حالة ايصاله الى الملك المظفر شهاب الدين « (١٦٧) » .

لذلك قرر رئيسهم ضرورة ايصاله الى بلاده وصعد به الى عشيرته ، وأدخله بيته وتركه عند زوجته وذهب هو ليعد خيلا له ، وفى أثناء غياب ذلك الرجل الكردي جاء الى امرأته رجل آخر فوجد جلال الدين فسألها عن هذا الرجل الخوارزمى ولم لم يقتلوه « لا سبيل الى ذلك وقد آمنه زوجى وعرف أنه هو السلطان » (١٦٨) فعرفها أن السلطان جلال الدين قتل له بخلاط أخ خير منه « فضربه بالحربة ضربة أغنت عن الثانية وألحقته بالنفوس الفانية » (١٦٩) .

أما رواية بن واصل فتختلف فى تفاصيلها بعض الشيء عن رواية النسوى ، وهى أنه عندما وصل جلال الدين الى قرية من قرى ميافارقين بعث بعض أهالى هذه القرية الى الملك المظفر شهاب الدين يعرفه بوصول جلال الدين ، وكان بتلك القرية رجل كردى كان عسكر جلال الدين قد قتلوا أباه وأخاه ، فوثب ذلك الكردي على جلال الدين فقتله (١٧٠)

(١٦٧) النسوى : نفسه ، ص ٣٨٢ ص ٢٤١ .

(١٦٨) نفسه .

(١٦٩) نفسه .

المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ حوادث ٦٢٨ هـ .

(١٧٠) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٣٢٢ حوادث سنة ٦٢٨ هـ  
كان مقتل جلال الدين فى منتصف شعبان سنة ٦٢٨ هـ ١٥ أغسطس

١٢٣١ م .

أما الحافظ الذهبى فيذكرها انها تمت فى أوائل سنة ٦٢٩ هـ .

الذهبي : العبر فى خبر من غير ، ج ٥ ص ١١٤ .

وعندما وصلت أخبار قتله الى الملك المظفر شهاب الدين بعث الى القرية ليكشف عن أمره فأحضرت له عدة جلال الدين وملبوسة ، فعرف ذلك بعض الخوارزمية الذين كانوا هربوا اليه من أصحاب جلال الدين وشهد عنده أن هذه عدة جلال الدين وملبوسة فتحقق حينئذ قتله (١٧١) . ويرد بن واصل قائلاً أن الناس كانوا يظنون أنه ذهب الى بلاد الهند كما فعل أول مره ، أو الى بعض الجهات ويقوامده يترجونه وبقي جماعة من العجم والخوارزمية بعد موته مدة طويلة ينتظرون «عودة كما ينتظر الحاكم عودة الحاكم والامامية محمد بن الحسن المنتظر والكسيسانية محمد بن الحنفية» (١٧٣) .

وبهذا سقطت الدولة الخوارزمية التي كان لها هذا الدور القوي كدولة هامة من دويلات المشرق الثغرية حتى أن جماعة دخلوا على الأشرف موسى بعد مقتل جلال الدين فهناؤه بموته فقال «تهنئوني به وتفرحون وسوف ترون غبة والله لتكونن هذه الكسرة سببا لدخول التتار الى بلاد الاسلام ، وما كان الخوارزمي الا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج» (١٧٣) .

ولابد لنا في هذا المقام من تقييم بسيط لهذه الشخصية المحاربة الفذة التي اختلفت فيها الآراء ، وتعددت . فنرى أن معظم المؤرخين الفرس والأتراك يحاولون أن يضيفوا عليه حالة من القداسة في حين أن المؤرخين العرب قد تحامل عليه معظمهم ووصفه بأحط صفات العُدر وسوء الأخلاق .

فنرى النسوي يصفه لنا بأنه كان أسمر قصيرا تركي الشارة والعبارة . . . أما شجاعته فحسبك منها ما أوردته من وقائعة فكان أسدا

---

(١٧١) نفسه .

(١٧٢) نفسه .

(١٧٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٢٧٧ .

ضرعاما ، أشجع فرسانه اقداما ، وكان حليفا لا غصو بأولا شتاما ،  
وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر كلاما » (١٧٤) .

أما ابن الأثير « فقال انه كان سىء السيرة قبيح التدبير للملك لم  
يترك أحدا من الملوك المجاورين الا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته ،  
فمن ذلك أنه أول ما ظهر فى أصفهان وجمع العسكر قصد خوزستان  
فحصر مدينة شستر وهى للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها ،  
وقيل فيها فأكثر وهى للخليفة ٠٠٠٠ الخ » (١٧٥) .

وبهذه الأحداث وبمقتل جلال الدين أسدل الستار على التاريخ  
السياسى للدولة الخوارزمية ليتبقى لنا شراذم الخوارزمية الذين انساحوا  
فى أرض المسلمين راغبين فى استعادة مجدهم السالف وعزهم البائد .

---

(١٧٤) النسوى : نفسه ، ص ٣٨٤ .

(١٧٥) ابن الأثير : نفسه ، ص ٣٨٣ .



## الفصل السابع

### البقايا الخوارزمية في العالم الاسلامي بعد سقوط الدولة الخوارزمية

تشتتت القوات الخوارزمية — بعد مقتل جلال الدين واستيلاء المغول على معظم أراضي الجزيرة وأرمينية وخراسان — حتى أصبحوا بمثابة جنود مرتزقة لمن يدفع أكثر ، الى جانب أنهم حاولوا أن يجدوا لهم وسط الفوضى السياسية منفذا يحققون به أحلامهم الضائعة ويعوضون مجد دولتهم الزائل .

ويبدأ لنا ابن واصل حديثه بأن ما يقرب من اثني عشر ألف فارس من جنود جلال الدين اتجهوا الى خدمة السلطان علاء الدين كيقباز للاستعانة بهم كجنود مرتزقة في حروبه ضد أعدائه ومنهم بركت خان وكشاورخان وصاروخان وفرخان وبردي خان وبدأ نشاطهم أولاً في جبهة علاء الدين كيقباز سلطان سلاجقة الروم ، حين بدعوا صراعهم مع الأيوبيين .

فقد حاول سلاطين الأيوبيين التحالف مع علاء الدين كيقباز للوقوف في وجه الخطر المغولي الداهم الذي بدأ ينساح في العالم الاسلامي الا أن علاء الدين خوارزم بادرهم بمحاولة الاستيلاء على مدينة خراسان التي كانت تابعة في الأصل للأيوبيين ، وذلك بعد خروج التتار (٢) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ص ٣٢٥ حوادث سنة ٦٢٨ هـ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ص ١٥٩ حوادث سنة ٦٣٤ هـ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

عندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع الملك الكامل تحرك لاسترجاع المدينة فى الوقت الذى كانت فيه قوات علاء الدين كيقباز الخوارزمية تستعد للاتجاه نحو خلاط \* فخرج الملك الكامل من القاهرة — واستتاب عليها ابنه العادل وبدأ فى تأليب الرأى العام الاسلامى ضد كيقباز<sup>(٣)</sup> \*

اجتمعت الى الملك الكامل اعداد كبيرة من الجنود توجه بهم للملاقاة علاء الدين وجنوده الخوارزمية ، الا أن جنود الكامل رغبوا فى الانفضاض عنه والاتجاه الى علاء الدين لكراهتهم للكامل لرغبته فى «يعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم بدل ما بأيديهم ، ويجعل الشام والشرق مضافا الى مصر»<sup>(٤)</sup> لذلك فكر المجاهد صاحب حمص والأشرف موسى فى الاتصال بعلاء الدين كيقباز للاتفاق معه ضد السلطان الكامل فاضطر الكاهل الى التراجع<sup>(٥)</sup> \*

شارك الخوارزمية علاء الدين فى استكمال دوره التوسعى ضد الأيوبيين والأرناؤة عندما قلم بانتزاع خربتبرت من الأرناؤة وكذلك حران والرها<sup>(٦)</sup> \*

وقد استمر الخوارزمية يخدمون البيت السلجوقى طوال حياة علاء الدين كيقباز ، حتى وفاته وقولية ابنه غياث الدين كيخسرو الذى أساء معاملتهم ، فقبض على بركت خان وهو أكبر مقدميهم ، لذلك اضطروا الى ترك خدمته واتجهوا للأقامة فى آسيا الصغرى فى انتظار الفرصة السانحة ، بل نهبوا ما كان فى طريقهم<sup>(٧)</sup> \*

---

(٣) المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٧ \*

(٤) نفسه : ص ٢٤٨ \*

(٥) المقرئى : نفسه \*

(٦) نفسه \*

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ — ٢٩٧ \*

(٧) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ص ١٥٩ \*

والحقيقة أن هؤلاء الخوارزميين قدموا خدماتهم للخلافة العباسية فيذكر أن الخليفة المستنصر بالله استخدم منهم في سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م أربعة آلاف فارس (٨) .

وبعد أن خرج الخوارزمية عن طاعة علاء الدين وأصبحوا أحرارا نجد أن الدولة الأيوبية في هذه الآونة كانت في ظروف سياسية حالكة ، فقد كانت منشقة على نفسها فالأشرف موسى صاحب دمشق خرج على أخيه الأكبر السلطان الكامل بعد أن كان حريصا حتى ذلك الوقت على محالفته (٩) لكن الأشرف مالبت أن توفي فبدأت الحرب الأهلية بين أبناء البيت الأيوبي

كان الكامل هو الشخصية الكبيرة الموجوده على مصر آنذاك وكان ابنه الصالح نجم الدين أيوب حاكما على حصن كيفا في عام ٦٣٤ هـ ١٢٣٦م . فأرسل الى أبيه الكامل يستأذنه في أن يضم الخوارزمية الموجودين في الجزيرة الى جيشه ، فوافق أباه وبذلك بدأ الجنود الخوارزميين الآن يتغيرون من خدمة السلاجقة الى خدمة أعدائهم الأيوبيين (١٠) .

بعد وفاة الأشرف موسى . نجح الملك الكامل الأيوبي في الاستيلاء على دمشق في الوقت الذي نجح فيه ابنه الصالح أيوب في الاستيلاء على سنجار ونصيبين بفضل الجنود الخوارزمية (١١) .

لم يطل المقام بالملك الكامل اذ توفي قبل عودته الى مصر ، وخلفه

---

(٨) نفسه .

(٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، صص ٢٨٢ — ٢٩٧ .

(١٠) المقرئ : نفسه ، حوادث سنة ٦٣٤ هـ ، ص ٢٥٥ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(١١) المقرئ : نفسه ، ص ٢٥٧ .

(م ١٨ — التاريخ السياسي )

على العرش الأيوبي ابنه الملك العادل الثانى وصارت له السلطنة والسلطة العليا فى الدولة الأيوبية •

استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب — ابن الكامل — على دمشق سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م مما أوقعه فى نزاع مع أخيه السلطان العادل (١٢) وفى ذلك النزاع استعان كل واحد من الأخوين المتنازعين بأئصار من البيت الأيوبي نفسه ، فاعتمد العادل الصغير على سيركوه صاحب حمص واعتمد الصالح على المظفر تقى الدين الثانى ملك حماه ، هذا فضلا عن أن كل فريق منهما استعان بجموع من الخوارزمية الذين تفرقوا ببلاد الشام (١٣) •

وما يهمنا فى هذا المقام هو الصالح نجم الدين أيوب الذى ذكرنا أنه ملك دمشق الا أن تفصيل ذلك يرجع الى حين وفاة الكامل فقد كان الصالح موجودا على الرحبة ، وعند سماعه نبأ وفاة والده تركها ، وفجأه نجد أن جنده الخوارزمية — الذين أصبحوا رجالا أصحاب مطامع يرغبون فى استعادة ماضى فقدوه — يخرجون عليه وبدأوا فى نهب أملاكه ، بل هموا بالقبض عليه ، « فقصد سنجار وظل بها فترة تاركا خزائنه وأشغاله ، فانتهبها الخوارزمية وتحكموا فى البلاد الجزرية » (١٤) •

أصبح الخوارزمية هم المسيطرين على البلاد الجزرية ، وشكلوا خطرا كبيرا على هذه المنطقة فهم لا يراعون حرمة ، كذلك أصبحت هذه المنطقة من العالم الاسلامى مفتوحة للقوى المتصارعة ، فانتهز

---

(١٢) أبو شامة : الذيل ، ص ١٦٨ .

(١٣) عاشور : الحركة ، ج ٢ ، ص ١٠٣٢ .

(١١٤) المقرئى : نفسه ، ص ٢٧٠ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ حوادث سنة ٦٥٣هـ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .

ابن العديم : زبدة البلب ، ج ٣ ، صص ٢٤١ — ٢٤٣ .

غيث الدين كيخسرو ، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الفرصة لتحقيقي  
مأربهما السياسية .

فنجد غياث الدين قد « عزم على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح  
الرها وسروج ويمنحها للناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف صاحب  
حلب ، وكذلك سنجار ونصيبين للمنصور ناصر الدين الأرتقى وعسانه  
والخابور للمجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأن يضم آمد  
وسميساط الى ممتلكاته الخاصة (١٥) .

أما بدر الدين لؤلؤ فقد أراد أن يبقي على الصالح أيوب رهينة في  
سنجار ثم يحمله الى بغداد في « قفص حديد كراهه فيه لما كان عنده  
من التجبر والظلم والتكبر » وبعدها سيتولى على سنجار لذلك بعث  
الملك الصالح القاضي بدر الدين يوسف الزراري الى الخوارزمية  
لاستمالتهم وللمصالحة معهم ويستدعيهم لنصرته ، وقد وعدهم بالوعود  
الجميلة (١٦) .

في هذه الفترة كان الخوارزمية قد أساءوا السيرة في ممتلكات  
الصالح أيوب واتفقوا مع صاحب ماردين وهاجموا حران وسلبوا ابنه  
الملك المغيث « بن الصالح أيوب » ممتلكاته وأمواله حتى هرب من المدينة ،  
ووصل الى منبج مستجيرا بعمه أبيه الملك الصالح والدته الملك العزيز (١٧)  
الا أنها ردت ردا جميلا فتوجه الى حران فوصله كتاب أبيه الملك الصالح  
يأمره « بموافقة الخوارزمية والوصول اليه بهم » (١٨) للوقوف في وجه  
بدر الدين لؤلؤ .

---

(١٥) المقرئى : نفسه ، ص ٢٧ .

(١٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٨٧ حوادث سنة ٦٣٥هـ

(١٧) نفسه .

(١٨) نفسه .

فى هذه الآونة بدأت القوات الخوارزمية فى تجديد العهد للملك المغيث وحلفوا للقاضى بدر الدين الذى توجه اليهم على مواله الصالح أيوب وابنه •

التزم القاضى بدر الدين للخوارزمية باقطاعهم حران وسنجار والرها « فطابت قلوبهم وحلفوا لملك الصالح » (١٩) •

لذلك قاموا بالوقوف أمام حركة بدر الدين لؤلؤ ، فلقد اجتمعوا مع الملك المغيث بن الصالح أيوب وتوجهوا الى سنجار التى حاصرها بدر الدين وقواته فهربوا وتبعهم الخوارزمية ، واستولوا على كل ما معهم « فقوى الملك الصالح بالخوارزمية » (٢٠) توجهت القوات الخوارزمية بعد ذلك لمواجهة غياث الدين كيخسرو المحاصرين لآمد فنجح الخوارزمية فى دفعهم عن آمد ، وخلصوا المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح المحصور فى هذه المدينة حيث توجه بعدها الى حصن كينا (٢١) •

وتدخلت القوات الخوارزمية فى الصراع الدائر بين البيت الأيوبرى فقد توجهت هذه القوات الخوارزمية حينما بعث بها الصالح أيوب الى منطقة حينين (٢٢) لمواجهة قوات أخويه الملك العادل الثانى ، والناصر داود التى قدمت للقضاء على نفوذ الصالح •

كان نائب السلطنة على دمشق الملك الجواد ، الذى حاول العادل والناصر استمالته اليهما الا أنه رفض ، لذلك توجهت القوات المتجالفة فى

---

(١٩) المقرئى : نفسه ، ص ٢٧١ •

(٢٠) المقرئى : السلوك ، نفسه •

ابن واصل : ص ١٨٩ •

ابن العديم : نفسه •

(٢١) المقرئى : نفسه •

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٢ •

(٢٢) جنين بلدة بين نابلس وبيسان وهى من أرض الأردن •

باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ •

اتجاه دمشق ، عندئذ خاف الملك الجواد على نفسه وقرر أن يسلم قلعة دمشق للملك الصالح أيوب « فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع وأجابه إليه » (٢٣) .

توجه الصالح أيوب الى دمشق فى الوقت الذى قطع فيه الملك الجواد الخطة للعادل الثانى ، وفى نظير ذلك قرر الصالح أيوب منح الخوارزمية حران والرها وجميع البلاد الجزرية (٢٤) وكان فى رفقة الصالح أيوب عند دخوله دمشق الملك المظفر صاحب حماه .

قدمت القوات الخوارزمية تحيط بالصالح والمظفر عند دخولهم دمشق وبعدها توجهوا صاحبه المظفر الى حمص لضمها الى ممتلكاته فى حماه ، الا أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها من حاكمها المجاهد أسد الدين شيركوه (٢٥) .

والواقع أن أطماع الخوارزمية وضحت وأنهم لا يقنعون بشيء ، فقد طمعوا فى حمص بعد أن منحهم الملك الصالح هذه الممتلكات الكبيرة فى الجزيرة .

وقد أراد المجاهد أسد الدين شيركوه أن يدفع شرهم فممنحهم كمية كبيرة من الأموال ليبيعدهم عن بلاده (٢٦) .

حاول الصالح أيوب أيضا زيادة ربط مصالحه بالخوارزمية ، خوفا من المشاكل السياسية التى تواجهه ، ورغبة فى الاستفادة من قوتهم العسكرية فقام بتزويج اخته من أمه لمقدم الخوارزمية الأمير حسام الدين بركة خان (٢٧) .

---

(٢٣) المقرئج : نفسه . ابن واصل : نفسه .

(٢٤) المقرئزى : نفسه .

ابن العديم : نفسه .

(٢٥) أبو شامه : ذيل الروضتين ، ص ١٦٨ .

(٢٦) ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(٢٧) المقرئزى : نفسه ، ص ٢٨٠ .

بدأ نجم الصالح أيوب يسطع اذ قام المصريون بمراسلته للقدوم اليها والاستيلاء على ملكها من أخيه الملك العادل الثانى ، عندئذ انزعج العادل ، واضطربت البلاد وقد تدخل الأمراء الأيوبيين والخليفة العباسى للأصلاح بين الأخوين فى وقت كان فيه العادل فى أزمة بين جنوده من الأكراد والأتراك • وظل مقيما ببلييس من أجل التوجه الى الشام لمحاربة الصالح قبل قدومه اليه •

وقد استمر الصراع بين البيت الأيوبى حتى وقع الصالح أيوب فى خدعة من قبل الناصر داود صاحب الأردن والكرك حيث تم اعتقاله بالكرك ، ولم يكتف العادل حاكم مصر بذلك بل طلب أن « يبعث اليه بأخيه الصالح فى قفص من حديد تحت الاحتفاظ » (٢٨) •

وعندما رفض الناصر ارسال الصالح أيوب للعادل تكدرت العلاقة بين الطرفين ، ووصلت من مصر سفارة مكونة من محى الدين بن الجوزى وجمال الدين بن مطروح لتسوية الخلافات الا أنهما لم يتمكن ، ومما وكل اليهما ما طلبه الملك المظفر صاحب حماه من ابن مطروح من ارسال رسالة الى الخوارزمية بالشرق يستحثهم على القيام بنصرة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين ، وحملوه للخوارزمية رسالة أخرى من الناصر داود يقول فيها أنه لم يقبض على الصالح أيوب الا « صيانه لمهجة خوفا عليه من أخيه الملك العادل ومن عمه الملك الصالح عماد الدين » (٢٩) •

لذلك أفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين وهو بمصر ، واجتمع عليه رجاله من الخوارزمية حيث توجهوا الى القدس ، وتحالف معه على أن تكون ديار مصر للصالح والشام والشرق للناصر ، وان يعطيه مائتى ألف دينار • وفعلا نجحوا فى خلع العادل فى شوال سنة ٦٣٧هـ (٣٠) •

---

(٢٨) المقرئى : نفسه ، ص ٢٩٠ •

(٢٩) المقرئى : نفسه ، ص ٢٩٢ — ٢٩٣ •

(٣٠) نفسه : ص ٢٩٣ •



وبذلك انفتح الطريق أمام الخوارزمية جند الصالح أيوب للتوغل في بلدان العالم الاسلامي \* فنراهم يأخذون فرصتهم ، ويغيرون على قلعتي جعبر وبالس ونهبوها وقتلوا كثيرا من الناس ففر من بقى بها الى حلب ومنبح ، الا أن الخوارزميين لحقوا بهم ، ثم عبروا الفرات من جسر الرقة وساروا حتى نزلوا نهر بوجيار (٣٢) .

وقد انتهز بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل هذه الهجمات التي قام بها الخوارزمية فأغار في سنة ٦٣٨هـ على سنجار وانتزعها من الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل الأيوبي وظلت بيده الى أن توفي في الثالث من شعبان ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م (٣٣) .

شارك الخوارزمية بدر الدين لؤلؤ في نفس العام في اغارته على حلب حتى أصبح جيشه يقدر بحوالي اثني عشر ألفا ، وكان سبب هذه الحملة على حلب أن أميرهم محمد ترکان خان بن دولة شاه الخوارزمي خطب ابنه الملك العادل صاحب حلب ، فلم يجب الى ذلك بل أمر باهانة رسوله ، وحينذاك جمع العساكر من ملته وقصد حلب (٣٣) .

وجاءت الخوارزمية مع مقدمهم بركة خان ومعه من المتقدمين صاروخان وكشلوخان ، وبردى خان وغيرهم من المتقدمين والملك الجواد وابن الملك الحافظ والملك الصالح ابن صاحب حمص ونجدة من ماردين (٣٤)

عبرت الجيوش نهر الذهب والتقى الفريقان في قرية تسمى البيرة في شهر ربيع الأول في هذه السنة ٦٣٨هـ « فصدموا عسكر حلب صدمة ترحزحوا لها ... وأحاطوا بالعسكر الحلبى من جميع

---

(٣١) ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٣٢) المقرئى : نفسه ، ص ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣٣) العبود : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٣٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ص ٢٨٣ حواشي سنة ٦٣٨هـ

ابن العديم : زبدة الطلب ، ج ٣ ، ص ٥٠ .

الجهات \*\*\* وانهزم عسكر حلب هزيمة قبيحة واستولت عليهم الخوارزمية قتلا وسبيا. وأسر الملك المعظم مقدم العسكر « (٣٥) » وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس ، وخرّبوا وارتكبوا الفواحش بالنساء فى الجامع علانية وقتلوا الأطفال وعادوا وقد خرب ما حول حلب « (٣٦) » .

اتجه الخوارزمية بعد ذلك صوب حيلان (٣٧) وامتدوا على النهر الى فافين (٣٨) ، واستولوا على أموال العسكر بهذه المناطق « وشربوا طول اليوم وسكروا وقتلوا جماعة من الأسرى صبورا » (٣٩) .

اسنمر الخوارزمية فى عيْتهم فى المناطق المحيطة بحلب مثل عزاز وتل باشر وبرج الرصاص وجبل سمعان « وأخذوا من الغنائم من المواشى والأمتعة والنساء والصبيان ما لا يعد . ولا يحصر ، وفعلوا من ارتكاب الفواحش مع حرم المسلمين ما لا يفعله التتر ولا غيرهم من الكفار » (٤٠) .

اتجه الخوارزمية بعد ذلك صوب بزاعا والباب وعذبوا أهل هذين البلدين وسلبوهم أموالهم ، ثم ساروا الى منبج فاعتصم أهلها بسور المدينة ولكن الخوارزميين تمكنوا من دخولها ووضعوا السيف فى أهلها وقتلوا منهم ما لا يحصى عدده ، وارتكبوا الفواحش بالنساء فى جامع المدينة علانية وغنموا أموالا عظيمة وعادوا (٤١) .

---

(٣٥) نفسه .

(٣٦) المقرئى : نفسه ، ص ٣٠٣ ، أبو الفدا ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٣٧) قرية من قرى حلب ، ياقوت : معجم البلدان .

(٣٨) فافين قرية معروفة قرب حلب .

ابن العديم : ج ٣ ، ص ٢٥١ حاشية ٤ .

(٣٩) ابن العديم : نفسه .

(٤٠) نفسه ، ابن واصل : ج ٥ ، ص ٢٨٥ حوادث ٦٣٨ هـ .

(٤١) ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ص ٢٥٣ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ص ١٦٧ .

والحقيقة أن ما قام به الخوارزميين فى هذه الآونة لأشد خطرا ووبالا على العالم الاسلامى مما كانوا فيه من مشاكل ومحن ممثله فى الاحتلال الصليبيى الكامن فى أراضيههم ، والخطر المغولى الدايم الذى بدأ يتهدد حدودهم ، كل هذا والفرقة فى صف البيت الأيوبى لا تقل خطرا عن هذا أو ذاك •

عندما رأى الملك المنصور صاحب حمص ما قام به الخوارزميون فى حلب وما فعلوه بأهلها والبلاد التى حولها أخذته الحمية وقرر ضرورة حماية حلب من هذا العدوان رغم أنه كان متجهزا لمقابلة الفرنج (٤٢) •

وصل المنصور الى حلب واجتمع بصاحبها الملك الناصر « الملك الطفل » وقرروا ضرورة تجميع القوى للمواجهة مع الخوارزمية فى الوقت الذى قرر فيه الخوارزمية من ناحيتهم قطع الطريق على الأيوبيين بحران — بعد خروج بعض من قيادتهم عن الصفوف — وأخبرا آتروا عدم الاصطدام مع الأيوبيين فعبروا الفرات الى الرقة ، فى الوقت الذى نصب المنصور خيام الحرب شرقى حلب •

ونتيجة للفساد الذى بدأ الخوارزمية ينشرونه فى كل مكان يحلون به سواء الفاي (٤٣) الى دير حافر ثم الجبول أو أرض النقرة فان الملك المنصور كان يغير موقع خيمته تبعا لتقلباتهم ••• ومن أسوأ ما قامت به الفرق الخوارزمية « احراقها الأقوات التى فى القرى ، وأخذهم ما قدروا عليه » (٤٤) •

---

(٤٢) ابن واصل : نفسه ، صص ٢٨٦ ، ٢٨٧ •

ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ص ٣٥٣ •

(٤٣) الفاي قرية من عمل المعره •

زبدة الطلب : ج ٣ ص ٣٥٥ حاشية ٢ •

(٤٤) ابن العديم : نفسه ، ص ٣٥٥ •

رحل الخوارزمية الى الصافية وسرمن مقر الدعوة الاسماعيلية ببلاد الشام ونهبوا جميع ممتلكاتهم ، ومنها توجهوا الى المعرة • وكفر طاب وأخربوها ، وتوجهوا الى شيزر ، فاعتصم أهل البلد بالريضة تحت القلعة ، فهاجمهم الخوارزمية (٤٥) •

عندما تأكد الخوارزمية أن المنصور قد استعد ليقطع عليهم الطريق الى بلاده توجهوا صوب حماه الا أنهم لم يتعرضوا لهذه المدينة بأذى لأن حاكمها من الحزب الموالي للصالح نجم الدين أيوب الذي يعتبر سيدا لهم • حتى أنهم كانوا يبررون جميع أعمالهم هذه بأنها خدمة له لتوطيد نفوذه بعد العداء الذي أظهره كل من أصحاب حلب ودمشق وحمص له (٤٦) •

استمر السباق دائر بين قوات المنصور والخوارزمية ، الذين انساحوا من بلد الى بلد من سلمية الى الرصافة والرققة ثم وصلوا الى الفرات مقابل الرقة ، في الوقت الذي توجهت فيه قوات المنصور الى صفين من أجل أن يتحكموا في مواقع المياه ويمنعوا الخوارزمية من العبور ناحية الشرق • لكنهم وصلوا بعد فوات الأوان فقد سبقتهم الخوارزمية الى هذا المكان « فوجدوا الخوارزمية قد احتموا في بستان البليل ، وأخذوا منها الأبواب وجعلوها ستائر وأدارو عليهم خندقا » (٤٧) •

ومع ذلك نجح الملك المنصور في التصدي للخوارزمية وانتصر عليهم وغنم منهم مغانم كثيرة حتى وهنت أحوالهم بسبب نقص العلوفة للدواب والزاد للجنود ، فتقهقروا الى صفين ، وبعدها عبر الخوارزمية الفرات الى الرقة بعد هلاك دوابهم ورجالهم ، حتى وصلوا الى حران ،

---

(٤٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ص ٢٩٠ حوادث سنة ٦٣٨ هـ

أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٦٨ •

(٤٦) ابن العديم : نفسه ، ص ٣٥٥ •

(٤٧) نفسه ص ٣٥٥ ، ابن واصل نفسه ص ٢٩١ - ٢٩٢ •

فأحضروا لهم دواب فى الوقت الذى توجه فيه المنصور الى البيرة وعبر الجسر ليصل الى المنطقة التى تفصل سروح عن الرها وتعقب الخوارزميين الى سروج وحران ، ولما وجد الخوارزميون أن الملك المنصور قد تعقبهم الى حران اجبروا أهلها على الخروج معهم لملاقاته ليظهروا له كثرتهم أمام جيشه كما أنهم أرادوا تدبير خدعة ضد الملك المنصور فعملوا رايات من القصب وضعوها على الجمال ليلقوا الرعب فى قلوب عسكره بتكثيرهم السواد (٤٨) والغريب فى الأمر أن غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم أرسل جيشا لنجدة الأيوبيين (٤٩) .

لم يعبأ الملك المنصور لذلك بل التقى بالخوارزمية « فى يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان ، فانكسرت الخوارزمية واستبيح عسكرهم » (٥٠) وتبعت الجنود الأيوبية العساكر الخوارزمية حتى هربوا الى حران وعينوا عليهم بركة خان واليا من قبلهم (٥١) .

توجهت الفرق الخوارزمية من حران الى الخابور ، ووراءهم الجنود الأيوبيين ، الا أن الظروف الطبيعية عاقت حركة سيرهم فقد أمطرت السماء سيلاً ، أغرق أعدادا كبيرة منهم ، لذا أخذوا طريقهم الى مدينة عانسة التابعة للخليفة المستنصر العباسى ليعيدوا عن أملاك الأيوبيين (٥٢) .

أما عن الدور الذى لعبه الملك المنصور فقد نجح فى أن يدخل حران بعد خروج الخوارزميين ، وتمكن من الاستيلاء عليها وسلمها الى الملك الناصر صاحب حلب وأخرج جميع الأسرى الحلبين منها .

---

(٤٨) ابن العديم نفسه ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٤٩) نفسه .

(٥٠) نفسه .

(٥١) نفسه ، أبو الفدا « المختصر » ج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٥٢) نفسه ، ابن العديم « زبدة الحلب » ج ٣ ، ص ٣٥٨ .

انتهاز بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فرصة ما حل بالخوارزميين من هزائم لذلك قرر أن يستخلص بعض الممتلكات التي سبق ، لهم أن سلبوه اياها مثل نصيين ودارا فاستولى عليهما ، « واستخلص من دارا الملك المعظم بن صلاح الدين » وأوصله الى الموصل ، وعين على هذه المناطق أميرا يقوم على ادارتها (٥٣) .

وبدأت قوات الناصر صاحب حلب أيضا تنتهز الفرصة وتسترد معظم الأراضي التي فقدتها ، واستولت عليها الخوارزمية . في الوقت الذي تلاحمت فيه مرة أخرى قوات السلطان غياث الدين كيخسرو مع القوات الحلبية ، وتوجهوا للاستيلاء على آمد — فنجحوا أولا في دخول السويداء وسلموها للسلاجقة ثم حاصروا آمد وبها الملك المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب — فسلمها لهم وتوجه الى حصن كيفا (٥٤) .

أما عن الخورزمية ، فقد استمروا مقيمين بعانة التابعة للخليفة العباسي حتى نهاية عام ٦٣٨ هـ ، وبعدها بدؤوا تحركهم مرة أخرى فتوجهوا الى الموصل حيث بدر الدين لؤلؤ ، فحاول مسالمتهم خوفا من بطشهم وأرضاهم بتسليم نصيين اليهم (٥٥) . وبعدها تبسم لهم الزمان بالتحالف الذي تم بينهم وبين المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل حاكم ميافارقين .

ويرجع هذا التحالف اخوف المظفر من اعتداء السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو على أراضيه ، ومراسلته لحكام حلب طائبا النجدة الا أنهم رفضوا لأنهم متحالفين مع غياث الدين ، فلم يجد المظفر شهاب

---

(٥٣) ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

ابن واصل ، نفسه ، ص ٢٩٥ .

أبو الفدا : نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .

(٥٤) ابن العديم : نفسه .

ابن واصل : نفسه ، ص ٢٩٦ .

(٥٥) ابن العديم : نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ، ابن واصل ج ٥ ص ٣٠٥

الا أنهم رفضوا لأنهم متحالفين مع غياث الدين ، فلم يجد المظفر شهاب الدين غير الخوارزمية كقوة مرتزقة من الممكن أن تقدم له يد العون .

كانت آمد هي هدف الخوارزمية لذلك خرج الحلبيون للدفاع عنها تحت قيادة المعظم تورانشاه بن صلاح الدين ونجحوا . في ابعاد الخوارزميين عن هذه المدينة ، وتوجهوا صوب ميافارقين للاغارة عليها في الوقت الذي اعتصمت الخوارزمية خارج البلد (٥٦) .

ظلت الاشتباكات بين القوتين الخوارزمية والجلبية ، حتى تمت الهدنة بينهما على أساس أن يقطع غياث الدين كيخسرو والخوارزمية ما كان اقطاعا في بلاده أن يقيموا في أطراف بلاد البروم . وعلى أن تعطى الخاتون أم العزيز أخاه المظفر شهاب الدين ما يختاره بدون شروط (٥٧) . وبعدها تم اطلاق أسرى الخوارزمية . الا أنه رغم ذلك لم يتوقف الخوارزمية عن أعمال الاغارات فتحركوا صوب الموصل « ونهبوا رستاقها » (٥٨) واستقلوا مواشيها ثم توجهوا الى ناحية الخابور (٥٩) بعد ذلك توجهوا الى رأس عين فدخلها الخوارزمية وأمنوا أهلها وأخذوا من كان بها من العسكر .

في هذا الوقت كان الملك المنصور صاحب حمص ومعه الجنود

---

(٥٦) المصدر السابق : نفسه ، ص ٢٦١ .

المقريزي : نفسه ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٥٧) ابن واصل ، ج ٥ ص ٣٠٦ .

ابن العديم : نفسه .

(٥٨) الرستاق . جمع رسانيق لفظ معرب عن الفارسية بمعنى أرض السواد والقرى .

(٥٩) ابن واصل ، نفسه

ابن العديم : نفسه

الحلبيون قد توجهوا صوب حران وعبروا الى رأس عين ، فلما علم الملك المظفر شهاب الدين غازى بقدومه عاد ومعه الخوارزميين الى ميافارقين بينما توجه الملك المنصور وجيشه الى آمد واجتمعوا بمن كان بها من عسكر سلاجقة الروم بانتظار وصول عساكر أخرى من السلاجقة لئلا ينزل ميافارقين (٦٠) .

الا أن الظروف لم تكن فى صالح المنصور ، إذ أن سلاجقة الروم لم يكونوا فى وضع سياسى يسمح لهم بالقدوم لتقديم المساعدة العسكرية للعساكر الحلبية . فقد هاجم المغول مدينة من مدنها وهى أرزن الروم (٦١) لذلك انشغلوا بقتالهم ، فى الوقت الذى شدد المغول هجماتهم على خربتبرت لذلك اضطر الملك المنصور الى التقهقر مرة أخرى الى رأس عين . وتشجع الخوارزمية والملك المظفر ، فأغاروا على دينسبر وهى تابعة لصاحب ماردين (٦٢) ، وانضم اليهم جماعة من التركمان وعلى رأسهم بن دودى وساروا معهم الى حلب فى سنة ٦٤٠هـ / ١٣٤٢م فخرج اليهم الأمير لؤلؤ الحلبى ومعه عسكر حلب وساعده محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص والملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ وكان صاحب سنجار حينئذ والتقوا مع الخوارزميين فى المجدل واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المظفر غازى والخوارزميين ووقع العسكر فى الخيم والخركاهاات وبها الأقمشة والنساء فنهبوا جميع ما فى العسكر وأخذوا النساء وجميع ما كان معهن من الأموال والحلى والذهب ولم يفلت من النساء واحده « (٦٣) .

---

(٦٠) ابن واصل : نفسه ، ص ٣٠٩ .

(٦١) أرزن الروم : بلدة بأرمينية على مقربة من خلاط .

بأقوت الحموى : معجم البلدان .

(٦٢) ابن واصل : نفسه ، ص ٣١٠ .

ابن العديم : ج ٣ ، ص ٣٦٣ .

(٦٣) ابن العديم : نفسه ، ص ٢٦٤ ، ابن واصل : نفسه ، ص ٣١١ .



ولم يقف الملك المنصور والحلبيون عند هذا الحد بل نزل المنصور على خيمة المظفر غازي والخوارزميين واستولى على خزائنه « وجميع ما كان فى وطاقه وغنم العسكر من الخيل والبغال والجمال ما لا يحصى » (٦٤) .

ومع ذلك لم يتوقف عبت الخوارزمية فى البلاد ، فقد تجمعوا ومعهم بعض العساكر التركمانية « وعانوا فى الشرق » لذلك تصدى لهم مرة أخرى عسكر حلب بزعامه جمال الدولة اقبال الخاتونى وتجمعوا فى منطقة رأس عين ، وانضم الخوارزمية الى الملك السعيد نجم الدين غازي صاحب ماردين . وبدأت المعارك تنتشب بين الطرفين لولا تدخل رسول من قبل غياث الدين كيخسرو وسلطان سلاجقة الروم للوساطة بين الاخوة المسلمين وتمت الترضية فيما بينهم على أساس أن يمنح الملك السعيد رأس عين الخوارزمية خربتوت وبعض المناطق الأخرى والمظفر غازي خلاط وما بعدها (٦٥) .

ولا شك أن هذه الوساطة التى قام غياث الدين كانت بسبب الهجمات المخولية التى هددت مملكته ، والتى أصبحت وشيكة لتدمير مملكته ، حتى أنه أرسل لهذه القوى الاسلامية « أموال عظيمة يستخدم بها هؤلاء العساكر للقاء التتر » (٦٦) .

والحقيقة أنه كان لابد لهذه القوى الاسلامية المتناحرة أن تترك هذا الصراع السياسى ، والعسكرى الدائر بيننا ، وان تنتبه للخطر الكبير ، خاصة الخوارزمية الذين اندحر دلكهم وولى ، وضاع زعمائهم ولم يعتبروا ، بل استمروا على نفس السياسية .

---

(٦٤) : انظر ما سبق .

(٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٢٦٧ .

ابن واصل : ص ٣١٤ .

(٦٦) نفسه .

### الخوارزميون بين الأيوبيين والصليبيين :

لا شك أن الصراع الدائر بين أبناء البيت الأيوبي كان له أكبر الأثر على زيادة طموح الخوارزمية في تحقيق مآربهم ، ومطامعهم الى جانب القوى الصليبية التي بسطت نفوذها على بلاد الشام ، وتعددت حملاتها على الممتلكات الأيوبية في مصر والشام .

ولعل المفتره التي نحن بصددھا شهدت نزاعا دبا بين الصالح نجم الدين أيوب من جهة وعمه الصالح اسماعيل ملك دمشق الجديد من جهة أخرى ، والذي شارك فيه بقية أفراد البيت الأيوبي في الشام مثل ملوك حماه وحمص والأردن مما أوقع الدولة الأيوبية في حالة شديدة من الفوضى (٦٧) .

والواقع أن الوضع في بلاد الشام في هذه الآونة كلن يعايش نتائج الحملة الصليبية السادسة التي قام بها فردريك الثاني (٦٨) . والتي قدمت لاستخلاص بيت المقدس من يد المسلمين ، وكتيجة أيضا لنداء الملك الكامل الأيوبي للامبراطور فردريك لتخليصه من الأخطار الداخلية والخارجية التي باتت تهدد دولته خاصة من الخوارزمية (٨٩) .

يؤكد ذلك المقریزی بأن الكامل طلب من فردريك « أن يحضر الى الشام والساحل ويعطيه البيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل » (٧٠) .

---

(٦٧) عاشور : الحركة ، ج ٢ ، ص ١٠٣٣ .

(٦٨) عن هذا الموضوع انظر :

عاشور : الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ، بحوث في تاريخ

العصور الوسطى .

عفاف صبره : الامبراطور والدولة في عهدي فردريك الثاني ولويس

التاسع . مجلة كلية الدراسات الانسانية عدد ١ .

(69) Grousset « op. - cit ». vol. II p. 280.

(٧٠) المقریزی : السلوك ج ١ قسم ١ صص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

وفعلًا قدم فردريك ونجح في تحقيق أغراضه بدون حُرْبٍ وتبعّد صلح يافا سنة ١٢٢٩م / ٦٢٦هـ . حيث تم تسليم بيت المقدس للصليبيين على أن يبقى خرابا ولا تجدد أسواره وسائر قرى القدس للمسلمين (٧١) . وقد ظل هذا الموضوع أساسا للصراع والنزاع بين الملك الكامل واخوته من أبناء البيت الأيوبي والعجيب أن أبناء البيت الأيوبي لم يتمكنوا من انتهاز فرصة عودة الإمبراطور فردريك الثاني إلى الغرب لصالحهم ، لأنهم تخوفوا من الخوارزمية ، وصاروا يلتفتون لخلافاتهم وللغزل والتولية كما ذكرنا حتى أيام الصالح أيوب .

ولعل الظروف التي حدثت في هذه الآونة أجبرت الأيوبيين على مواجهة الصليبيين .

فقد انتهت فترة الصلح المعقودة بين فردريك الثاني والكامل ، وبذلك بدأ الصليبيون في تجهيز أنفسهم للخروج بحملة مضاولين استرداد بيت المقدس ، فوصلت فرقة منهم ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م إلى غكا ، بقيادة الأمير الفرنسي ثيوت الرابع ، فتوجه الناصر داود صاحب الأردن إلى القدس واحتلها بتحجة أن الفرنج عمروا بها قلعة ، لذلك ثارت ثائرة الصليبيين بها ، وقرروا مهاجمة عسقلان ، إلا أنهم انسحبوا بعد ذلك (٧٢) وحدث ما يؤكد انقسام البيت الأيوبي إذ قام الملك المظفر تقي الدين صاحب حماه بطلب معونة الصليبيين ضد أعدائه شيركوه صاحب حمص والصالح اسماعيل صاحب دمشق ، وضيقه خاتون الوصية على حلب .

في هذه الآونة تم عزل العادل الثاني وتولى الصالح أيوب السلطنة سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م لذلك استاء الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق

(٧١) المقریزی : نفسه ، ص ٢٣٠ .

(٧٢) عاشور : الحركة ، ج ٢ ص ١٠٣٦ .

Setton « A history of the Crusades » II pp. 476 — 477.

(م ١٩ - التاريخ السياسي)

لذلك الانقلاب لا سيما وان الصالح أيوب أراد أن يرضى حليفه الناصر داود صاحب الكرك فوعد بمساعدته فى الحصول على دمشق من الصالح اسماعيل (٧٣) .

اضطر الصالح اسماعيل الى مخالفة الصليبيين ضد الصالح أيوب فى مصر والناصر داود فى الأردن على أساس أن يسلم الصالح اسماعيل القدس لهم مرة أخرى . بل انه لم يتورع عن تسليمها لهم فى الحال (٧٤) .

واستمر الصراع بين البيت الأيوبي عندما تمكن الصالح اسماعيل من انزال الهزيمة بالناصر داود الذى فر الى الكرك ، والصراع الدائر بين الصالح أيوب والصالح اسماعيل عند غزة (٧٥) .

خلال هذه الفترة برز الخوارزمية كقوة بدأت تتدخل فى الصراع الاسلامى الصليبي . فقد أرسل الصالح أيوب الى حلفائه من الخوارزمية « يستدعيهم الى ديار مصر لمحاربة أهل الشام فخرجوا من بلاد الشرق » (٧٦) . وقد ظل الصالح أيوب منتظرا وصولهم ليلقى بهم عمه وابن عمه الملك الناصر صاحب حمص والملك الصالح اسماعيل اللذين جهزا جندهما وتوجها رفقاه المنصور للوقوف أمام جند الصالح أيوب .

عندما وصلت دعوة الصالح أيوب الى الخوارزمية وجدوها فرصة سانحة لتعويض ما فاتهم فى أرض الجزيرة ، لذلك تحركوا مباشرة ، تحت قيادة مقدمهم حسام الدين بركة خان وجان بردى وصاروخان

---

(٧٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٧٤) ماثور : نفسه ، ص ١٠٣٧ . —

(٧٥) المقرئى : السلوك ، ج ١ ص ٣٠٥ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

(٧٦) المقرئى : نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

وكشلوخان فى قوة تزيد على عشرة آلاف فارس ، ومعهم مجموعة من الأمراء القيمرية (٧٧) .

وقد أفاضت المصادر الاسلامية فى ذكر الأسلوب الوحشى الذى اتبعه الخوارزمية أثناء مرورهم فى البلدان الاسلامية منذ عبورهم الفرات « فقد كانوا ينيهون ويقتلون ويسبون » (٧٨) .

وقد قسمت الخوارزمية الى فرق واحدة توجهت نحو بعلبك وفرقة نحو غوطة دمشق التى كانت حصينة ، فاتجهوا صوب الجليل حيث استولوا على طبرية ثم نابلس وتوجهوا بعد ذلك صوب بيت المقدس .

كان بيت المقدس أشبه ما تكون بمدينة مفتوحة ضعيفة التحصين وليس فيها ملك أو زعيم صليبي يدافع عنها ، واستنجد من فيها من الصليبيين بأمر أنطاكية وطرابلس بوهمد الخامس ، وملك قبرس هنرى الأول فضلا عن الصليبيين فى عكا وحلفائهم ملوك حمص ودمشق والأردن ، ولكن أحدا من هذه الأطراف لم يلبي النداء اذ كان الصليبيون فى الشام وقبرس فى شغل بمشاكلهم الخاصة بعد أن انحلت أوضاعهم فى حين كان ملكا دمشق وحمص — وهم حلفاء الصليبيين — لا يجسران على التدخل فى ذلك الموقف لحماية مصالح الصليبيين فى بيت المقدس ، مما يعرضهم لنقمة الرأى العام فى البلدان الاسلامية (٧٩) .

---

(٧٧) القيمرية نسبة الى قيمر ، وكانت قلعة فى الجبال بين الموصل و خلاط .

ياقوت : معجم البلدان .

(٧٨) المقریزی : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ص ٣١٥ — ٣١٧ .

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

أبو الفدا : المختصر ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٧٩) عاشور : الحركة ، ص ١٠٤٥ .

اقتحم الخوارزميون بيت المقدس في ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م . « وبذلوا  
السيف فيمن كان فيه من النصارى ولم يبقوا على أحد منهم وسبوا  
ذراريهم ونساءهم »<sup>(٨٠)</sup> فهربت الفرنج من القدس ، ودخل الخوارزمية  
كنيسة القيامة التي أطلقوا عليها « القمامة » فهدموا المقبرة التي تعتقد  
النصارى أنها مقبرة المسيح عليه السلام ، ونشوا قبور النصارى وقبور  
الفرنج التي بالقمامة ، وأحرقوا عظام الموتى<sup>(٨١)</sup> . وتدخل الناصر داود  
صاحب الأردن في تأمين الفرنج الذين حاولوا الهرب من القدس .

تعقب الخوارزمية الفرنج الفارين الى غزة ، والمقيمين بها مع  
جنود دمشق والملك المنصور حتى أن الجيوش الاسلامية التابعة  
لهؤلاء كانت ترفع فوق رؤوسهم الصلبان « وبأيديهم أواني الخمر  
تسبقى الفرسبان »<sup>(٨٢)</sup> . لذلك هاجمهم الخوارزمية ومعهم جنود الصالح

---

(٨٠) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧ .

أبو الجاسن : الإنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٣٢٣ .

(٨١) ابن واصل : نفسه .

أبو المحاسن : نفسه .

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، صص ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

(٨٢) المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣١٧ .

(٨٣) بعث الصالح نجم الدين الأمير ركن الدين بيبرس وكان من أجل  
مبالكة واحضهم به وهو الذى كان معتقلا معه بالكرك . وبعث الصالح  
بطائفة أخرى من العساكر بقيادة حسام الدين الى على بن محمد الهذبانى  
الى نابلس . انظر :

الحنبلى : الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، ج ٢ ص ٧ .

نجم الدين أيوب فهزم الملك المنصور صاحب حمص ، وكذلك عسكر الكرك الذين كانوا يحتلون الميسرة ، لذلك أصبح الهجوم على الفرنج ميسورا ، فنجح الخوارزمية فى تطويعهم « ووضعا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلا وأسرا ولم يفلت منهم الا من شرد » (٨٥) .

أما بالنسبة لجنود الملك المنصور فقد هربوا فى اتجاه دمشق فى أسوأ حال وهم لا يصدقون النجاة حتى أن المنصور كان يبكي ويقول « والله لقد حضرت الحرب ذلك اليوم ، ووقع الله تعالى فى قلبى لا نتصر لانتصارنا بالكفار على المسلمين » (٨٦) .

وقد قدر المقرئى عدد من أسر من جنود الفرنجة جوالى ثمانمائة رجل وقتل من الفرنج وجنود الشام ما يزيد على ثلاثين ألفا « (٨٧) .

(٨٤) كان القائد على جيوش دمشق الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص لأنه كانت له حروب مع الخوارزميين فى الشرق ، وانتصر عليهم برتين وكان شهما مقداما ، فرجا الملك الصالح اسماعيل أنه على بده يكون كسر الخوارزمية فى هذه المرة ومن معهم من العساكر المصرية .

- انظر: ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ .
- سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٩٣ .
- أبو المحاسن : نفسه ، ص ٣٢٤ .

(٨٥) المقرئى : نفسه ، ص ٣١٧ .

• أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

• سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، نفسه .

(٨٦) ابن واصل : نفسه ، ص ٣٣٩ .

• ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

• سبط بن الجوزى : نفسه ، ج ٨ ، ص ٤٩٤ يقول « كان المنصور يبكي ويقول « لقد علمت أنا لما سرنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نصلح » .

- (٨٧) المقرئى : نفسه ، ص ٣١٧ .
- الحنبلى : الأئس الجبل ، ج ٢ ، ص ٧ .

وصلت أخبار هذا الانتصار الى مسامع الصالح أيوب في مصر  
« فزين البلدان القاهرة ومصر والقلعتان قلعة الجبل وقلعة الجيزة » (٨٨)

وبعدها وصلت جيوش مصر من الشام وبصحبته الأسرى  
من الفرنج ورؤوس القتلى تحت قيادة الظهير بن سنقر وكثير من الأمراء  
« وأركب الفرنج الجمال ومعهم المقدمين على الخيول » وعلقت رءوسهم  
على أبواب القاهرة (٨٩) .

لم يتوقف دور الخوارزمية على هذا الدور الذي لعبوه في القدس  
وغزة اذ أن الصالح نجم الدين أيوب أغرته هذه الانتصارات وأراد أن  
يحقق أحلامه بالقضاء نهائياً على خصومه السياسيين من البيت الأيوبي  
لذلك ما ان علم بنبأ هذه الانتصارات أرسل الى الأمير ركن الدين بيبرس  
قائد الفرقة المصرية ، والأمير حسام الدين بن أبي على بالتوجه صوب  
عسقلان وتخليصه من الفرنج الا أن المدينة استعصت على المسلمين  
لمناعتها ، فتوجه ابن أبي على الى نابلس في الوقت الذي استمر فيه  
ركن الدين بيبرس محاصراً لعسقلان ، وبذلك نجح نواب الصالح  
اسماعيل في الاستيلاء غزة والسواحل والقدس والخليل وبيت جبريل  
والأغوار ، ولم يبق بيد الناصر داود الا الكرك والبلقاء والصلت  
وعجلون (٩٠) .

أراد الصالح أيوب أن يعضد القوات المصرية الموجودة في الشام  
من أجل استكمال هدفه ، فطلب من وزيره معين الدين بن شيخ

---

(٨٨) ابن واصل : نفسه ، ص ٣٣٩ .

المقريزي : نفسه ، ص ٣١٦ .

(٨٩) انظر ما سبق .

(٩٠) المقريزي : نفسه ص ٣١٨ .

ابن واصل : نفسه ص ٣٤٠ .

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٣٢٤ .



الشيوخ<sup>(٩١)</sup> أن يرأس جيشا ويتوجه به صوب بلاد الشام ، وأعطاه من السلطات ما يماثل سلطات السلطان ، ومن الأموال ما يكفى لهذه الحرب •

نفذ معين الدين أوامر السلطان وتوجه صوب غزة ، وهناك أقبلت عليه الجنود الخوارزمية وانضموا اليه وتوجهوا صوب بيسان ومنها الى دمشق حيث الملك الصالح اسماعيل ومعه الملك المنصور صاحب حمص • ويؤكد المقریزی أن الخوارزمية « عاثوا فى أعمال دمشق فسادا »<sup>(٩٢)</sup> •

اضطر الصالح اسماعيل ازاء هذا الموقف الخطير من جانب الصالح أيوب والخوارزميين الى ارسال وزيره أمين الدولة الى بغداد مستشفعا بالخليفة المستعصم بالله ومتوسلا اليه ليصلح بينه وبين ابن أخيه السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، الا أن هذه الوساطة لم تفلح<sup>(٩٣)</sup> • لذلك شدد معين الدين والخوارزمية الهجمات على دمشق وعلى الصالح اسماعيل ، لذلك اضطر الصالح اسماعيل الى طلب الأمان حتى جرت محادثات سرية بين المنصور صاحب حمص ومقدم الخوارزمية بركة خان من أجل الصلح ، وأخيرا تم الصلح على أساس أن يسلم الصالح اسماعيل دمشق ويخرج منها هو والمنصور بأموالهم لا يعترضهم أحد ،

---

(٩١) عن اسرة شيخ الشيوخ ودورهم السياسى . انظر :  
عفاف صبره : دور الفقهاء وعلماء المسلمين فى جهاد الصليبيين ،  
صص ٦٤ — ٧٥ •

(٩٢) المقریزی : نفسه ، ص ٣١٩ •

(٩٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ص ٣٤١ •

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٣٢٤ •

المقریزی ص ٣١٩ فيذكر أن الخليفة بعث محى الدين بن الجوزى الى الملك الصالح نجم الدين أيوب ومعه خلعة وهى عمامة سوداء وفرجية مذهبه وثوبا ذهب وسيف بذهب وطوق ذهب وعلمان حرير وحصان وترس ذهب ، فلبس الصالح أيوب الخلعة كالعادة •

وَلَا يَمْنَعُوا مَنْ نَقَلَ أَمْوَالَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ ، وَأَنْ يَقْبِضَ الصَّالِحُ اسْمَاعِيلَ عَنْ دَمَشْقَ بِتَعْلُكٍ وَيَضْرِيَ وَأَعْمَالَهُمَا وَجَمِيعَ بِلَادِ السَّوَادِ ، وَلِلْمَنْصُورِ حِمَصٌ وَتَدْمَرُ وَالرَّحْبَةُ (٩٠) .

وَكَانَ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ قَدْ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى مَعِينِ الدِّينِ ابْنِ الشَّيْخِ يَطْلُبُ مِنْهُ إِلَّا يَوْمَنْ عَمَهُ الصَّالِحُ اسْمَاعِيلَ وَيَقْبِضَ عَلَيْهِ وَيُرْسِلُهُ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَمَا لَمْ يُنْفِذْ مَعِينُ الدِّينِ أَوْامِرَ سَيِّدِهِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ غَضِبَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ عَيْنَ عَلَى دَمَشْقَ حَسَامُ الدِّينِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ (٩٥) .

#### نهاية الخوارزميين :

بَعْدَ أَنْ آدَى الْخَوَارِزْمِيُّونَ هَذِهِ الْقُدُمَاتِ الْكُبْرَى لِلصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ تَجَدَّ أَنْ مَعِينُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ بَعْدَ دُخُولِهِ دَمَشْقَ يَمْنَعُ الْخَوَارِزْمِيِّينَ مِنْ دُخُولِهَا مَعَهُمْ ، وَفَرَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّاحِلِ وَكُتِبَ لَهُمْ مَنَاسِيرٌ بِذَلِكَ (٩٦) .

وَيَرْجِعُ الْمُؤَرِّخُونَ الْمُسْلِمُونَ سَبَبَ ذَلِكَ إِلَى ضَيْقِ الصَّالِحِ أَيْتُوبَ مِنَ الْخَوَارِزْمِيَّةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا دَخَلَ دَمَشْقَ لَقَسَتْهُنَّ مَنَاضِفَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، كَمَا أَنَّهُمْ « ضَارَ لَهُمْ عَلَيْهِ إِذْلالٌ كَثِيرٌ سَيِّئًا » وَقَدْ تَقَدَّمَ لَهُمْ كَسْرُهُمْ لِبَدْرِ الدِّينِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ لَمَّا نَازَلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ وَهُوَ مُحْصُورٌ بِسَنْجَارٍ (٩٧) كَمَا أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي جَزَائِمَا عَظِيمَةٍ يَجِبُ أَنْ يَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ خَاصَّةً فِي مِصْرَ .

---

(٩٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ٣٤٨ .

(٩٥) المقرئى : نفسه أبو المحاسن : النجوم ، ص ٣٢٤ .

(٩٦) المقرئى : نفسه ، ص ٣٢١ .

(٩٧) ابن واصل : نفسه ، ص ٣٥٠ .

أبو المحاسن : ص ٣٢٥ .

لذلك قرر الخوارزمية الخروج علي الصالح أيوب، وضرورة تكوين حلف ضده، فقاموا أولاً بالاتجاه نحو داريا (٩٨) ونهبوها وراسلوا الأمير ركن الدين بيبرس الأمير علي غزة وكان من أكبر أمراء الصالح نجم الدين علي أسباس « أن يكون هم يدا واجدة وينزوحوه امرأة منهم » (٩٩) \*

وافق بيبرس علي هذا العرض وانضم اليه يحدوه الرغبة في تحقيق السلطان السياسي في بلاد الشام، كما أنهم قاموا بالاتصال بالملك الناصر داود المطرود من دمشق للانضمام معهم فوافق لأن أمه كانت خوارزمية، كما أنه تزوج هو الآخر منهم (١٠٠) إلا أنه توجه ناحية الكرك وأرسل نوابه الي نابلس والقدس والجليل وبيت جبرين والأغوار فنجحوا في ضمهم الي الناصر داود وهرب منهم نواب الصالح أيوب ولعل هذا الحلف الخوارزمي الجديد الذي نجح في تحقيق هذه الانتصارات قد ازداد عراه عندما راسلوا الصالح اسماعيل (١٠١) \*

سلطان دمشق المطرود وعم الملك الصالح أيوب \*

قدم الصالح اسماعيل بقواته، واتفق جميع هؤلاء علي محاربة السلطان نجم الدين أيوب \*

(٩٨) قرية كبيرة بالغوطة من قرى دمشق والنسبة اليها داراني على غير قياس \*

انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٥٣٦ \*

(٩٩) أبو المحاسن: للنجوم، ج ٦ ص ٣٢٥ \*

(١٠٠) ابن واصل: مخرج الكروب، ج ٥ ص ٣٩٠ :

أبو المحاسن: نفسه، ص ٣٢٥ \*

المقريزي: نفسه، ص ٣٢٢ \*

(١٠١) يذكر المقريزي أن الصالح اسماعيل هو الذي راسل الخوارزمية وليس العكس، فقد خاف فحلفوا له على القيام بنصرتهم \*

عندما وصلت أخبار هذا التحالف الى مسامع الصالح أيوب قرر استدعاء ركن الدين بيبرس اليه فقدم عليه فقام باعتقاله فى قلعة الجبل وبذلك انحلت أول حبة فى العقد (١٠٢) ، وقام الصالح أيوب بتجهيز جيشه للقاء هؤلاء الأعداء وخرج الى العباسية حيث لاقاه مبعوث الخليفة العباسي حاملا الخلع السلطانية بتقليده مصر والشام (١٠٣) .

توجه الجيش الخوارزمي والحلفاء الأيوبيين تجاه دمشق ، فهاجموا هجوما عنيفا فى الوقت الذى كان يتولى قلعتها شهاب الدين رسيّد . وحاكم المدينة حسام الدين أبو على ، كما كانت المدينة خالية من الجنود للدفاع عنها ، الا أن حسام الدين أبو على حاول قدر استطاعته حراسة المدينة وحمايتها وتقوية أسوارها ومع ذلك نجح الخوارزمية فى قطع المواد التموينية عن المدينة وأطالوا حصارها فاشتد بها الغلاء كما استفاضوا فى القتل والنهب ومات الناس من شوة الجوع (١٠٤) .

واستفاض جميع المؤرخين فى وصف حالة السيئة التى أمست فيها مدينة دمشق وما أصابها من انعدام الأقوات والموت الجماعى والوباء ، ورائحة عفن جثث الموتى والفسوق بين الناس .

لذلك فكر الملك الصالح نجم الدين أيوب فى ضرورة اللجوء الى الحيلة وجذب بعض العناصر الأيوبية المتناحرة ، فقرر الاتصال بالمنصور

---

(١٠٢) يذكر المقرئزى فى السلوك ص ٣٢٣ أن الصالح أيوب أرسل القاضى نجم الدين محمد بن سالم النابلسى المعروف بابن قاضى نابلس وكان متقدما عنده الى مملوكه ركن الدين بيبرس فمأزال يخدعه ويمنبه حتى فارق الخوارزمية وقدم معه الى ديار مصر فاعتقل بقلعة الجبل وكان آخر العهد به .

(١٠٣) أبو المحاسن : نفسه ص ٣٢٥ .

المقرئزى : نفسه ص ٣٢٣ .

(١٠٤) انظر ما سبق .

ابراهيم صاحب حمص حتى نجح فى ضمه الى صفه ضد الحلف  
الخوارزمى ، كما اتصل بالحلبيين ، واجتمعت هذه الجيوش مع جيش  
الصالح أيوب وقرروا الاتجاه صوب دمشق (١٠٥) .

عندما علم الخوارزمية وحلفهم الأيوبي بأخبار قدوم العساكر  
المصرية قرروا رفع الحصار عن دمشق ، فتنفست المدينة الصعداء ،  
فدخلها الصالح أيوب ومع ذلك لم يتوقف الخوارزمية عن أعمال النهب  
والسلب وسفك الدماء وانتهاك الحرمات حتى تم اللقاء الحربى بينهم  
وبين حلف نجم الدين أيوب عند منطقة القصب (١٠٦) ، وفيها هزمت  
الجنود الخوارزمية وحلفهم الأيوبي ، وقتل مقدمهم حسام الدين بركة  
خان قتله مملوك من ممالك الأمير سعد الدين بن الدريوش أحد  
أمراء حلب (١٠٧) .

تشتتت الخوارزمية بعد هذه الموقعة ولم تنقم لهم قائمة بعد أن  
انساحوا فى الأراضى الاسلامية يغيرون ويقتلون وينهبون فى وقت  
كان العالم الاسلامى فى حاجة الى الوحدة الاسلامية للقاء الصليبيين  
والمغول ، وقد توفى بعد ذلك بركة خان وهو أحد الأمراء الكبار  
الأربع .

أما من تبقى من الخوارزمية فبعضهم وقع فى الأسر ، وبعضهم  
فروا الى التتار وانضموا اليهم وفيهم من توجه الى البلقاء وخدم الملك  
الناصر داود صاحب الكرك حتى أن الناصر تزوج منهم .

---

(١٠٥) المقرئى : نفسه ، ص ٣٢٣ .

ابن واصل : نفسه ٣٥٣ .

(١٠٦) ابن واصل نفسه .

المقرئى : نفسه .

منزلة القصب : هى منطقة قبلى حمص .

(١٠٧) انظر ما سبق : وقد حملت رأسه الى حلب ونصبت على باب

قلعتها .

توجهت فئة قليلة من الخوارزمية الى نابلس وبعضهم الى خران  
وانضمت مجموعة الى الصالح اسماعيل أثناء عودته الى حلب الا أن  
الملك الناصر صاحب حلب قبض عليهم \*

والحقيقة أن الصالح أيوب لم يرغب فتي أن يتيقن للخوارزمية أثر  
في بلاده ، فأمر فخر الدين بن الشيخ بتجهيز جيش توجه به الى الكرك  
لمحاربة الناصر داود ومن معه من الخوارزمية ، وفعلا انتصر عليهم وبدد  
شمل من معه من الخوارزمية « فقد بعث اليه بطلب من عشرة من  
الخوارزمية » فبعث بهم الناصر اليه فجعلهم من جملة خدامه « (١٠٨) » \*

وعند هذه الأحداث وفي هذه الفترة من الزمن اندثر الخوارزمية  
كما اندثرت دولتهم من قبل ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك حتى أصبحوا  
أمة بائدة \*

## الخاتمة

وبعد فقد عرضنا موضوعنا عن التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية  
وهى الدولة التركية التى قامت فى المشرق الاسلامى •  
هذه الدولة بدأت أول أمرها تابعة للسلاجقة فى فارس الا أن  
حكامها نجحوا فى التخلص من السيطرة السلجوقية •

وقد برز لنا خلال هذه الدراسة مدئى ما أصاب العالم الاسلامى  
فى هذه الآونة من نزعات استقلالية المهدف منها البعد عن سلطان  
الخلافة العباسية فى بغداد • ومع ذلك فائنا نعتبر هذه الدويلات دويلات  
أطراف على الثغور المخططة بالأقوام الوثنية من الفرنس والأترک والهنود  
ولو أنهم ساروا على المهدف المرجو منهم وهو نشر الاسلام بين هذه  
الأقوام لتحقيق الخير كل الخير للعالم الاسلامى •

الا أنه اتضح أن الدولة الخوارزمية ، وإن كانت قد لعبت دورها  
فى نشر الاسلام خاصة بين الأترک الخطأ الا أنها قضت عمرها  
دولة محاربة تسعى لتوسيع ممتلكاتها على حساب القوي المجاورة ،  
ووقفت للدولة العباسية وهى الخلافة الأم ، ودخلوا فى معارك انتهت  
بضياع السيطرة العباسية نهائيا على العراق العجمى ، ودخوله تحت  
طاعة الخوارزميين •

ولعل هذا الاتساع فى الممتلكات دفع حكام خوارزم الى  
المجاهرة بالعداء للدولة الغورية ولدولة الخطا التركية ولسلاجقة الروم  
فى آسيا الصغرى • وقد خاضوا حروبا كبيرة ضد جميع هذه القوى •  
حتى أن الأتابكان الأيوبيين فى الجزيرة أرمينية لم تسلم هى الأخرى  
من هجمات الخوارزميين •

ويتبين من البحث أن هذا التخلخل السياسى ، فتح الطريق أمام  
الغزو المغولى ، ونجح المغول بقيادة جوكيزخان فى القضاء على علاء

الدين محمد خوارزمشاه والاستيلاء على معظم أملاكه حتى وفاته ،  
وتحمل ابنه جلال الدين منكبرتي تبعة الجهاد ضد المغول ، الا أنه  
دحر على أيديهم وسقطت عاصمته مما دفعه لترك ممتلكاته والهروب  
الى الهند •

واستطاع جلال الدين أن يعود مرة أخرى مستغلا انشغال  
المغول عنهم باختيار خان جديد خلفا لجنكيزخان • وفعلنا نجح جلال الدين  
فى استعادة معظم ممتلكاته فى العراق العجمى وبلاد الجبل ، واستولى  
على الأتابكيات الأيوبية ودخل بلاد الكرج وحارب سلاجقة الروم ،  
وبهذا نرى أن الصراع السياسى بين القوى المختلفة كان هو سمة هذه  
الفترة وبعدها وضح أن المغول تحركوا من جديد وقضوا على جميع  
ممتلكات جلال الدين ، حتى هاجم على وجهه وقتل فى نهاية الأمر ،  
وتشتت جنوده فى بقاع الأرض حتى استعان بهم الصالح نجم الدين  
أيوب فى صراعه مع آل بيته ، وانتهى الأمر بقضائه عليهم •

ولعل ما وضح فى هذه الدراسة هو الخلاف والفرقة بين المسلمين  
فى هذه الآونة مما فتح الطريق أمام أعدائهم من الصليبيين والمغول  
ليراثوا أرضهم وأرض آبائهم •

كما وضح أيضا كيف كان المسلمون يستعينون بقوى الكفر على  
قوى الاسلام من أجل تحقيق السيادة والملك •

ووضح كيف كان الحكام المسلمين خاصة الدولة الخوارزمية  
وحكامها لا يراعون حرمة الأرض لبشر ، أو لعرض مما أدى الى كراهية  
المسلمين لهم وتمنيهم زوال ملكهم •

واندثرت الخوارزمية نهائيا من التاريخ ومن بقى منهم انضم  
الى القوى السياسية المعاصرة دون النظر الى دينها أو مذهبها ، أو  
هدفها •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ••



## قائمة المصادر العربية

- ابن الأثير : على بن أحمد بن أبى الكرم المعروف بابن الجزرى  
ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م \*
- الكامل فى التاريخ : ١٠ أجزاء ، بيروت سنة ١٩٨٠ م \*
- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، نشر عبد القادر طليمات  
القاهرة سنة ١٩٦٣ م \*
- ابن الأزرقي الفارقي « أحمد بن يوسف بن على بن الأزرقي » :  
ت ٥٩٠ هـ / ١٠٩٤ م \*
- تاريخ الفارقي أو الدولة المروانية ، تحقيق د/ بدوى عبد اللطيف  
بيروت ، ١٩٧٤ م \*
- ابن أئثم الكوفي :  
ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م \*
- كتاب الفتوح ، ج ٧ \*
- ابن اياس « محمد بن أحمد بن اياس المصرى » :  
ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م \*
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٣ أجزاء بولاق سنة ١٣١٢ م \*
- ابن أيبك الدوادارى « أبو بكر بن عبد الله بن أيبك » :  
ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م \*
- الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، ج ٧ تحقيق سعيد عاشور  
القاهرة ، سنة ١٩٧٢ م \*

- ابن تغرى بردى « أبو المحاسن جمال الدين يوسف » :  
ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م •
- « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » •  
١٢ جزء ، القاهرة ، سنة ١٩٣٠ م •
- « المنهل لصافى والمستوفى بعد الوافى » •  
مخطوط ٣ أجزاء دار الكتب رقم ١١١٣ تاريخ ج ١ تحقيق  
يوسف نجاشى ، سنة ١٩٥٦ م •
- ابن الجوزى « أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي » :  
ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م •
- « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » •  
حيدر آباد ، سنة ١٣٥١ هـ •
- ابن الجوزى « يوسف بن قزغلو » سبط ابن الجوزى :  
« مرآة الزمان » تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد  
— الدكن — سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٧ •
- ابن حوقل « أبى القاسم بن حوقل النصيبى » :  
ت القرن العاشر الميلادى / الرابع الهجرى •  
« صورة الأرض » ، بيروت سنة ١٩٧٩ م •
- ابن خلكان « شمس الدين أحمد بن أبى بكر » :  
ت ٦٨١ هـ / ١٢٧١ م •  
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، تحقيق احسان  
عباس ، بيروت ، سنة ١٩٧٧ م •
- ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد المغربى » •  
ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ أو ١٤٠٦ م •
- « العبر وديوان المتدا والخير » • القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ •
- « المقدمة » ط دار الشعب ، سنة ١٩٧٠ م •

- ابن الشحنة « محب الدين أبي الفضل محمد » :  
ت ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م •
- « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » :  
بيروت سنة ١٩٠٩ م •
- ابن شيداد « عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم » :  
ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م •
- « الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » :  
تحقيق يحيى عباره • دمشق ، سنة ١٩٧٨ م •
- ابن العبري « غريغوريوس اللطى » :  
ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م •
- تاريخ مختصر الدول ، بيروت سنة ١٩٥٨ م •
- ابن العديم « كمال الدين أبي القاسم » :  
ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ - ١٢٦٢ م •
- « زبدة الحلب في تاريخ حلب » :  
ج ٢ ، ج ٣ تحقيق سامي الدهان ، دمشق سنة ١٩٦٨ م •
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٢٣
- ابن فضل الله العمري « شهاب الدين أبو العباس أحمد » :  
ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م •
- « مسالك الإيصار في ممالك الأمصار » :  
مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٢٥٦٧ تاريخ •
- ابن القلانسي « أبي علي حمزة بن القلانسي » :  
ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م •
- « ذيل تاريخ دمشق » ، بيروت سنة ١٩٠٨ م •  
(م ٢٠ — التاريخ السياسي )

- ابن كثير الدمشقى « عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر » :
  - ت ٥٧٧٤ / ١٣٧٢ م
  - البداية والنهاية •
  - ١٤ جزء ، القاهرة ، سنة ١٩٣٣ م
- ابن واصل « جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليم » :
  - ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م
  - مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب •
  - ج ١ — ج ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م
  - ج ٤ ، ج ٥ تحقيق حسنين ربيع ، القاهرة ١٩٧٤ — ١٩٧٧ م
- ابن الوردى « زين الدين عمر بن الوردى » :
  - ت ٥٧٥٠ هـ / ١٣٩٤ م
  - نكتة المختصر فى أخبار البشر • المعروف بتاريخ ابن الوردى •
  - جزآن ، القاهرة سنة ١٩٣٩
- أبو شامة « عبد الرحمن اسماعيل المقدسى » :
  - ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م
  - « كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين » •
  - جزءان الأول فى قسمين تحقيق محمد حلمى أحمد ، القاهرة سنة ١٩٧٤ •
- الذيل على الروضتين والمسمى « تراجم رجال القرنين » ،
  - القاهرة سنة ١٩٤٧ م
- أبو الفدا « عماد الدين اسماعيل بن محمود » :
  - ت ٥٧٣٢ هـ / ١٢٣١ م
  - « المختصر فى أخبار البشر » •
  - ١٤ جزء ، القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ

- الاصطخرى « أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى » :  
• ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م  
— مسالك الممالك  
• ليدن سنة ١٩٢٧ م
- الأصفهاني « عماد الدين الكاتب » :  
• ت ٤٦٧ هـ / ١٢٠٠ م  
— « تاريخ دولة آل سلجوق »  
• القاهرة ، سنة ١٣١٨
- الفتح القسى فى الفتح القدسى :  
تحقيق وشرح محمد محمود صبح ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ م
- اقبال « محمد » :  
— « تاريخ ايران » ، ليدن ، سنة ١٩٢١ م
- البغدادى « ابن عبد الحق صفى الدين » :  
• ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م  
— « مرصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع »  
• تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة سنة ١٩٥٤ م
- البلاذرى « أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى الشهير بالبلاذرى » :  
• ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م  
— فتوح البلدان  
• نشره ووضع ملاحظته وفهارسه صلاح الدين المنجد ، القاهرة  
• سنة ١٩٥٦ م — ١٩٥٧ م

- البندازي « الفتح بن علي بن محمد » :  
ت أواخر القرن السابع الهجري .  
— مختصر تاريخ آل سلجوق .  
بيروت سنة ١٩٧٨ م .
- الحسيني « صدر الدين علي بن ناصر » :  
ت بعد ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م .  
— زبدة التواريخ « أخبار الأمراء والملوك السلجوقية » .  
تحقيق محمد نور الدين ، بيروت ١٩٨٥ م .
- الحموي « شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي » :  
ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م .
- « معجم البلدان » ٥ أجزاء ، ط بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- الحنبلي « مجير الدين عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن محمد  
العلمي » :  
ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م .
- « الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، بيروت سنة ١٩٧٣ م .
- « حوائذ أمير ، غياث الدين بن همام الدين » :  
« تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد — في بشر » :  
تحقيق م . د سياتي ، طهران سنة ١٣٣٣ هـ .
- الذهبي « شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز » :  
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م .
- « الغبر في خبر من غبر » ، تحقيق فؤاد السيد ، الكويت سنة  
١٩٦١ م .

- الراوندى « محمد بن على بن ستيمان » :  
• عاش من ٥٧٠ هـ / ٦٠٣ هـ — ١١٧٤ / ١٢٠٦ م •
- راحة الصدور وآية السرور •  
ترجمة عبد النعيم خسانين وأخزون ، القاهرة ١٣٧٩ هـ  
• ١٩٦٠ م •
- السبكى « أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين » :  
• ت ٥٧١ هـ / ١٣٦٩ م •
- طبقات الشافعية الكبرى •  
٦ أجزاء ، تحقيق محمود الطناحى ، وعند القناح الحلو •  
القاهرة ١٩٦٤ — ١٩٦٨ م •
- السيوطى « جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر » :  
• ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م •
- « تاريخ الخلفاء أمير المؤمنين الفائزين بامر الأمة » •  
ط ٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ م •
- الطبرى « أبو جعفر محمد بن جرير » :  
• ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م •
- تاريخ الأمم والملوك •  
تحقيق محمد ابراهيم أبو الفضل ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ م
- العينى « بدر الدين محمود » :  
• ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م •
- « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » •  
مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٤٨٤ تاريخ •

- القزوينى « زكريا محمد بن محمود » :  
ت ٥٦٨٢ / ١٢٨٣ م •  
— آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، سنة ١٩٦٠ م •
- القلشقندى « أبو العباس أحمد بن على » :  
ت ٥٨٢١ / ١٤١٨ م •  
— صبح الأعشى فى صناعة الانشا :  
١٤ جزء ، القاهرة ، سنة ١٩١٩ م •
- الماوردى « أبى الحسن على بن محمد بن حبيب » :  
ت ٥٤٥٠ / ١٠٥٨ م •  
— الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، ١٩٧٨ م •
- المقرئى « أحمد بن على » :  
ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م •  
— السلوك لمعرفة دول الملوك • الجزء الأول والثانى تحقيق  
محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦ — ١٩٥٨ م •
- مىرا خواند « محمد بن خواند شاه » :  
— تاريخ روضة الصفا فى سير الأنبياء والملوك والخلفاء •  
طهران ١٣٣٨ هـ •
- النسوى « شهاب الدين محمد بن أحمد المنشىء » :  
ت ٥٦٣٩ / ١٢٤١ م •  
— سيرة السلطان جلال الدين منكبرى ، تحقيق حافظ أحمد حمدى .  
القاهرة ، سنة ١٩٥٣ م •
- النويرى « شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب » :  
ت ٥٧٣٣ / ١٣٣١ م •  
— نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج ٢٥ مخطوط •



- الهمذاني « رشيد الدين بن فضل الله » :
  - جامع التواريخ ، نقله الى العربية عبد المعطى الصياد .
  - بيروت ، سنة ١٩٨٣ م .
- الوطواط « رشيد الدين محمد العمري » :
  - ت ٥٧٣ / ١١٧٧ م .
  - مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط .
  - جزآن ، القاهرة ، ١٣١٥ هـ .
- اليعقوبى « أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح » :
  - ت ٢٨٢ / ٨٩٥ م .
  - تاريخ اليعقوبى ، بيروت ، سنة ١٩٦٠ م .
- اليونينى « قطب الدين » :
  - ذيل مرآة الزمان . تحقيق دائرة المعارف العثمانية . حيدر
  - آباد ، سنة ١٩٥٤ م .

#### قائمة المراجع العربية والمترجمة

- بارانسكى : جغرافية الاتحاد السوفييتى الاقتصادية ، الترجمة العربية ، موسكو سنة ١٩٦٠ م .
- بارتولد : فازيلى « فلاديمير وفتش » :
  - تاريخ الترك فى آسيا الوسطى . ترجمة أحمد السعيد سليمان
  - القاهرة ، سنة ١٩٠٨ م .
- بروكلمان — كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية .
  - تعريب منير بعلبكي ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .
- حساين « عبد النعم محمد » : سلاجقة ايران والعراق ، القاهرة
- القاهرة ، سنة ١٩٥٩ م .

- حلمى « محمد كمال الدين » :
- البسلاحة في التاريخ والحضارة : الكويت ، سنة ١٩٧٥م .
- حمدى « حافظ » :
- الدولة الخوارزمية والمغول : القاهرة ، سنة ١٩٤٩م .
- الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولي : القاهرة ، سنة ١٩٥٠م .
- سترانج لى :
- بلدان الخلافة الشرقية : تعريب فرنسيس وكوركيس عواد .
- العراق ، سنة ١٩٥٤م :
- الشريف — أحمد ابراهيم :
- العالم الاسلامى فى العصر العباسى : القاهرة ، سنة ١٩٦١م .
- صبره « عفاف سيد محمد » :
- دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية : القاهرة ، سنة ١٩٨٥م .
- الصياد « فؤاد عبد المعطى » :
- المغول فى التاريخ : القاهرة ، سنة ١٩٦١م .
- عاشور « سعيد عبد الفتاح » :
- العصر المماليكى فى مصر والشام : القاهرة ، سنة ١٩٦٥م .
- بحوث فى تاريخ العصور الوسطى : بيروت سنة ١٩٧٥م .
- عاقله « نبيه » :
- تاريخ خلافة بنى أمية : بيروت ، سنة ١٩٨٣م .
- عبد الرؤوف « عصام الدين » :
- الدولة الاسلامية المستقلة فى المشرق : القاهرة د . ت .
- العبود « نافع توفيق » :
- الدولة الخوارزمية : بغداد ، ١٩٧٨م .

— ٣١٣ —

- العرينى « السيد الباز » :
  - المغول • بيروت ، د • ت •
- الغامدى « تنعد بن محمد بن حذيفة » :
  - الأوصاع الذول الانتلامية فى الشرق الاسلامى • الرياض ،  
• سنة ١٩٨١م •
- قلمبرى أرمينيوس :
  - تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر • القاهرة  
• د • ت •
- فهمى عبد السلام عبد العزيز :
  - تاريخ الدولة المغولية فى ايران • القاهرة ، سنة ١٩٨١ م •
- فيصل « شكرى » :
  - حركة الفتح الاسلامى • بيروت ، سنة ١٩٦٧ •
- القزاز « محمد صالح » :
  - الحياة السياسية فى العراق فى العصر العباسى الأخير •  
• بغداد سنة ١٩٧١م •
- لى سترانج ، غى :
  - بلدان الخلافة الشرقية : ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس  
• عواد • بغداد ، سنة ١٩٥٤م •
- بغداد فى عهد الخلافة العباسية • ترجمة بشير فرنسيس ،  
• بغداد سنة ١٩٣٦م •
- المليم « عبد العزيز » :
  - نفوذ الأتراك فى الخلافة العباسية • الرياض ، ١٠٤٢ هـ •
- مصطفى « شاكر » :
  - دولة بنى العباس • جزءان ، الكويت ١٩٧٤ م •

### قائمة المراجع الأجنبية

- Barthold. W. Turkestan down to the mongol invasion London 1928.
- Bertold Spuler. « The mongols in history » Tran — by, Geoffrey wheeler N. Y. 1971
- Bretschneider. E. Medieval Researches From eastern Asiatic Sources. London 1967.
- Brosset. A. Histoire de la Georgie, Paris 1910.
- Brown. E. G. The literary history of persia London 1906.
- Cam - Med. Hist. vol. IV. Cam. 1966.
- Curtin. J. The mongols history. Boston 1908.
- Defremery. M. Fragements de Geographes et Historiens Arabes. et persians et Inedits, J. A. Nov — Déc. 1849. pp. 447 - 513.
- D'ohsson M. Histoire des Mongols depuis Ginguiz Khan Jusqu'a Timour Bey. ow Tamer Lan Paris 1824.
- Douglas. R. K
  - The Life of gen ghiz Khan. London 1877.
- Gibb, H. A. R
  - The Arab Conquests in central Asia London. 1923.
  - Studies on the Civilization of Islam. London 1962.
- Grousset R. Histoire des Croisades. III vol. Paris 1936.
- Howorth. H. H. History of the mongols. London 1876.
- Juwaini. Ala - AL - Din - Ata - Malik . Tarikh. Jahan - Gushay, English . Trans. by Boyle. J. A. Entitled. « The history of the world Conquerors. Manchester 1958.

- Lamb. H. Genghis Khan. The Emperor of Allmen. London, 1934.  
The Crusades - The Flame of Islam. London 1931.
- Minorsky. V. The Turcs, Iran and Caucacus in medieval ages. London 1953.
- Peter. Brent . The mongol empire Genghis khan. His Triumph and Legacy . London 1976.
- Phillips. E. D. The mongols. London 1969.
- Runciman. S. History of the Crusaders camb. University 1952 — 1954.
- Saunders . J. J. The history of the mongol Conquests. London 1971.  
Setton - K. M. A history of the Crusades vol. I. and II Wisconsin 1969.  
Skrin, F. H. & Ross, E. D. The heart of Asia. London 1899.
- Sykes P. A history of Persia . Oxford 1922.
- Vladimirtsov. The Life of Chingis Khan. London 1930.

# المحتويات

صفحة

المقدمة . . . . . ٨ - ٣

## الفصل الأول

التطور السياسي لمدينة خوارزم حتى العصر السلجوقي . . . ٢٨ - ١٠  
السلجوقي والخوارزميون . . . . . ٣١ - ٢٩  
استيلاء طغرليك على خوارزم . . . . . ٣٤ - ٣١

## الفصل الثاني

تأسيس الدولة الخوارزمية . . . . . ٤٨ - ٣٥  
ايل اربيلان بن آتسز . . . . . ٥٩ - ٤٨

## الفصل الثالث

### الصراع بين الدولة الخوارزمية والقوى السياسية المعاصرة زمن علاء الدين تكش

الصراع بين سلطان شاه واخيه علاء الدين تكش . . . ٦٤ - ٦١  
الاحوال السياسية في نيسابور بعد هزيمة طغان شاه . . . ٦٧ - ٦٤  
السلطان علاء الدين تكش وسلاجقة العراق . . . ٧٦ - ٦٧  
الخوارزميون والخلافة العباسية على عهد السلطان  
علاء الدين تكش . . . . . ٩٠ - ٧٦  
الناصر لدين الله والغوريون . . . . . ٩٥ - ٩٠

## الفصل الرابع

### علاء الدين محمد خوارزم شاه وتوطيد اركان الدولة الخوارزمية

علاء الدين محمد والاسرة الخوارزمية . . . . . ٩٨ - ٩٧  
علاء الدين محمد والغوريون . . . . . ١٠٩ - ٩٨  
مقتل شهاب الدين الغوري . . . . . ١١٠ - ١٠٩

صفحة

١١٣ — ١١٠	. . . . .	النشاط الخوارزمي في الأراضي الغورية
١١٥ — ١١٣	. . . . .	سقوط البلدان الغورية في أيدي الخوارزميين
١١٧ — ١١٥	. . . . .	الاستيلاء على غزنة وإنهاء الملك الغوري نهائياً
١٢٢ — ١١٧	. . . . .	الخوارزميون والقراخطائيون على عهد علاء الدين محمد
١٢٨ — ١٢٢	. . . . .	سقوط دولة القراخطائيين
		النزاع بين السلطان علاء الدين محمد والخلافة العباسية
١٣٤ — ١٢٨	. . . . .	حول العراق العجمي
١٤٤ — ١٣٤	. . . . .	السلطان علاء الدين محمد والخليفة الناصر لدين الله
١٤٨ — ١٤٤	. . . . .	الترتيبات التي اعدّها السلطان الخوارزمي قبل غزو العراق
١٥٠ — ١٤٨	. . . . .	السلطان علاء الدين محمد والسلطنة الأيوبية
١٥٥ — ١٥١	. . . . .	المغول
١٨١ — ١٥٥	. . . . .	المغول والخوارزميون
١٩٠ — ١٨٢	. . . . .	موقف السلطان علاء الدين محمد من الغزو المغولي

### الفصل الخامس

١٩٦ — ١٩١	. . . . .	جلال الدين منكبرتي ومحاولة تثبيت الملك المتداعي
١٩٨ — ١٩٦	. . . . .	السلطان جلال الدين منكبرتي والمغول
٢٠٣ — ١٩٨	. . . . .	سقوط خوارزم
٢٠٤ — ٢٠٣	. . . . .	الاستيلاء على مرو
٢٠٦ — ٢٠٤	. . . . .	الاستيلاء على نيسابور
٢٠٧ — ٢٠٦	. . . . .	الاستيلاء على هراه
٢١٤ — ٢٠٧	. . . . .	المغول وجلال الدين منكبرتي في غزنه
٢١٨ — ٢١٤	. . . . .	هروب جلال الدين الى الهند
٢٢٠ — ٢١٨	. . . . .	اتجاه جلال الدين الى كرمان

### الفصل السادس

#### جلال الدين منكبرتي والقوى السياسية المجاورة

٢٢٥ — ٢٢١	. . . . .	١ — الخلافة العباسية
٢٣٦ — ٢٢٥	. . . . .	ب — الخوارزميون والكرج
٢٤١ — ٢٣٦	. . . . .	ج — الخوارزميون والباطنية
٢٥٥ — ٢٤١	. . . . .	د — الخوارزميون والأيوبيون
٢٥٨ — ٢٥٥	. . . . .	هـ — التحالف الأيوبي السلجوقي ضد جلال الدين
٢٧٠ — ٢٥٨	. . . . .	و — نهاية جلال الدين منكبرتي

صفحة

### الفصل السابع

البقايا الخوارزمية في العالم الاسلامى بعد سقوط الدولة	
الخوارزمية	٢٧١ — ٢٨٧
الخوارزميون بين الأيوبيين والصليبيين	٢٨٨ — ٢٩٦
نهاية الخوارزميين	٢٩٦ — ٣٠٠
الخاتمة	٣٠١ — ٣٠٣
قائمة المصادر العربية	٣٠٣ — ٣١١
قائمة المراجع العربية والمترجمة	٣١١ — ٣١٣
قائمة المراجع الأجنبية	٣١٤ — ٣١٥



## كتب وبحوث للمؤلفة

- المستشرقون ومشكلات الحضارة دار النهضة العربية ١٩٧٩ م
- الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان دار النهضة العربية ١٩٨٢ م
- الامبراطورية والدولة فى عهدى فردريك الثانى ولويس التاسع بحث بمجلة الدراسات الانسانية جامعة الأزهر — عدد ١
- فن التراجم فى عصر السخاوى الهبة العامة للكتاب — ندوة السخاوى
- العلاقات بين الشرق والغرب دار النهضة العربية ١٩٨٢ م
- دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ويشمل :
  - ١ — دور الفقهاء وعلماء المسلمين فى جهاد الصليبيين \*
  - ٢ — اخطار الباطنية زمن الحروب الصليبية
  - ٣ — التركمان وجهاد الصليبيين \*
  - ٤ — الكرج والقوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية
- الحروب القوطية لبروكوبيوس القيصرى \* الجزء الاول ترجمة ودراسة وتعليق دار الكتاب الجامعى ١٩٨٧ م
- الحروب القوطية لبروكوبيوس القيصرى — الجزء الثانى دراسة وترجمة وتعليق دار الكتاب الجامعى ١٩٨٧ م
- الامير مودود بن التونتكين ودوره فى حركة الجهاد الاسلامى مجلة الدارة السعودية عدد محرم ١٤٠٧ هـ
- الجراجمة المردة واثرتهم على العلاقات الاسلامية البيزنطية مجلة الدراسات الانسانية العدد الرابع ١٩٨٦ م
- بهاء الدين قراقوش الوزير المفترى عليه مجلة الدارة السعودية عدد محرم ١٤٠٨ هـ
- التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية دار الكتاب الجامعى ١٩٨٧ م

مطبعة الجبل اوي  
م. ش. السعة البوالمية

---

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨٠٢ / ١٩٨٧